الخوف والرجاء في القرآن الكريم

دراسة تحليلية

إعداد
عبد الله أسود خلف الجوالي



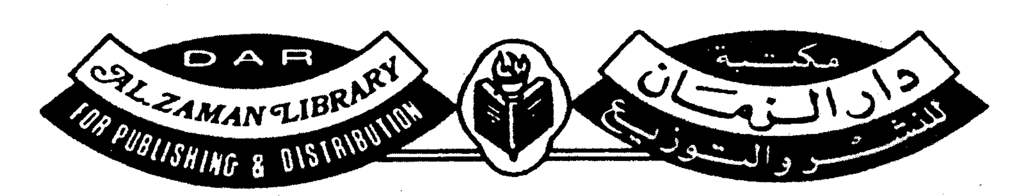
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ


الخوف والرجاء
في
القرآن الكريم

ⓒ مكتبة دار الزمان ، ١٤٢٣ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الجوالي ، عبد الله أسود خلف
الخوف والرجاء في القرآن الكريم: دراسة تحليلية ـ المدينة المنورة
٢٤٨ ص ، ١٧ × ٢٤ سم
ردمك : ٥ ـ ٥ ـ ٩٣٦١ ـ ٩٩٦٠
١ ـ العقيدة الإسلامية ٢ ـ التقوى ٣ ـ الخوف أ ـ العنوان
ديوي ٢٤٠ ٢٣ / ٠٠٨٨
رقم الإيداع: ٠٠٨٨ / ٢٣
ردمك: ٥ ـ ٥ ـ ٩٣٦١ ـ ٩٩٦٠

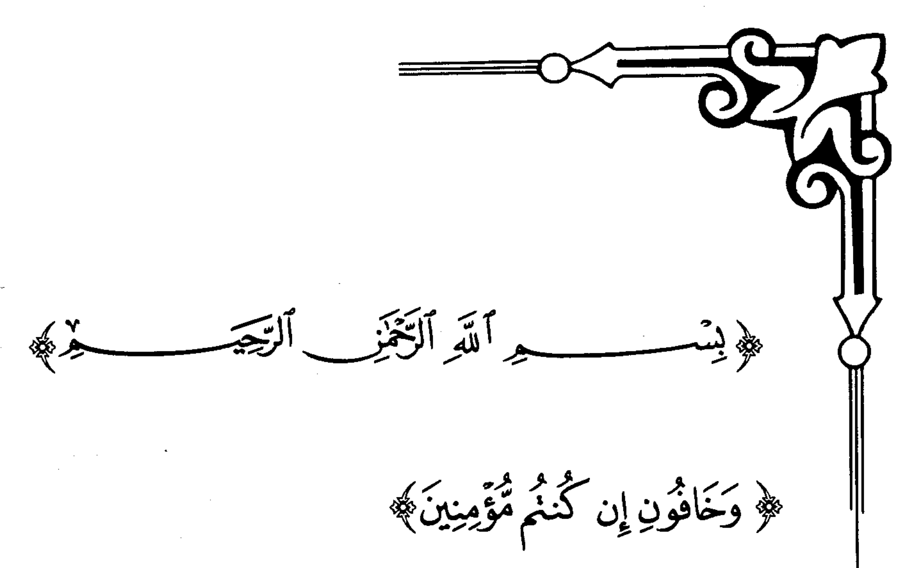
الطبعة الأولى

٢٠٠٣ م ـ ١٤٢٤ هـ



المدينة المنورة - شارع الستين - ص.ب ١٥٥٦
هاتف ٨٣٦٦٦٦٦ فاكس ٨٣٨٣٢٢٦
المملكة العربية السعودية

Medina Monawara - Al-Sittin Road - P.O. Box. 1556
TEL: 8366666 - FAX: 8383226
Kingdom of Saudi Arabia



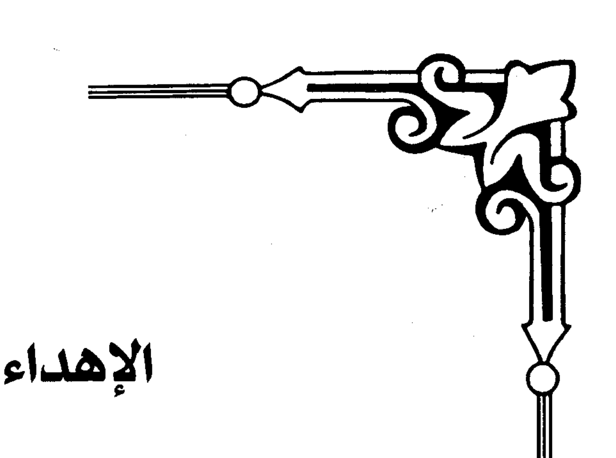
﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

[آل عمران: ١٧٥]

﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟
مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ
ٱلرَّحِيمُ﴾

[الزمر: ٥٣]

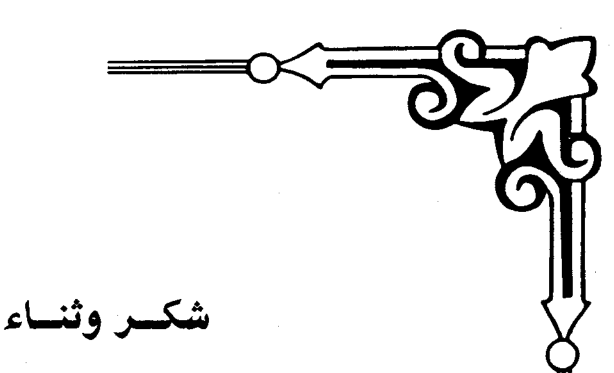


الإهداء

إلى سيد الأولين والآخرين
سيدنا ورسولنا محمد بن عبد اللّه ﷺ
أخوف الخائفين وأرجى الراجين
منقذ الناس من الظلمات إلى النور

إلى والديَّ العزيزين وشقيقي إبراهيم الذين سددوا خطاي في مسيرتي وحياتي الإسلامية ونظروني بعين الرعاية والعناية حتى وصلت إلى ما أنا عليه من طلب العلم للّه تعالى... اللهم خالقي ومولاي، اجزهم عني خير ما جزيت به متقرباً في قربته وطائعاً في طاعته، يا مجيب الدعاة والسائلين.

إلى كل خائف من اللّه تعالى وراجٍ، ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧].



شكــر وثنــاء

الشكر لله العلي القدير أولاً وآخراً على ما أولى وأنعم ويسَّر.

ثم إلى أصحاب الفضل والعطاء - وهم كثيرون - وأخص منهم بالشكر الطيب أستاذي وشيخي في هذا الصنيع المتواضع فضيلة الدكتور مشعان الذي أمدني بالعون العلمي والإرشادات القيمة والتوجيهات السامية فله مني عاطر الثناء وخالص الدعاء أن ينفع الله به وأمثاله الإسلام وأن يمده الله بمدد إلٰهي من عنده عمراً ورزقاً وعافية وشفاء إنه نعم المولى ونعم النصير.

وأتقدم بالشكر الجزيل والثناء العطر إلى كل من الشيخ فهمي، والشيخ عبد المجيد، والشيخ محمد كريم، والشيخ آزاد، والشيخ إدريس، وعلي حسين، وسيف الدين، ومهوس، وياسين، وصلاح، وأحمد، ومحمد حسن.

وأتقدم بالشكر إلى جميع الأخوة الذين ساهموا في إعارتي الكتب المتعلقة بالرسالة أو بإبداء رأي أو نصيحة.

الباحث



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فإن علم التفسير من العلوم التي عني بها المسلمون قديماً وحديثاً، وصنّفوا في هذا العلم المصنفات الكثيرة التي تدل على مدى تعلق المسلمين بكتاب الله تبارك وتعالى.

ومن الحقائق الجلية أن هذا الكتاب العظيم أنزله الله تبارك وتعالى على قلب رسوله ﷺ ليكون تبياناً لكل شيء كما قال الله تعالى: ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] من تمسّك به نجا، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم.

وقد تناول القرآن الكريم العديد من الأمور التي لها مساس بحياة الناس في مختلف المجالات المتنوعة من جميع جوانبها، وعالجها معالجة شافية كافية فأردت أن أخوض غمار أحد هذه الموضوعات فوقع اختياري على موضوع «**الخوف والرجاء في القرآن الكريم**» التي تتصل بسلوك الإنسان وكيفية صلته بالله تعالى.

فالمتتبع للقرآن الكريم يجد أن الكثير من آيات القرآن الكريم تهتم بالخوف والرجاء وترغِّب فيهما من جهة، وتنهى عن الغفلة والإعراض عن الله، وترهب العباد من خطر الإبتعاد عن منهج القرآن الكريم وتعده من الأسباب التي تؤدي إلى هلاك الناس بضنك العيش في الدنيا وسوء العاقبة في الآخرة ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

ومنهج القرآن الكريم في الجمع بين الخوف والرجاء منهج عبادي فيه تربية وسلوك، إذ جمع بين خوف الله ورجاء ثوابه ووفّق بينهما بأسلوب عجيب، فكما أوجب على الناس أن يخافوه أمرهم بالرجاء لتحصيل الجزاء على هذا الخوف الجالب للطاعات. لذلك حرص القرآن الكريم على إدامة الصلة بالله تعالى عن طريق الخوف والرجاء التي رسمها للناس والأسوة الحسنة سيدنا محمد ﷺ، وسلفنا الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم إذ أنهم عرفوا ما وجب عليهم فخافوا الله تعالى واشتغلوا بطاعته قولاً وفعلاً ابتغاء مرضاته وخوفاً من الغفلة والنسيان عن ذكره تعالـى.

فإذا أردنا أن نحيا حياة طيبة وجب علينا أن نخاف الله في كل حال، وأن ندعوا الناس إلى الخوف من الله وتذكر عذابه ورجاء رحمته وثوابه. والفيصل في ذلك كله هو الرجوع إلى كتاب الله تعالى وسنّة نبيه ﷺ وطريق سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.

ومن البواعث التي دعتني إلى الكتابة في هذا الموضوع هو أنني أردت أن أدلو بدلوي في خدمة كتاب الله تبارك وتعالى وهذه نعمة أحمد الله عليها، وأيضاً فإن هذا الموضوع من المواضيع المهمة جداً والتي لها أثر بالغ وكبير في سلوك الفرد المسلم، إذ أن الخوف المطلق ربما كان مدعاة إلى اليأس والقنوط من رحمة الله الواسعة، كما أن الرجاء المطلق ربما كان سبباً إلى الولوج في معاصي الله تبارك وتعالى وانتهاك حرماته، والجمع بينهما هو الطريق السوي الذي يمكن لسالكه أن يصل إلى شاطىء الأمان.

ومما شجعني إلى المضي في دراسة هذا الموضوع هو ما نراه في مجتمعنا اليوم من غفلة عن الله وانحراف عن منهجه تعالى مما أدى بالناس إلى التوجه إلى حياة مادية لا روح فيها وهذا أمر خطير يؤدي إلى انقطاع الصلة بالله تعالى.

وقد حددت خطة البحث في هذه الرسالة بمقدمة للرسالة، ثم قسمت الرسالة إلى ثلاثة أبواب وخاتمة:

فأما الباب الأول: فقد جعلته للخوف وقسمته إلى أربعة فصول:

أما الفصل الأول: فقد جعلته للتعريف بالخوف وحقيقته، وقد اشتمل على مبحثين:

أما المبحث الأول: فقد بيَّنت فيه تعريف الخوف لغة واصطلاحاً، وتعريف الخوف باعتباره حالة نفسية.

المبحث الثاني: بيَّنت فيه الوجوه والنظائر والألفاظ المقاربة لكلمة الخوف في القرآن الكريم.

وأما الفصل الثاني: فقد ذكرت فيه أهمية الخوف وضرورته والحث عليه، وما ورد من آيات في الكتاب العزيز وأنواع الخوف ثم قسمته إلى مبحثين.

المبحث الأول: أهمية الخوف من الله عز وجل.

المبحث الثاني: الأمر بالخوف والدعوة إليه والحث عليه.

وأما الفصل الثالث: فقد ذكرت فيه خوف الأنبياء والمرسلين وقد احتوى على مبحثين:

المبحث الأول: خوف الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام على أنفسهم من الله تعالى.

المبحث الثاني: دعوتهم لأقوامهم إلى الخوف من الله تعالى.

وأما الفصل الرابع: فقد جعلته لبيان منزلة الخائفين وجزائهم وما للخوف من ثمار في الدنيا وثمار في الآخرة.

وأما الباب الثاني: فقد جاء لبيان حقيقة الرجاء وقد قسمته إلى ثلاثة فصول:

أما الفصل الأول: فقد جعلته للتعريف بالرجاء وحقيقته وقد اشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: تعريف الرجاء لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: الوجوه والنظائر والألفاظ المقاربة لكلمة الرجاء في القرآن الكريم.

وأما الفصل الثاني: فقد بيَّنت فيه أهمية الرجاء وشروطه وأنواعه ثم قسمت الرجاء إلى قسمين: رجاء محمود ورجاء مذموم.

وأما الفصل الثالث: فقد جعلته لبيان منزلة الراجين وجزائهم وما للرجاء من ثمار في الدنيا وثمار في الآخرة.

وأما الباب الثالث: فقد خصصته للجمع بين الخوف والرجاء، وقد قسمته إلى فصلين:

أما الفصل الأول: فقد ذكرت فيه الإفراط في أحدهما وهو على مبحثين:

المبحث الأول: الإفراط والتفريط في الخوف.

المبحث الثاني: الإفراط والتفريط في الرجاء.

وأما الفصل الثاني: فقد جعلته لبيان الموازنة بين الخوف والرجاء.

وختمت رسالتي بخاتمة جاءت تلخيصا لأهم نتائج البحث التي توصلت إليها.

وختاماً، فإني أرجو الله أن أكون قد وفقت في هذا البحث المتواضع لرسم صورة واضحة لآيات الخوف والرجاء في القرآن الكريم وبيان حقيقة كل منهما. وهذا هو مبلغ علمي، فإن أصبت فللّه الحمد، وإن أخطأت فرحم الله من دلني على خطئي لأتجنبه، فما الكمال إلا لله وحده.

والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

عبد الله أسود

الباب الأول

الخوف

ويتضمن أربعة فصول:

الفصل الأول : مفهوم الخوف.
الفصل الثاني : أهمية الخوف وضرورته.
الفصل الثالث: الخوف عند الأنبياء والمرسلين.
الفصل الرابع : آثار وثمار الخوف.

الفصل الأول
مفهوم الخوف

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الاول: معنى الخوف وحقيقته.

المبحث الثاني: الألفاظ المقاربة لكلمة (الخوف).

المبحث الاول
معنى الخوف وحقيقته

أولاً: الخوف لغة

الخاء والواو والفاء أصل واحد يدل على الذعر والفزع[1]، يقال: خافَ الرَّجُلُ يخاف خَوفاً وخِيفَةً فهو خائف، وقومٌ خُوّفٌ على الأصل، وخيَّفٌ على اللفظ، والأمر منه خف، والإخافة التخويف، والمخاف والمخيفة موضع الخوف، يقال: طريق مخوفٌ يخافه الناس، ومخيف يُخيفه الناس، والخيفة الخوف، والجمع خيفٌ[2].

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾ [آل عمران: ١٧٥] معناه: يخوفكم بأوليائه.

---

(١) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ـ تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون ـ دار الفكر، بيروت (١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م) مادة(خوف) ٢/ ٢٣٠.

(٢) العين : الفراهيدي ٤/٣١٢-٣١٣، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ٤/١٣٥٩، لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت ٩/ ٩٩-١٠٠ مادة (خوف).

وخوّفت الرجل: جعلت الناس يخافونه، والإسم من ذلك الخيفة[1].

يقال: خاف الرجل وفزع وخشي ووجل وفرق ورهب ووهل وارتاع وارتعب وانذعر، وقد ريع من الأمر[2].

قال صخر الغي الهذلي:

ولا تقعــدنَّ علــى زَخَّــةٍ وتُضْمِر في القَلْبِ وجْداً وخِيفاً[3]

والخوف يتعدى الى مفعول واحد[4]، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وقَومٌ (خَوفٌ): خَائِفُونَ، (أو هذه إسمٌ للجَمع)، ومنه قوله تعالى: ﴿خَوْفًا وَطَمَعًاۚ﴾ [الأعراف: ٥٦] أي: اعبدوه خَائفينَ عَذابَهُ، وطَامِعِين في ثَوابِهِ[5].

والخوف مصدر خاف، الفزع: القتل: القتال، جمع أو إسم جمع للخائفين[6].

وقال غير الجوهري: طريق مَخوُفٌ، ومُخيفٌ يخافُهُ النَّاسُ، وَوَجَعٌ مَخُوفٌ ومُخيفٌ، يُخيفُ من رَآهُ، وفي الحديث: «من أخَاف أهلَ المدينةِ أخافهُ الله تعالى»[7].

---

(١) المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، دار الفكر، بيروت ٣، السفر الثاني عشر ١٢١.

(٢) نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد: تأليف إبراهيم اليازجي، مكتبة لبنان، بيروت ٢١٨.

(٣) ديوان الهذليين: الدار القومية للطباعة، القاهرة (١٩٦٥ م) ٢/ ٧٤.

(٤) تفسير التحرير والتنوير: تأليف الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ٢/ ٤٠٩.

(٥) تاج العروس: للإمام اللغوي السيد محمد مرتضى الزبيدي، الناشر دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي ٦/ ١٠٥.

(٦) معجم متن اللغة: للعلامة اللغوي الشيخ أحمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت (١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٨ م) ٢/ ٣٥٧.

(٧) تاج العروس: الزبيدي ٦/ ١٠٥. والحديث في «الإصابة في تمييز الصحابة»: إبن حجر العسقلاني ٢/ ٣٤٢ برقم ٢٢٨٥، وله شاهد يقويه في رقم ٢١٦٠ من نفس الكتاب.

ثانياً: الخوف اصطلاحاً

عرف الخوف بتعاريف متعددة، منها: بأنه توقع حصول ما تكرهه النفس، وهو ضد الأمن، ويطلق على أثره، وهو السعي في مرضاة المخوف منه ـ وهو الله سبحانه وتعالى عند جميع المسلمين ـ وامتثال أوامره، كقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وترادفه الخشية، لأن عدم إقامة حدود الله مما يخافه المؤمن(١).

كما عرف ايضاً: بأنه توقع مكروه عن أمارة مظتونة أو معلومة(٢).

وعرّف أبو حامد الغزالي رحمه الله الخوف بأنه: (عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الإستقبال)(٣).

وعرّفه الجرجاني رحمه الله بأنه: (توقع حلول مكروه أو فوات محبوب)(٤).

كما عرَّف بأنه: (اضطراب القلب وحركته عند تذكر المخوف)(٥).

وقال بعضهم: ليس الخائف الذي يبكي ويمسح عينيه، إنما الخائف من يترك ما يخاف أن يعذب عليه(٦).

وقال بشر الحافي: الخوف من الله ملك لا يسكن إلا في قلب متقٍ(٧).

وقال الجنيد: هو توقع العقوبة مع مجاري الأنفاس(٨).

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٢/ ٤٠٩.

(٢) الصحاح في اللغة والعلوم: تقديم العلامة الشيخ عبد الله العلايلي، إعداد وتصنيف نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي، دار الحضارة العربية، بيروت ط/ ١ (١٩٧٤).

(٣) إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) عالم الكتب ٤/ ١٣٥.

(٤) التعريفات: أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) الدار الوطنية للنشر (١٩٤٨ م) ص ٦٠.

(٥) مدارج السالكين: إبن قيم الجوزية ١/ ٥٤٩.

(٦) الرسالة القشيرية: للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري ٣٠٨.

(٧) المصدر نفسه ٣٠٩.

(٨) المصدر نفسه.

وقد وردت أقوال أخرى في تصوير معنى الخوف، فقيل: هو هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره، وقيل: هو قوة العلم بمجاري الأحكام[1].

وقد ورد ذكر الخوف في القرآن الكريم في مائة وأربعة وعشرين موضعاً، منها ست وسبعون مرة في آيات مكية، وثمان وأربعون مرة في آيات مدنية[2].

والخوف من الله أمارة على قوة الإيمان به سبحانه، إذ يخاف المؤمن ممن لا يراه، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [المائدة: ٩٤] على حين يراه الله سبحانه لأنه محيط بكل شيء[3].

ولذا قيل: كل واحد إذا خفته هربت منه إلا الله، فاذا خفته هربت إليه[4].

والذي نقصده هنا هو الخوف من الله سبحانه وتعالى لا مطلق الخوف، والذي قد يكون حالة مرضية.

فالخوف من الله تعالى يجعل العبد سالكاً الطريق القويم الذي يرضي الله سبحانه وتعالى دون الوقوع في المعاصي وخصوصا الكبائر.

من هذه التعريفات، يمكن تلخيص تعريف الخوف بأنه: **(استشعار بالعقوبة يحول دونه ارتكاب السيئات أو الخوض في المحرمات مع جعل إرضاء الله سبحانه وتعالى الغاية التي يسعى إليها).**

ثالثاً: تفسير الخوف باعتباره حالة نفسية

لما كانت الفلسفة أسبق العلوم الى معرفة الاشياء والأحوال، وعلل وجودها، وموجبات حدوثها، وما ينجم عنها من عواقب سارة أو ضارة، صار من الطبيعي أن يظفر الدارس بشيء يمت إلى موضوع الخوف بصلة، لا سيما عند أرسطو الذي ذهب في حده للخوف إلى أنه: (حزن أو إضطراب ناشيء عن تخيل شر داهم سيسبب

---

(١) البستان معجم لغوي، تأليف عبد الله البستاني اللبناني ٧٢٩.
(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي ٢٤٧-٢٤٨.
(٣) ألفاظ العبادات في القرآن الكريم، رسالة ماجستير: أكرم البرزنجي، جامعة الموصل.
(٤) قول لابي القاسم الحكيم: الرسالة القشيرية ٣٠٩.

تدميراً أو أذى)[1].

وقد كتب كثير من المختصين في علم النفس في العصور المتأخرة عن الخوف، ولكن قليلاً منهم من وضع تعريفاً للخوف، فمعظمهم كان يهجم على الموضوع مباشرة.

وفيما يأتي بعض التعريفات للخوف من الوجهة النفسية:

يحدد الدكتور سعد جلال مفهوم الخوف فيقول: (الخوف انفعال ودافع يتضمن حالة من حالات التوتر التي تدفع بالخائف إلى الهرب من الموقف الذي أدى إلى إستثارة الخوف حتى يزول التوتر ويزول الانفعال)[2].

أما الدكتور محمد عثمان نجاتي، فيقول: (الخوف حالة من الاضطراب الحاد الذي يشمل الفرد كله)[3].

ويقول الدكتور جميل صلبيا: (الخوف انفعال نفساني فطري ينجلي في الهرب من الأخطار والابتعاد عنها)[4].

وقريب من هذا التعريف ما ذكره الأستاذ سميح عاطف الزين في كتابه «علم النفس»، يقول: (الخوف إنفعالي فطري تجاه الخطر يدفع صاحبه إلى الإبتعاد عنه أو الهرب منه)[5].

ويقول الأستاذ محمود الزيني: (الخوف انفعال هروبي مؤلم يدفع الفرد إلى تجنب المواقف التي تهدد بإلحاق الضرر بالذات)[6].

وعرف الخوف بأنه سلوك يتميز بصبغة إنفعالية غير سارة، ويصحبه نشاط في الجهاز السمبتاوي وردود فعل حركية وأوضاع جسمية مختلفة، مثل الإهتزاز، والتذلل، والهروب، والنوبات التشنجية أو الاهتزازية، وهو يفترق عن الرهاب أو

---

(١) الخطابة: أرسطو طاليس، ترجمة عبد الرحمن بدوي ١١٨.
(٢) المرجع في علم النفس: ٣٣٠.
(٣) القرآن وعلم النفس: ٦٥.
(٤) علم النفس: ٢٧١.
(٥) علم النفس: ١٦١.
(٦) سيكولوجية النمو والدافعية: ٣٨١.

الخوف المرضي الذي يدل على مخاوف ملحة وغير معقولة، خوف الأماكن المغلقة، الحرب، الرعد، البرق، الأماكن الشاهقة، من الرجال[1].

يتضح من هذه التعريفات للقدامى والمتأخرين إنها تكاد تكون متقاربة، والملفت للنظر هو تقارب الجميع من أن الخوف: إنفعال فطري نفساني، كما أن هذه التعريفات ركزت على أن الانفعالات تجاه الخوف يكون بالهرب مع أن الإنفعال قد يكون في كثير من الأحيان بمقاومة الخطر ومواجهته.

ويعد إنفعال الخوف حالة من الاضطراب الذي يشمل الفرد كله، فهو يحدث تغيرات كثيرة في الوظائف الداخلية في الجسم، وفي ملامح الوجه، ونبرات الصوت، وهيئة البدن، وغيرها[2].

وقد فرق الراغب بين الخوف من الله والخوف مما يعرض من أمور الدنيا، نذكر أن (الخوف من الله لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب كاستشعار الخوف من الأسد، بل إنما يراد به الكف عن المعاصي واختيار الطاعات، ولذلك قيل: لا يعد خائفاً من لم يكن للذنوب تاركاً)[3].

وهذا الذي نميل إليه، أي الخوف القائم على المراقبة، لأن الخوف من الله كون الإنسان عبداً، ليس حالة مرضية، وإنما هي حالة إيجابية ترتقي بالمؤمن إلى أعلى درجات الهدوء والراحة النفسية، فإذا ما اطمأن إلى أنه حقق في الخوف ما أراده القرآن، شعر حينذاك بالطمأنينة والسعادة، لأن الله تعالى بشَّر المؤمنين ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٧٠].

كما أن هذا الخوف قائم على أسس نفسية تمتلك إرادة عالية في ضبط الجوارح عن إرتكاب المناهي، وهذا ما نلحظه في الآية التي تصور ذلك لدى أحد ولديَّ آدم عليه السلام حين همَّ أخوه بقتله، ثم قتله، فقال له حين هدده بالقتل: ﴿لَئِنْ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨].

---

(١) الصحاح في اللغة والعلوم: ٣٧٩.
(٢) القرآن وعلم النفس: نجاتي ٦٤.
(٣) المفردات: ١٦٢.

المبحث الثاني
الألفاظ المقاربة لكلمة(الخوف)

أولاً: الوجوه والنظائر لكلمة (خوف)

أشار أصحاب الوجوه والنظائر إلى أن ذكر الخوف ورد في القرآن الكريم على خمسة وجوه[1]:

الأول: النكبة تصيب المسلمين من قتل أو هزيمة وذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ﴾ [النساء: ٨٣] يعني القتل والهزيمة.

الثاني: القتال، وذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ ﴾ يعني القتال ﴿ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ ﴾ [الأحزاب: ١٩].

الثالث: العلم، وذلك قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا ﴾ [البقرة: ١٨٢] يعني فمن علم، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا ﴾ [النساء: ١٢٨] أي: علمت.

الرابع: التنقص وذلك قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾ [النحل: ٤٧] أي على تنقص.

الخامس: الخوف بعينة، كالخوف من العذاب وذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٧٠] يعني من العذاب.

ولأن الخوف من الله يمنع المؤمن من الوقوع في المعاصي، فقد جعل هذا الإحساس فضيلة من الفضائل التي نبّه عليه القرآن الكريم ودعا إليه وأمر به[2].

ثانياً: الألفاظ التي تشترك مع لفظة الخوف

وفي ضوء أبعاد الخوف أدرج الخوف في مستويات، أو كما أسماها الهمداني (أجناساً)[3]. ولكل جنس لفظة تعبر عنه وتزن مدلوله بما تناسب وعظم المكروه على

---

(١) ينظر : منتخب قرة العيون النواظر ١٦، والتصاريف ١٦٤-١٦٥، وكشف السرائر ١٠٨-١٠٩.
(٢) الألفاظ النفسية في القرآن الكريم: أيمن الوتاري، رسالة ماجستير، جامعة الموصل ١٢٩.
(٣) المخصص ٣/ ٦١، والمفردات ٨٧، لسان العرب ١/ ٥٣٩.

وفق ما تحمل تلك اللفظة من ظل وإشارة وإيماء، وسأقتصر على الوارد ذكرها في القرآن الكريم أو الدال على هذا الجنس مما يعطي معنى الخوف.

١ - الخشية:

وهو من الألفاظ الدالة على الخوف، يقال: خَشِيَ الرجلُ يَخشىَ خَشيَة: أي خاف فهو خَشْيان والمرأة خَشْياً، وهذا المكان أخشى من ذاك، أي أشد خوفاً[١].

ولمادة (خشي) دلالات حسية، فالخَشِيّ (على فعيل): اليابِس من النَّبت، يقال: نَبتٌ خَشِيٌ، أي يابِس، والخَشْو: الحَشَف من التمَرْ، وخشَت النّخْلة: أحْشَفَت[٢].

والخشية خوف يشوبه تعظيم[٣]، وهي تتعلق بمنزلة المكروه، ولا يسمى الخوف من نفس المكروه خشية، يقال: خشيت زيداً، ولا يقال: خشيت ذهاب زيد، فإن قيل ذلك فليس على الأصل، ولكن على وضع الخشية مكان الخوف، وقد يوضع الشيء مكان الشيء، إذا قرب منه[٤]، ومثال الخشية في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾ [الأحزاب: ٣٩]، أي يخافونه ولا يخافون أحداً سواه، فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله تعالى[٥].

وعلى الرغم من دلالة الخشية على الخوف إلا أن أهل اللغة فرّقوا بين هذين اللفظين، ولا سيما أنه ورد في القرآن ما يدل على ذلك، وهو قوله تعالى مخاطباً موسى عليه السلام: ﴿فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٧٧]، وقوله في المؤمنين: ﴿وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [ ][الرعد: ٢١] فعطف الخشية على الخوف في الآية الأولى، وبالعكس في الثانية يدل على وجود فرق دلالي بين

---

(١) الصحاح ٦/ ٢٣٢٧ (خشى).
(٢) اللسان ١٤/ ٢٢٩ (خشى).
(٣) المفردات ١٤٩، والإعجاز البياني للقرآن ٢٠٩، التفسير الكبير ٢٨/ ١٧٧.
(٤) الفروق في اللغة ٢٣٦.
(٥) تفسير إبن كثير ٣/ ٤٩٢.

هذين اللفظين، وهو ما التفت إليه اللغويون حينما فرقوا بينهما من عدة وجوه، منها[1]:

ما ذكره أبو هلال العسكري[2] من أن الخوف يتعلق بالمكروه وبترك المكروه، تقول: خفت زيداً. . . وتقول: خفت المرض، والخشية تتعلق بمنزلة المكروه، ولا يسمى الخوف من نفس المكروه خشية، ولهذا قال: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١].

وذكر الفخر الرازي: أن الخشية غالباً ما تكون من عظم المخشي، وإن كان الخاشي قوياً، أما الخوف فغالباً ما يكون من ضعف الخائف، وإن كان المخوف أمراً يسيراً، ويدل على ذلك ـ عنده ـ أن الخاء والشين والياء في تقاليبها تدل على العظمة والهيبة، فيقال: شيخ للسيد والرجل الكبير، وهما جميعاً مهيبان، وكذلك الخيش لما عظم من الكتان، وأما الخاء والواو والفاء فتدل غالباً على الضعف، ومنه الخيفة والخفية، ولولا قرب معناها لما ورد في القرآن: ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأنعام: ٦٣]، و ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، والمخفي فيه ضعف كالخائف[3].

وذكر إبن الزملكاني (ت٦٥١هـ): (أن الخشية أعلى مرتبة من الخوف، لأنها مأخوذة من قولهم: شجرة خشية، إذا كانت يابسة، وذلك فوات بالكلية، والخوف من قولهم: ناقة خوفاً: إذا كان بها داء، وذلك نقص وليس بفوات، ومن ثم خصت الخشية بالله سبحانه في قوله تعالى: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١] لأن خوف الله ينبغي أن يكون أعلى المراتب)[4].

وذكر إبن القيم: أن الفرق بين الخوف والخشية يكمن في أن الخوف: خرب القلب من حلول المكروه عند إستشعاره، لذلك فإنه يكون لعامة المؤمنين وصاحبه يلتجىء إلى الهرب والإمساك، وأما الخشية فأخص من الخوف وغالباً ما تكون مقرونة بالمعرفة والعلم بما يخشى منه، ولذلك خصت بالعلماء العارفين في قوله

---

(١) الألفاظ النفيسة ١٣٧.

(٢) الفروق اللغوية ٢٠٠.

(٣) التفسير الكبير ٢٨/ ١٧٧.

(٤) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ٩١.

تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [فاطر: ٢٨] وصاحب الخشية لا يلتجيء إلى الهرب وإنما يلتجيء إلى الاعتصام بالعلم، وعلى قدر العلم والمعرفة تكون الخشية، ولذلك ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «فوالله إني أعلمهم بالله وأشدهم له خشية»[١].

ويخلص إبن القيم من هذا إلى أن الخوف حركة، والخشية إنقباض وسكون، فمثلهما كمثل الذي يرى العدو والسيل ونحو ذلك، فتكون له حالتان:

إحداهما: حركة للهرب منه، وهي حالة الخوف.

والثانية: سكون وقرار في مكان لا يصل إليه فيه وهي الخشية[٢].

وذهبت الدكتورة عائشة عبد الرحمن إلى أن: الفرق بين الخشية والخوف كالفرق بين الخشوع والخضوع، فالخشية تكون عن يقين صادق بعظمة من تخشاه، كالخشوع الذي لا يكون إلا انفعالاً صادقاً بجلال من نخشع له، وأما الخوف فيجوز أن يحدث عن تسلط بالقهر والإرهاب، كالخضوع الذي قد يكون تكلفا عن نفاق، وخوف، أو تقية أو مداراة، ولذلك تقول العرب: خشع قلبه، ولا تقول: خضع إلا تجوّزاً[٣].

ويبدو أن ما ذكره اللغويون من تفاسير للخشية يمكن أن يحمل عل الأعم الأغلب ولا يشكل قيداً لجميع ما ورد من ذكر للخشية في القرآن الكريم وكلام العرب[٤]، إذ لم يكن خوف عنترة مشوباً بتعظيم ولا علم فيما عبر عنه بقوله[٥]:

ولقد خَشِيْت بأن أموتَ ولم يَكُن   للحَرْب دائِرَة على إبني ضَمْضَمِ

وكذلك لم يكن هناك خوف مشوب بتعظيم أو مقترن بالعلم في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾ [الاسراء: ٣١]، أو قوله: ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ﴾ [النساء: ٢٥][٦].

---

(١) الحديث في صحيح البخاري (بشرح الفتح) ١٠/ ٥١٣، كتاب الأدب، وبأرقام (٦١٠١، ٧٣٠١).
(٢) مدارج السالكين ١/ ٥٤٩-٥٥٠.
(٣) الإعجاز البياني للقرآن ٢٠٩.
(٤) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ٤/ ٣٩٣.
(٥) البيت من معلقته. ينظر: جمهرة أشعار العرب ٩٩.
(٦) الألفاظ النفسية ١٣٨.

وورد ذكر الخشية ومشتقاتها في (٤٨) موضعاً من القرآن الكريم، ولأنها غالباً ما تتضمن خوفاً مشوباً برهبة المخشي وإعظامه، فقد وردت متعلقة بالله تعالى وحده في أكثر آيات القرآن، إذ بلغت نحو (٣٠) آية، قال تعالى: ﴿ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٣](١).

كما نهى سبحانه وتعالى عن تقديم خشية الناس على خشيته تعالى، فقال: ﴿ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ ﴾ [الاحزاب: ٣٩]، ومن هذه الآيات يتبين أن الخشية إذا كانت متعلقة بذات فإنها ينبغي ألا تكون إلاَّ من الله تعالى دون سواه(٢).

ولم تسند خشية الله إلى العقلاء فحسب، بل أسندت كذلك إلى غير العقلاء من عناصر الطبيعة كالحجارة والجبال، وذلك على طريقي الأسلوب الإستعاري التشخيصي، فقال تعالى في الحجارة: ﴿ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ ﴾ [البقرة: ٧٤] وقال في الجبل: ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ ﴾ [الحشر: ٢١]، والمراد من استعارة الخشية للحجارة أو الجبال إظهار الخضوع في هذين العنصرين لله تعالى، وإنهما لا يمتنعان على ما يريد منهما(٣).

كما أن فيها تعريضاً بالذين لا يتأثرون بآيات الله، فإذا كانت هذه الجمادات المعروفة بقساوتها قد تتأثر وتنفعل بآيات الله وتنقاد له سبحانه، فما بال هؤلاء الكافرين لا يتأثرون ولا ينقادون؟!

ولا شك أن إسناد الخشية إلى الحجارة أو الجبال يعد من رائع البيان القرآني وأبلغه، إذ يبث الحياة في الجامد الأصم، فيجعله بحيث يحس وينفعل ويخشى الله ويخشع(٤).

---

(١) الألفاظ النفسية ١٣٩.
(٢) الألفاظ النفسية ١٣٩.
(٣) تلخيص البيان ١١٦، والكشاف ١/ ١٥٥-١٥٦.
(٤) الإعجاز البياني للقرآن ص ٢١٠.

وقد لا تتعلق الخشية في القرآن بذات، بل تتعلق بآمر يخشى، وهذا الآمر قد يخص الساعة أو اليوم الأخر، ولذلك فإن خشيتهما محمودة، إذ هما مترتبتان على خشية الله، قال تعالى عن الساعة: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٥]، وقال تعالى عن اليوم الآخر: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ [لقمان: ٣٣]، وقد تكون الخشية متعلقة بالفقر أو كساد تجارة أو الإنفاق أو العنت[١] كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ﴾ [الإسراء: ٣١]، وقال: ﴿وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ [التوبة: ٢٤]، وقال: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾ [الإسراء: ١٠٠]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ﴾ [النساء: ٢٥]، وقال: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: ٨٠].

٢ ـ الرهب

وهي من الألفاظ التي تدل على الخوف أيضاً، رَهَبَ يَرْهَبُ رَهْبَةً وَرَهْباً ورَهَبَا، أي خافَ. ويقال: أرْهبتُهُ، ورَهَبْتُهُ، واستَرْهَبْتُهُ: أي أزعَجْتَ نَفْسَهُ بالإخافة[٢]، وقد توَسَّعت دلالة الرَّهْبَة في العربية لتدل على معنى تعبّدي: فالتَرهُب: التعبُّد وهو استعمال الرَّهْبَة، والرَّهْبَانِيَّة: غُلُوّ في تَحَمُّل التَعبّد من فَرْط الرَّهْبَة، والراهب: واحد رُهْبَان النصارى، ومصدره الرَّهْبَة[٣] وهي طول الخوف واستمراره[٤].

ولمادة (رهب) دلالات حسية، فالرهب: النَّاقة المهزولة، والرَّهَبُ أيضاً: النصل الرقيق من نِصَال السِّهَام، والجمع رهاب والرهابة: عظم في الصدر مشرف على البطن مثل اللسان[٥].

وقد ورد ذكر مفردات الرهبة في تسعة مواضع من القرآن، ثلاثة منها مختصة بالله تعالى وهي قوله تعالى: ﴿وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠] وقوله: ﴿وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى

---

(١) العنت: الإثم الذي يؤدي إلى غلبة الشهوة. ينظر: الكشاف ١/ ٥٠٠.
(٢) العين ٤/ ٤٧، ومقاييس اللغة ٢/ ٤٤٧، وأساس البلاغة ٢٦١، والصحاح ١/ ١٤٠ (رهب).
(٣) المفردات ٢٠٤، وأساس البلاغة ٢٦١ (رهب).
(٤) الفروق في اللغة ٢٣٦، والمفردات ٢٠٤.
(٥) العين ٤/ ٤٧-٤٨، ومقاييس اللغة ٢/ ٤٤٧، والصحاح ١/ ١٤٠ (رهب).

﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، وقوله: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [النحل: ٥١] وقد جرى تخصيص الرهبة بالله تعالى في هذه الآيات بأسلوبين[١]:

أحدهما: تقدم الإسم الدال على الخالق (لربهم) على الفعل (يرهبون) مع اقتران هذا الإسم باللام التي تفيد التقوية والتأكيد.

والثاني: تقديم الضمير المنفصل (إياي) على الفعل وذلك يفيد التخصيص.

ولذا قال الرازي[٢]: وقوله: ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ يدل على أن المرء يجب أن لا يخاف أحداً إلا الله تعالى.

ويلحظ أن التعبير بالرهبة في الآية الثالثة جاء على وفق أسلوب (الإلتفات البلاغي) إذ التفت من ضمير الغائب في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ إلى ضمير المتكلم ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ وذلك لتخصيص الرهبة به سبحانه وحده بقوله: ﴿فَإِيَّايَ﴾ أي إرهبوني، ولو قال: (وإياه) لم يكن للتعبير مثل هذه الدلالة المخصصة بدقة[٣].

ووردت الرهبة في آيات أخرى دالة على خوف البشر من البشر، كرهبة المشركين من المؤمنين التي ذكرت في قوله تعالى مخاطباً المؤمنين: ﴿وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] وقوله: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ﴾ [الحشر: ١٣] وفي إسناد الرهبة إلى صدور الكافرين في الآية الثانية دلالة على أن الرهبة قد تغلغلت في نفوسهم، فهم وإن تظاهروا بالإستعداد لحرب المسلمين، إلا إنهم مهزوزون من دواخلهم، ولضعف عقيدتهم وخوفهم من المؤمنين، وبذلك ورد هذا الخطاب لتثبيت المسلمين ليعلموا أن عدوهم يرهبهم وإن تظاهر بالاستعداد للقتال.

ووردت الرهبة في الحديث عن سحرة فرعون الذين: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦] بصيغة (إستفعل) (إسترهب) المزيدة بالألف والسين والتاء، ومن معاني هذه الزيادة الدلالة على الطلب، تقول:

---

(١) الألفاظ النفسية ١٤١.

(٢) التفسير الكبير ٣/ ٤٠.

(٣) ألفاظ العبادات في القرآن الكريم ١٥٣.

إستفهمته: أي طلبت منه أن يفهمني[1]، وإلى هذا المعنى ذهب الزجاج[2] ففسر: ﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ في الآية بمعنى (إستدعوا رهبة الناس حتى رهبهم الناس)، وتابعه أحد المعاصرين في هذا التفسير، فذكر: أن المراد بالإسترهاب في الآية (طلب الرهب أي الخوف، وذلك أنهم غزروا تخيلات السحر بأمور أخرى تثير خوف الناظرين، لتزداد تمكن التخيلات من قلوبهم، وتلك الأمور أقوال وأفعال توهم أن سيقع شيء مخيف)[3].

والأولى حمل دلالة (إسترهب) في الآية على الجعل أو الحمل على الشيء، فيكون المعنى: (جعلوهم راهبين) إذ أن من معاني (إستفعل) في العربية: الدلالة على الجعل أو الحمل على الشيء، تقول: إستبكاه، واستفزه، واستخفه الغضب، واستزله الشيطان[4]،... وإلى هذا المعنى ذهب الراغب ففسر: (استرهبوهم) بمعنى: (حملوهم على أن يرهبوا)[5] أي جعلوهم.

وذكرت الرهبة في القرآن بصيغة الإسم: (الرهب)، و (الرهبانية)، قال تعالىٰ مخاطبا موسى عليه السلام: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ [القصص: ٣٢]، وقال تعالى في النصارى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧].

٣ ـ الإشفاق

يدل الفعل (أشفق) في العربية على الخوف، يقال: أشفق يشفق إشفاقا، فهو مشفق: أي خائف، ولمادة (شفق) دلالات أخرى، فالشَّفَق: الرَّديء من الأشياء، يقال: عطاءٌ مُشَفَّقٌ: أي مُقَلَّل، ومِلْحَفةٌ شَفَقُ النَّسْج: رَديئة، والشَّفَقُ: بَقِيَّة ضَوْء الشَّمس وحُمْرَتها من أوّل الليل إلى قريب من العتمة[6].

---

(١) الممتع في التصريف ١٩٥.
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٣٦٦.
(٣) التحرير والتنوير ٩/ ٤٨.
(٤) أوزان الفعل ومعانيها ١١١.
(٥) المفردات ٢٠٤ (رهب).
(٦) العين ٥/ ٤٤-٤٥، والصحاح ٤/ ١٥٠١-١٥٠٢، واللسان ١٠/ ١٧٩، ١٨٠ (شفق).

وعرّف الراغب الإشفاق بأنه: (عِنَاية مختلطة بخوف، لأن المشفق يحب المشفق عليه ويخاف ما يلحقه، فإذا عدي بمن فمعنى الخوف في أظهر، وإذا عدي بفي فمعنى العناية فيه أظهر)[١].

وذكر أبو هلال العسكري: أن (الشفقة: ضرب من الرقة، وضعف القلب ينال الإنسان.. ومن هذا الأصل قولهم: ثوب شفق إذا كان رقيقاً)[٢].

كما عرّف إبن القيم الإشفاق بأنه: (رقة الخوف، وهو خوف برحمة من الخائف لمن يخاف عليه، فنسبته إلى نسبة الرأفة إلى الرحمة، فإنها ألطف الرحمة وأرقها)[٣]، وما ذكره إبن القيم يمكن إطلاقه على الإشفاق المتعدي بحرف الجر (على) لا المجرد منه على سبيل لزوم الفعل، وذهب الرازي إلى أن: (الاشفاق يتضمن الخشية مع زيادة رقة وضعف)[٤][٥].

ومما تقدم يتبين أن هناك فرقاً دلالياً بين الإشفاق والخشية، ويؤكد هذا الفرق ورودهما في سياق واحد في ثلاث آيات من مجموع عشر من القرآن الكريم، قال تعالى في المؤمنين: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٩]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧]، والذي يمكن أن يجتنى مما سبق ذكره من أقوال اللغويين: أن الإشفاق أخص من الخشية، إذ هو خشية مقرونة بالضعف والرقة، والتضرع للمخشي، ولذلك لم يذكر الإشفاق مقروناً بالخشية إلا عند المؤمنين المتضرعين والمنقادين لله تعالى، كما هو واضح من الآيات التي أوردت آنفاً[٦].

وأسند الإشفاق في آيتين إلى الكافرين، ورد فيهما متعدياً بحرف الجر (من)، قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ [الكهف: ٤٩]، وقال تعالى:

---

(١) المفردات ٢٦٣-٢٦٤ (شفق).
(٢) الفروق اللغوية ٢٠٠.
(٣) مدارج السالكين ١/ ٥٥٥.
(٤) التفسير الكبير ٢٣/ ١٠٦.
(٥) الألفاظ النفسية ١٤٣.
(٦) الألفاظ النفسية ١٤٣.

﴿ تَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ ﴾ [الشورى: ٢٢]، والإشفاق إذا أسند إلى الكافرين دل على الخوف الشديد[١] دون أن يكون هذا الخوف مقترناً بحالة التضرع والرقة كما هي الحال لدى المؤمنين.

وأسند الإشفاق في القرآن إلى غير العقلاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، فحمل إسناده إلى السموات والأرض والجبال على التمثيل الذي يراد به تصوير عظم الأمانة الإلٰهية المحملة للإنسان، (فهي كما يبدو من نص القرآن من الخطورة والعظم بحيث تأبى على حملها عناصر الطبيعة الضخمة الثلاثة: السموات والأرض والجبال، وتشفق منها إستصغاراً لنفسها، وخوفاً من تبعتها)[٢].

٤ ـ الفزع

إنقباض مفاجىء يصيب القلب مقروناً بتوقع مكروه عاجل عند وقوع غارة أو عند سماع صوت هدة[٣].

يدل الفزع في العربية على الذّعر، يقال: فَزِعَ مِنْه وفَزَعَ فَزَعاً وفَزْعاً وفِزْعاً وأَفْزَعَه وفَزّعه: أخافَهُ ورَوَّعَهُ[٤]، قال سلامة بن جندل[٥]: كُنّا إذا ما أتَانَا صارِخٌ فَزِعَ كان الصُراخُ له قَرْعَ الظّنَابيبِ، ويعد الفعل (فَزِع) في العربية من الأضداد، إذ يطلق على الإغاثة والإستغاثة معاً[٦] يقال: فَزِعْتُ إليه فأفْزَعَني، أي لجأت إليه فأغاثني، والمفزع: الملجأ، يقال: فلان مفزع للناس، أي إذا دُهِمهم أمر فزعوا إليه وَلَجَأوا واستغاثوا[٧].

---

(١) التفسير الكبير ٢٧/ ١٦٣، وروح المعاني ٢٥/ ٢٩.
(٢) الطبيعة في القرآن الكريم ١٥٥.
(٣) الفروق في اللغة ٢٣٧، والمفردات ٣٧٩.
(٤) مقاييس اللغة ٤/ ٥٠١، والمخصص ١٢/ ١٢١، والصحاح ٣/ ١٢٥٨، واللسان ٨/ ٢٥١-٢٥٣ (فزع).
(٥) ديوان سلامة بن جندل، تحقيق فخر الدين قباوة ١٢٥.
(٦) الأضداد: الصنعاني (ضمن ثلاثة كتب في الأضداد) ٢٤١.
(٧) مقاييس اللغة ٤/ ٥٠١، والمخصص ١٢/ ١٢١، والصحاح ٣/ ١٢٥٨، واللسان ٨/ ٢٥١-٢٥٣ (فزع).

ويطلق (المُفزَّع) على الشُّجاع والجبان[١]، فيقال: فزَّعه: أي أخافَهُ، وفُزِّعَ عنه: أي كُشِفَ عنه الخوف[٢].

وفرّق أبو هلال العسكري بين الفزع والخوف: أن (الفزع مفاجأة الخوف عند هجوم غارة أو صوت هدة، وما أشبه ذلك، وهو انزعاج القلب بتوقع مكروه عاجل)، كما ذكر أنه يكون في أول الخوف ولذلك تقول: فزعت منه: أي هو ابتداء فزعي لأن (من) لابتداء الغاية، وفي ذلك تأكيد على دلالة الفزع على أول الخوف[٣].

فيتبين من قول أبي هلال أن الفزع غالباً ما يكون إنفعالاً يظهر منه اضطراب في صاحبه من توقع شدة أو مفاجأة، وذكر الراغب أن الفزع (إنقباض ونفار يعتري الإنسان من الشيء المخيف) وهو من جنس الجزع، ولذلك لا يقال: فزعت من الله كما يقال: خفت منه[٤]، وهو ملحظ دقيق.

ورد ذكر الفزع في ست آيات من القرآن الكريم، جاء في أربع منها بصيغة الفعل الماضي، مسنداً في إحداها إلى نبي الله داود عليه السلام، عندما دخل عليه الخصمان يستفتيان: ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُواْ لَا تَخَفْ﴾ [ص: ٢٢]، وقد ذكر ضياء الدين بن الأثير: أن الفزع في هذه الآية يحمل نفس دلالة الخوف، بدليل قول الملائكة لداود عليه السلام بعد أن فزع: ﴿لَا تَخَفْ﴾ فقابل الفزع بالخوف مقابلة الشيء بمثله لاتحادهما في المعنى وإن اختلف لفظاهما[٥].

وما ذكره إبن الأثير غير دقيق لأنه ينافي دقة القرآن في استعماله للألفاظ، وقد مر بنا ما ذكره أبو هلال العسكري والراغب في التفرقة الدقيقة بين اللفظين، لذلك فلا يمنع أن تقول الملائكة لداود عليه السلام بعد أن فزع لا تخف ما دام أن الفزع يكون

---

(١) الأضداد : الصنعاني (ضمن ثلاثة كتب في الأضداد) ٢٤١.
(٢) مقاييس اللغة ٤/ ٥٠١، والمخصص ١٢/ ١٢١، والصحاح ٣/ ١٢٥٨، واللسان ٨/ ٢٥١-٢٥٣ (فزع).
(٣) الفروق في اللغة ٢٠١.
(٤) المفردات ٣٧٩ (فزع).
(٥) المثل السائر ٣/ ١٦٠.

من شيء مخيف أيضاً، فإذا لم يخف لم يفزع قطعاً، وهذا لا يؤدي بالضرورة إلى كون الفزع والخوف شيء واحد كما ذكر إبن الأثير[1].

وذكر الفعل الماضي (فزع) أيضاً عند الحديث عن حال الناس في يوم البعث، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النحل: ٨٧]، وقال: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبأ: ٥١]، وقد جاء الفعل (فزع) بصيغة الماضي عند الحديث عن البعث مع أن هذا الحدث لم يقع بعد (للإشعار بتحقيق الفزع، وأنه كائن لا محالة، لأن الماضي يدل على وجود الفعل، وكونه مقطوعاً به)[2]، وبذلك أشعرت دلالة الفعل الماضي أن الزمن قد طوي فقامت الساعة وفزع من في السموات والأرض فكانت الصورة بذلك أبلغ وأوكد في تحقيق الفعل وإيجاده.

وذكر الفزع في آية بصيغة التضعيف (فزع) مبنياً للمجهول، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ [سبأ: ٢٣] ومن معاني التضعيف في صيغة (فعل) الدلالة على الإزالة، يقال: قد تذيت عينه: أي أزلت عنها القذى [3]، ولذلك فإن المراد من قوله تعالى: ﴿ فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾: أزيل الفزع عن قلوبهم[4]، ومما يؤكد ذلك تعديه بحرف الجر (عن) وقد بني الفعل (فزع) للمجهول (لتعظيم ذلك التفزيع بأنه صادر من جانب عظيم)[5].

وأما تعدية الفعل بحرف الجر (عن) ففيه دلالة على أنه سبحانه (أقام ذلك مقام التفريج عن قلوبهم فكما حسن أن يقال: فرّج عن قلبه، فكذلك حسن أن يقال: فزع عن قلبه)[6].

وذكر الفزع بصيغة الإسم في آيتين مسنداً إلى يوم البعث، قال تعالى في

(١) الألفاظ النفسية ١٤٥.
(٢) نفسه ٢/ ١٨٥.
(٣) الممتع في التعريف ١/ ١٨٩.
(٤) تلخيص البيان ٢٦٦.
(٥) التحرير والتنوير ٢٢/ ١٨٩.
(٦) تلخيص البيان ٢٦٦.

المؤمنين: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، قال القرطبي: (والفزع الأكبر أهوال يوم القيامة والبعث)[١]، وبذلك اقترن الفزع بيوم القيامة في عدد من النصوص القرآنية ليشعر بما في ذلك اليوم من الرعب والخوف الشديد الداعي إلى الإضطراب والإنزعاج[٢].

٥ ـ الرعب

وهو من ألفاظ الخوف أيضاً، يقال: رَعَبْتُ فلاناً رَعْباً فهو مَرْعُوبٌ مُرْتَعِبٌ أي فزِع[٣]، وتدل مادة (رعب) على القَطْع، ومنه قولهم للشيء المُقَطَّع: مرَعَّب، ويقال: رَعَبْتَ السَّنام: أي قَطَّعْتَه، كما تدل على الإمتلاء، ومنه قولهم: سيل راعب: إذا ملأ الوادي، ورعبت الحوض إذا ملأته[٤] وهو الانقطاع من امتلاء الخوف[٥]، وقيل: وهو أشد الخوف[٦].

وذكر الراغب: أن لدلالة الامتلاء والقطع علاقة بالرعب الدال على الخوف، ولذلك عرَّف الرعب بأنه (الإنقطاع من امتلاء الخوف)[٧].

وإلى هذا المعنى ذهب الزمخشري حينما فسر الرعب بأنه: (الخوف الذي يرعب الصدر أي يملؤه)[٨] وبذلك تكون دلالة الرعب أشد من دلالة الخوف.

ولذلك أسند هذا الشعور في أربع آيات ـ من مجموع خمس ـ إلى المشركين، منها آيتان في مشركي مكة وآيتان في يهود بني قريظة.

قال تعالى في مشركي مكة الذين اجتمعوا لقتال المؤمنين في غزوة بدر: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ [الأنفال: ١٢] وقال عنهم في غزوة أحد:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٢٩.
(٢) الألفاظ النفسية ١٤٦.
(٣) العين ٢/ ١٣٠ (رعب).
(٤) العين ٢/ ١٣١، ومقاييس اللغة ٢/ ١٤٠، والمفردات ١٦٧، والصحاح ٢/ ١٣٦ (رعب).
(٥) المفردات ١٩٧، وتاج العروس ١/ ٢٧١، وتفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم ٣٦٣.
(٦) تاج العروس ١/ ٢٧١.
(٧) المفردات ٩٧ (رعب).
(٨) الكشاف ٢/ ٧٠٩.

﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ ﴾ [آل عمران: ١٥١] وقال تعالى في يهود بني قريظة الذين تحالفوا ضد المؤمنين: ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾ [الأحزاب: ٢٦ والحشر: ٢].

ويلحظ أن القرآن استعار (القذف) في تصويره لرعب اليهود وهو أقوى في المعنى من (الإلقاء) في شأن المشركين، إذ أن استعارة القذف قد صوَّرت الرعب وجسمته وكأنه قذائف تدمي قلوب الذين كفروا، وهو على هذا المعنى القوي الشديد يتناسب مع قلوب اليهود القاسية الجافية للحق، كما يصور القرآن هذه الحقيقة[١].

وذكر الشريف الرضي: أن هذه الإستعارة صوَّرت الرعب وكأنه قد أُلقي في قلوب الكافرين (من أثقل جهاته، وعلى أقطع بغتاته، تشبيها بقذف الحجر إذا صكت الإنسان على غفلة منه، فإن ذلك يكون أملأ لقلبه وأشد لروعه)[٢] ولذلك قال تعالى: ﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَۚ ﴾ [الحشر: ٢].

وجسم الرعب في آية حين اقترن بحالة الإمتلاء، وذلك في قوله تعالى في تصوير أصحاب الكهف: ﴿ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ [الكهف: ١٨] قال الطبرسي[٣]: (أي ولملىء قلبك خوفاً وجزعاً). فعبَّر القرآن بالكل عن الجزء (وهو القلب)[٤] إشعاراً منه بهذا الرعب الغامر العظيم.

وفي إقتران الرعب بالإمتلاء، دلالة على تمكن هذا الشعور النفسي من القلب بحيث لا يخالطه تفكير في غيره، إذ من المعلوم أن الشيء إذا كان ممتلئا لا يبقى فيه سعة لزيادة شيء.

وبذلك تدخل الآية في باب (الإستعارة التمثيلية) في رأي إبن عاشور[٥].

---

(١) الإستعارة في القرآن الكريم: أحمد فتحي رمضان، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب في جامعة الموصل ١١٤.
(٢) تلخيص البيان ٢٦٤.
(٣) مجمع البيان ٦/ ٤٥٦.
(٤) البرهان في علوم القران ٢/ ٢٨٦.
(٥) التحرير والتنوير ١٥/ ٢٨٢.

٦ ـ الوجل

الوجل: استشعار الخوف، يقال: وَجِلَ يُوْجَلُ وَجَلاً فهو وَجِلٌ والأُنثى وَجِلَة[١].

قال معن بن أوس المزني[٢]: لعمرك ما أدري وإني لأوجل على اينا تعدو المنية أول.

والوجل: القلق وعدم الطمأنينة[٣]، وقيل: هو استشعار الخوف[٤]، والمراد بالإستشعار: الإظمار[٥].

وفرَّق أبو هلال العسكري[٦] بين الوجل والخوف، فجعل الأول خلاف الطمأنينة، فيقال: أنا على وجل، أي لست مطمأناً، ولا يقال: على خوف في هذا الموضع لأن الوجل يعني الإضطراب والقلق، فلا يتناول الخوف. وعرَّف إبن القيم[٧] الوجل بأنه: (رجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه) في حين ذكر إبن منظور: أن الوجل خوف مع فزع[٨] وكأنه أراد: خوف مع اضطراب الخائف وانزعاجه وقلقه.

وبذلك يتبين مما ذكره اللغويون أن الوجل أشد من الخوف إذ هو لا يأتي إلا إذا كان الموجل منه عظيماً فيؤدي استعظامه إلى الفزع، ولذلك وردت جميع الآيات التي ذكر فيها الوجل ـ وهي خمس آيات ـ مصورة وجل المؤمنين من الله تعالى العظيم في سلطانه وجلاله، ووجل نبي الله ابراهيم عليه السلام من الملائكة[٩].

أما وجل المؤمنين من الله فقد أسند في القرآن إلى قلوبهم كما قال تعالى في

---

(١) المفردات ٥١٣، والصحاح ٥/ ١٨٤٠، واللسان ١١/ ٧٢٢ (وجل).
(٢) ديوان معن بن أوس المزني ٩٣.
(٣) الفروق في اللغة ٢٣٨.
(٤) المفردات ٥١٣.
(٥) لسان العرب ٤/ ٢٢٧٣.
(٦) الفروق اللغوية ٢٠٢.
(٧) مدارج السالكين ١/ ٥٥٠.
(٨) اللسان ١١/ ٧٢٢ (وجل).
(٩) الألفاظ النفيسة ١٤٨.

المؤمنين: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال: ٢] وقال فيهم أيضاً: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

وفي إسناد الوجل في الآية الأولى إلى القلب مع اقترانه بذكر الله إشعار بأن (الواجب على من سمع ذكر الله تعالى والقرآن أن يتدبر معناه، وهذا هو الغرض فيه، لأن وجل القلب والخوف والخشية لا يكون بأن يسمع الكلام فقط من غير تدبر معناه، وإنما يقع بالتدبر والتفكر فيجب أن يلزم الأمر الذي يصح معه وجل القلب والخوف والخشية)(١).

وأما في الآية الثانية فيمكن الإستدلال بأن الوجل ليس خوفاً من معاص قد ارتكبها الإنسان، ولكنه خشية من عدم القبول لطاعات قد أداها، فأصحاب الوجل يخلصون الطاعات بلا تقصير أو كسل، ومع ذلك يوجلون وكأنهم قد ألمّوا بذنب، لأنهم يخافون أن لا تقبل أعمالهم الطيبة(٢).

ومن هنا، يتبين سبب اختصاص الوجل في القرآن بالمؤمنين فقط دون الكافرين أو المنافقين(٣).

وأما وجل نبي الله ابراهيم عليه السلام من الملائكة، فقد ذكر في قوله تعالى: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ۞ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ۞ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ [الحجر: ٥١-٥٣]، وقد شعر إبراهيم عليه السلام بالوجل لما رأى إعراض ضيوفه عن الطعام مما دعاه إلى الإرتياب في أمرهم وقد تقدم بيان هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ [هود: ٧٠].

٧ ـ الروع

الرَّوْعُ (بفتح الراء): الفَزَع، يقال: رُعْتُ فلاناً، ورَوَّعْتُهُ فارْتَاع أي أَفْزَعْتُهُ فَفَزِعَ، وتَرَوَّعَ: أي تَفَزَّع. ويقال: لا تُرَع، أي لا تَخَف ولا يلحقك خوف.

---

(١) متشابه القرآن: القاضي عبد الجبار الهمداني ١/٣١٣.

(٢) موسوعة أخلاق القرآن ٤/٢٣١.

(٣) الألفاظ النفسية ١٤٩.

قال أبو خرّاش الهذلي[1]:

رَمُوني وقالوا يا خُوَيْلد لا تُرَعْ فقلتُ وأنْكَرتُ الوجوهَ هُمُ هُمُ

والروع ـ بضم الراء ـ الخلد والنفس والعقل، يقال: وقع ذلك في روعي، أي في نفسي، وخلدي وبالي[2].

وذهب عدد من اللغويين إلى أن للروع ـ الدال على الخوف ـ علاقة بالروع ـ الدال على القلب أو النفس ـ فذكر إبن فارس[3]: أن الرع ـ وهو القلب ـ محل الروع ـ وهو الخوف ـ. وذكر الراغب[4]: أن (الروع إصابة الروع).

والروع هو أن يبلغ الخوف الروع، والروع هو النفس[5]، أو القلب[6].

ذكر (الروع) في القرآن في آية واحدة منسوباً إلى نبي الله إبراهيم عليه السلام الذي قال الله تعالى عنه: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٤].

والمتتبع لسياق الآيات قبل هذه الآية يجد أن هذا الروع الذي ذهب عن إبراهيم عليه السلام، إنما هو الخيفة التي أوجسها عندما جاءته الرسل من الملائكة، وهو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود: ٧٠][7].

٨ ـ الهلع

الهَلَع: أسوأ الجزع، وأفحشه، يقال: هَلَعَ يَهْلَعُ هَلَعاً وهُلوعاً، فهو هَلِعٌ وهَلُوعٌ، ورجلٌ هَلِعٌ: أي جزوع حريص[8]، وقال المبرد: (رجلٌ هَلُوعٌ، إذا كان لا

---

(١) ديوان الهذليين ٢/ ١٤٤.

(٢) العين ٢/ ٢٤٢، ومقاييس اللغة ٢/ ٤٥٩، ٤٦٠، والصحاح ٣/ ١٢٢٣، واللسان ٨/ ١٣٥، ١٣٦ (رعب).

(٣) مقاييس اللغة ٢/ ٤٦٠ (روع).

(٤) المفردات ٢٠٨ (روع).

(٥) الزاهر في معاني كلمات الناس ١/ ٥٣٠-٥٣١.

(٦) لسان العرب ٣/ ٧٧٧.

(٧) الألفاظ النفسية ١٥٠.

(٨) الصحاح ٣/ ١٣٠٨، واللسان ٨/ ٣٧٤، ٣٧٥ (هلع).

يصبر على خير ولا شر، حتى يفعل في كل واحد منهما غير الحق)[1].

ولمادة (هلع) معان أخرى، فالهَلَع والهُلاعُ والهَلَعان: الجبن عند اللقاء، وناقة هَلْوَاع: سريعة تخاف السوط، والهَلَع: الحزن، والهُلِع: الحزين، وشحٌ هَالِعٌ: أي محزن[2].

وذكر الرازي: أن (الهلع: لفظ واقع على أمرين:

أحدهما: الحالة النفسانية التي لأجلها يقدم الإنسان على إظهار الجزع والتضرع.

والثاني: تلك الأفعال الظاهرة من القول والفعل الدالة على تلك الحالة النفسانية)[3].

وهذا كلام فيه من الدقة وإصابة المعنى ما فيه إذا جمع فيه بين الشعور النفسي والسلوك المنبعث منه.

ذكر الهلع مرة واحدة في القرآن الكريم بصيغة (فعول)، قال تعالى: ﴿ ۞إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۞ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۞ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ١٩-٢١][4].

ولأن (فعول) من صيغ المبالغة فقد فسر إبن قتيبة الهلوع: بأنه (الشديد الجزع)[5].

وذكرت الدكتورة عائشة عبد الرحمن: أنه لا وجه للإختصار على ما ذكره المعجميون من تخصيصهم معنى الهلع بأفحش الجزع، أو الجزع الشديد، ولا سيما أن الآية القرآنية أعطت بياناً للهلوع بأنه: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۞ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ٢٠ ـ ٢١]، فالآية توضح أن الهلوع لا يقتصر على الجزع من الشر، بل قد يجزع البخيل أيضاً من إكراهه على بذل الخير[6].

---

(١) الكامل في اللغة والأدب: المبرد ٣/ ١٧٥.
(٢) اللسان ٨/ ٣٧٥ (هلع).
(٣) التفسير الكبير ٣٠/ ١٢٩.
(٤) الألفاظ النفسية ١٥٠.
(٥) تفسير غريب القرآن ٤٨٦.
(٦) الإعجاز البياني للقرآن ٤٥٥.

وما ذكرته الدكتورة عائشة قد سبقها إليه لغويون ومفسرون قدامى، قال أبو عبيدة: (﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ قد فسرها الله: لا يصبر، ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾)[1].

وقال ثعلب: (قد فسر الله الهلوع، وهو الذي إذا ناله الخير بخل به، ومنعه الناس)[2].

وقال الألوسي: (الهلع: سرعة الجزع عند مس المكروه، وسرعة المنع عند مسّ الخير)[3].

وبذلك لم يقتصر هؤلاء اللغويون في تفسير الهلع على شدة الجزع، بل أضافوا المنع من الخير الذي يدل عليه السياق[4].

٩ ـ الفرق

خوف يتفرق منه القلب، والتفرق بالصدع والشق[5].

والفرق: الخوف الشديد[6]، وأصل الفرق: إنزعاج النفس بتوقع الضرر، قيل: وهو من مفارقة الأمن إلى حال الخوف[7]، يقال: فرق كفرح، أي فزع، والفرق ـ بفتحتين ـ الفزع[8].

قال تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ [التوبة: ٥٦]، قال الإمام الطبري: يقول الله تعالى ذكره: ويحلف بالله لكم أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون كذباً وباطلاً خوفاً منكم، أنهم لمنكم في الدين والملة،

---

(١) إعجاز القرآن ٢/ ٢٧٠.
(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ١٨٨.
(٣) روح المعاني ٢٩/ ٧٦.
(٤) الألفاظ النفسية ١٥١.
(٥) المفردات ٣٧٨.
(٦) التحرير والتنوير ١٠/ ٢٣٠.
(٧) روح المعاني للآلوسي ١٠/ ١١٨.
(٨) روح البيان للبروسوي ١٠/ ٤٥٠.

يقول الله تعالى مكذباً لهم: ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ أي ليسوا من أهل دينكم وملّتكم، بل هم أهل شك ونفاق، ﴿وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ يقول: ولكنهم قوم يخافونكم، فهم خوفاً منكم يقولون بألسنتهم: إنّا منكم، ليأمنوا فيكم فلا يقتلوا(١).

وقال القرطبي رحمه الله: والفرق: الخوف، أي يخافون أن يظهروا ما هم عليه فيقتلوا(٢).

وقال آخرون: ﴿وَيَحْلِفُونَ﴾ أي المنافقون ﴿إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ أي لمن جملة المسلمين ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ لكفر قلوبهم ﴿وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ أي يخافون منكم أن تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الإسلام تقية ويؤكدونه بالأيمان الفاجرة(٣).

وقال صاحب التحرير والتنوير: ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ كلام موجه لصلاحيته لأن يكون معناه أيضاً: وما هم منكم ولكنهم قوم متصفون بصفة الجبن، والمؤمنون من صفتهم الشجاعة والعزة، فالذين يفرقون لا يكونون من المؤمنين(٤).

١٠ ـ الإيجاس

الوجس: أن ينتاب قلب الإنسان خوف لصوت، أو حركة يحس بها فيظهر منه ذلك الخوف(٥).

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ [طه: ٦٧] وقال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨].

---

(١) جامع البيان ١٠/ ١٥٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٨/ ١٠٥.

(٣) روح البيان: البروسوي ١٠/ ٤٥٠، وروح المعاني ١٠/ ١١٨، محاسن التأويل ٨/ ٢٣٧، الأساس في التفسير: سعيد حوى ٤/ ٢٣٠٣، مفردات القرآن (تفسير وبيان): محمد حسن الحمصي ١٩٦.

(٤) تفسير التحرير والتنوير ١٠/ ٢٣٠.

(٥) العين ١٦١، والألفاظ الكتابية ٧١، ومقاييس اللغة ٦/ ٨٧، والقاموس المحيط ٦/ ٢٥٧، وتاج العروس ٤/ ٢٦٦.

الفصل الثاني
أهمية الخوف وضرورته

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: أهمية الخوف من الله سبحانه وتعالى.

المبحث الثاني: الأمر بالخوف والدعوة إليه والحثّ عليه.

المبحث الأول
أهمية الخوف من الله سبحانه وتعالى

للخوف أهمية كبيرة ومنزلة رفيعة لذلك ينبغي أن يعلم المسلم أنه مأمور بأن يخاف من الله تعالى أشد الخوف.

وقد فرض سبحانه وتعالى على عباده أن يخافوه ويخشوه في السر والعلن وأشار إلى ذلك في القرآن الكريم في كثير من آياته إلى سلوك سبيل الخوف من الله عز وجل، بل نستطيع القول: إن أكثر ما في القرآن الكريم هو دعوة إلى الخوف منه سبحانه وتعالى فأمره بحكم ينبغي تطبيقه يفهم إن عدم تطبيقه يستلزم الخوف.

قال تعالى آمراً عباده بالخوف: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

يقول الطبري: (فلا تخافوا أيها المؤمنون المشركين، ولا يعظمن عليكم أمرهم، ولا ترهبوا جمعهم مع طاعتكم إياي، ما أطعتموني، واتبعتم أمري، وإني متكفل لكم بالنصر والظفر ولكن خافوني دون المشركين، ودون جميع خلقي أن

تخالفوا أمري إن كنتم مصدّقي رسولي، وما جاءكم به من عندي)[1].

(وخافون) فجاهدوا مع رسولي وسارعوا إلى ما يأمركم به، فلا تخافوا أولياء الشيطان بل خافوا الله وحده (إن كنتم مؤمنين) يعني أن الإيمان يقتضي أن تؤثروا خوف الله على خوف الناس[2].

وما يشعر المسلم بهذه الأهمية الكبيرة للخوف إلا لأن الآيات التي وردت في القرآن الكريم كثيرة تبين أهمية الخوف وتدعو إليه.

وتذكر ضرورته وأمر الله تعالى به والحث عليه.

قال تعالى: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ [الزمر: ١٦].

قوله (ذلك يخوِّف الله به عباده يا عباد فاتقون) يقول الإمام الطبري: (يقول تعالى ذكره: هذا الذي أخبرتكم أيها الناس به، مما للخاسرين يوم القيامة من العذاب، تخويف من ربكم لكم، يخوِّفكم به لتحذروه، فتجتنبوا معاصيه، وتنيبوا من كفركم إلى الإيمان به، وتصديق رسوله، وإتباع أمره ونهيه، فتنجوا من عذابه في الآخرة (فاتقون) يقول: فاتقون بأداء فرائضي عليكم، واجتناب معاصيّ، لتنجوا من عذابي وسخطي)[3].

وقال ابن كثير رحمه الله: قوله: (ذلك يخوف الله به عباده) أي إنما يقص خبر هذا الكائن لا محالة ليخوف به عباده لينزجروا عن المحارم والآثام وقوله تعالى: (يا عباد فاتقون) أي اخشوا بأسي وسطوتي وعذابي ونقمتي[4].

وقال القرطبي رحمه الله: قوله: (يا عباد فاتقون) أي يا أوليائي فخافون[5].

وحذّر سبحانه وتعالى عباده أن يحذروه ويخافوه فقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨].

قال الرازي رحمه الله: (هو لتأكيد الوعيد)[1].

يعني تعالى ذكره: (ويخوفكم الله من نفسه أن تركبوا معاصيه أو توالوا أعداءه، فإن لله مرجعكم ومصيركم بعد مماتكم، ويوم حشركم لموقف الحساب)[2].

وقال ابن كثير رحمه الله: أي يخوفكم عقابه[3].

ويتنوع أسلوب القرآن الكريم إلى عرض أهمية الخوف في آية من آياته ألا وهي رؤية البرق قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ [الرعد: ١٢].

(والخوف ليس مقصوداً لذاته، بل هو مقصود لغيره قصد الوسائل. ولهذا يزول بزوال المخوف، فإن أهل الجنة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)[4].

وللخوف درجات مثل: الرعب والخشية والرهبة والفزع والروع، ولكني سأتحدث عن الخوف في القرآن بشكل عام دون الدخول في تفصيل دلالات هذه الألفاظ.

ولما كان الخوف مذموماً معظم الأحيان، إذ يصور الضعف المرذول عند الإنسان ويترجم عن الخور الذي ينبغي التغلب عليه فقد جاء لفظ الخوف في القرآن الكريم في كثير من المواضع مقرونا بـ (لا) الناهية، تنهى عن الخوف، وتحض على مغالبته ومقاومته.

نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

وقوله: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه: ٦٨]، وقوله: ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ

(١) تفسير الفخر الرازي ٨/١٨.
(٢) جامع البيان ٣/ ٢٣٠
(٣) تفسير إبن كثير ٢/ ٢٨
(٤) مدارج السالكين ١/ ٥١٤.

﴿إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٠]، وقوله: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ٢١]، وقوله: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ١٠] وقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥]، وقوله: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾ [القصص: ٣١]، وقوله: ﴿وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ [العنكبوت: ٣٣]، وقوله: ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُواْ لَا تَخَفْ﴾ [صٓ: ٢٢]، وقوله: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ [القصص: ٧].

ولكن الخوف الذي يأمر به القرآن ويحض عليه هو الخوف من الله تعالى ذلك لأنه رأس الحكمة. إذ يضبط النفس الجامحة ويكفها عن مباشرة الاعتداء في غيبة الرقباء وكفى بالله رقيباً.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [المائدة: ٤٤].

ولقد امتدح الله سبحانه وتعالى المؤمنين الذين يخافونه ويخشونه، وبيَّن أنهم يحظون بنعمته في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ ـ ٤١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢].

ومن خلال استقرائي لآيات القرآن الكريم التي تحدثت عن الخوف، وجدت أن أنواع الخوف التي تحدث عنها القرآن الكريم تتلخص في ستة أنواع هي(١):

١ - الخوف من الله سبحانه وتعالى.

٢ - الخوف من الموت.

---

(١) الغرائز في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، محمد الجمل، الجامعة الأردنية ١١٥.

٣ - الخوف من العدو.

٤ - الخوف من الفقر وعلى الرزق.

٥ - الخوف من المفاجآت والمجهول.

٦ - الخوف على المبدأ وضياع العقيدة.

أولاً: الخوف من الله تعالى

(موضوع الحديث عن هذا النوع من الخوف هو غريزة التدين لأن الخوف من الله تعالى مظهر من مظاهر هذه الغريزة، فالخوف من الله عبادة، ولكنني بنيت غريزة التدين من هذا الفصل على شيء من التوسعة في نهاية هذا الفصل في ضرورة الخوف والأمر به والحث عليه، فأُشير إلى هذا النوع من الخوف هنا إشارة فقط)(١).

ثانياً: الخوف من الموت

الإنسان بطبعه ينفر من الموت ويهرب منه، قال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩].

الخطاب في الآية للإنسان من حيث هو إنسان، دون تخصيص لمؤمن أو كافر، فطبيعة الإنسان تنفر من الموت وتحيد عنه بما ركب في فطرتها من حب البقاء والخلود.

والموت في عرف الناس وحكمهم مصيبة من المصائب التي يبتلى بها الناس في حياتهم.

قال تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [المائدة: ١٠٦]. والناس بفطرتهم أيضاً ينفرون من المصائب، لأنها تتعارض مع ما ركب في الإنسان وغرز من حب البقاء.

ولقد صوَّر لنا القرآن الكريم خوف اليهود من الموت في أكثر من آية، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن

---

(١) الغرائز في القرآن الكريم ١١٧.

﴿كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ * وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ . . .﴾ [البقرة: ٩٤ - ٩٦].

وشبيه بهذه الآيات ما جاء في سورة الجمعة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ ... وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ * قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: ٦ - ٨].

وقد حرص القرآن على أن يوجه الناس إلى عدم الخوف من الأمور التي من شأنها أن تثير الخوف في الناس عادة، كالموت، والفقر. ففيما يتعلق بالخوف من الموت فقد بيَّن لنا القرآن أن الحياة الدنيا حياة فانية وأن نعيمها زائل، وأن الحياة الآخرة هي الحياة الباقية، وأن نعيمها خالد لا يزول، وأن الموت ليس إلا مرحلة تنقلنا من هذه الحياة الفانية إلى الحياة الباقية الخالدة. ولذلك فإن المؤمن الصادق الإيمان لا يخاف الموت، لأنه يعلم أن الموت سينقله إلى نعيم الحياة الخالدة الباقية التي وعد الله بها عباده المتقين.

قال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

ويبيِّن القرآن الكريم أيضاً أن لا مجال للهرب من الموت فهو يطال الإنسان في أي ظرف وحين، فلا داع للهرب، لأنه لا يجدي. قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ﴾ [النساء: ٧٨].

والموت حقيقة حتمية لا مفر منها وكأس كل الناس شاربه، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٥٧﴾ [العنكبوت: ٥٧].

ويبيِّن القرآن أيضاً أن عمر الإنسان بيد الله وحده، فلا يستطيع كائن أن يزيد في عمر إنسان أو ينقص منه أو يتحكم فيه، فحياته وموته بإذن الله وما نراه من مظاهر وأشكال للموت إنما هي أسباب هيأها الله لذلك ولكن الناس جميعاً لو اجتمعوا على أن ينهوا حياته ولم يقدّر له الله ذلك لم يفلحوا. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

إن هذه المفاهيم التي عمل القرآن الكريم على ترسيخها في نفوس المسلمين كان لها أكبر الأثر في النظرة إلى الموت نظرة إيجابية فقد أقدم المسلمون على الحياة بفاعلية ونشاط وعمروها بمقتضى شرع الله ولم يكن للسلبية القاتلة أي مجال للدخول إلى نفوسهم فكان لربط أجل الإنسان وما يصيبه في الدنيا بيد الله الدور العظيم في تحقيق المسلم لخلافته في الأرض كما يريدها الله ففتحوا البلاد وأدخلوا في الإسلام العباد واستطاعوا السيطرة على نوازعهم الفطرية في الخوف من الموت الذي يسيطر على الإنسان ويقعده عن العمل ويشل حركة الحياة، ومفاهيم الإسلام حول الموت تجعل المسلم يلاقي الموت برضى وقبول واطمئنان على أنه حقيقة قررها الله في هذا الوجود، وبسبب ما قدم من جميل العمل وحسن الطاعة لله لا كموقف اليهود الذين يكرهون الموت ويفرون منه - كما ذكر القرآن ـ لسوء ما قدمت أيديهم[(١)].

ثالثاً: الخوف من العدو

لقد جاء الحديث في القرآن الكريم عن هذا النوع من الخوف مسهباً، وأستطيع أن أصنف هذا الخوف كما تحدث عنه قرآننا الكريم في صورتين:

١ - صورة الخوف الفردي من العدو.

٢ - صور الخوف الجماعي منه.

ومن صور الخوف الفردي في القرآن الكريم من العدو ما جاء في أكثر من موضوع في قصة موسى عليه السلام، قال تعالى يصف خوف موسى من فرعون إثر قتله دون قصد للرجل القبطي: ﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ١٨].

وقال تعالى في نفس الموضوع: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٢١].

وأما عن صور الخوف الجماعي من العدو كما يصورها القرآن الكريم منها ما يلي:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا

(١) الغرائز في القرآن الكريم ١٤٣-١٤٥.

﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ * هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا * وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ٩ ـ ١٢].

تصوّر الآيات الكريمة خوف المسلمين لما أحاط الأحزاب بهم في غزوة الخندق من كل جانب ورمت العرب المسلمين من قوس واحدة، ونقضت بنو قريظة اليهودية عهدها مع المسلمين ـ شأن اليهود في كل آن وحينٍ لا يحفظون عهداً ولا يراعون ذمة ـ عندئذ عظم البلاء على المسلمين فاشتد الخوف.

يقول إبن هشام: (أتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل الظن ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن قشير: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط)[١].

وعلاج الخوف من الأعداء هو نفس علاج الخوف من الموت، إذ إن بعض حالات الخوف من الأعداء تكون خوفاً من القتل والموت ولها علاقة مباشرة بأجل الإنسان وحياته. فما قيل هناك عند علاج الخوف من الموت يمكن أيضاً أن يقال هنا عند خوف الأعداء على الحياة والنفس.

فالقرآن يقرر أن المخلوقات جميعاً مصيرها إلى فناء وموت وأن ليس هناك بقاء إلا لخالق الكون والمخلوقات، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمٰن: ٢٦ ـ ٢٧].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

والله تعالى هو الذي يهب الحياة وهو الذي ينزعها متى شاء وكما يريد، فهو خالق الحياة والأحياء، وخالق الموت والفناء.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

---

(١) تهذيب سيرة إبن هشام، عبد السلام هارون ٢١٨.

وما دام البشر جميعاً مهما اختلفت منازلهم أمام حتمية الموت، سواء ضعفاء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرّاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً، فقد دعانا القرآن الكريم في غير ما آية إلى عدم الخوف من الناس فالناس أضعف وأهون من أن يخاف منهم، ويوجهنا إلى أن نتوجه بالخوف إلى الله وحده فهو الحقيق بأن يخشى منه(١).

قال تعالى: ﴿ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

رابعاً: الخوف من الفقر

الخوف من الفقر من المخاوف التي وجدت مع الإنسان منذ وجوده، فغريزة حب البقاء التي فطر عليها الإنسان من أبرز مظاهرها الخوف من الفقر، ومن مظاهر الخوف من الفقر - الذي هو شائع بين الناس ـ الخوف من الجوع والعري وعدم وجود السكن وعلى رزق الأولاد والعيال، وأن تصبح في وضع يتكفف فيه الناس لذا فقد كان من أوائل الأشياء التي وجه الله تعالى نظر آدم عليه السلام إليها في الجنة أن طمأنه على رزقه ونزع مظهر الخوف من الفقر والمشقة في الحصول على الرزق من قلبه فقال تعالى يخاطبه: ﴿ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ * إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ [طه: ١١٧ - ١١٩].

ولقد جاء ذكر الخوف مقترناً بالجوع في أكثر من موضع في القرآن الكريم، والأكل والطعام حاجة عضوية لا قيام لحياة الإنسان دون إشباعها، فاقتران الخوف به وهو غريزة يشير إلى الأهمية البالغة لهذا الانفعال فأهميته تضارع أهمية الحاجة

---

(١) الغرائز في القرآن الكريم ١٤٥، ١٤٦.

العضوية فيسعى الإنسان للتغلب على الخوف سعيه للتغلب على الجوع.

قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

وقال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ * ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ [قريش: ٣ ـ ٤].

فالآيات السابقة تشير إلى الأهمية الخاصة لكل من دافع الجوع ودافع الخوف في حياة الإنسان فكل منهما له دور هام في حياة الإنسان إذ يجد الإنسان في العادة كثيرا من العناء في سبيل الحصول على لقمة العيش لنفسه وزوجه وأولاده، كما أن الخوف من الموت أو المستقبل المجهول أو من الأعداء أو من غير ذلك من مصائب الدهر كثيراً ما يكون سبباً في شقاء الإنسان، ولذلك فقد ذكرت هذه الآيات كلاًّ من الجوع والخوف متلازمين لما لهما من أثر خطير في حياة الإنسان.

وقد نقل لنا القرآن الكريم أن عرب الجاهلية كان يدفعهم الفقر والخوف منه إلى فعل منكر قبيح تنحط معه إنسانية الإنسان إلى أسفل دركاتها، لقد قام بعضهم بقتل أبنائه سواء عندما يكون الفقر أمراً واقعاً حاصلاً أم لم يكن حاصلاً ولكن يخشى وجوده وهو انحراف قلَّ أن يوجد في بني البشر الذين فطرهم الله على الأبوة والأمومة، بل إن الحيوانات من أشرسها إلى أودعها تترفع عن مثل هذا السلوك، ولكن الإنسانية حين تنحدر وتسف عن منهج الخير والصلاح فتصبح القلوب كالحجارة بل أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يهبط من خشية الله[1].

يقول تعالى ناعياً عليهم سلوكهم المشين هذا: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١].

خامساً: الخوف من المفاجآت والمجهول

من أبرز الأشياء التي توضح فطرية الخوف عند الإنسان المفاجآت التي تعرض

---

(١) الغرائز في القرآن الكريم ١٢٦، ١٢٧.

له في حياته من حيث لا يتوقع حدوثها، فينفعل مع هذا الحديث المخيف، وتبدو عليه مباشرة آثار الانفعال والخوف، مثل الدهشة وتغير الملامح وامتقاع الوجه أو الهرب وغيرها. وقد تحدَّثت بعض آيات القرآن الكريم عن هذا النوع من الخوف الفطري، وسأدرس هنا بعض هذه الآيات. قال تعالى:

﴿ ۞وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ۞ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ. . . ﴾ الآيات [ص: ٢١ ـ ٢٢].

لقد فزع سيدنا داود عليه السلام عندما فاجأه الخصمان بدخولهما عليه المحراب، مع أنه عزل نفسه عن الناس في هذا الموقف للعبادة، واحتاط باحتياطات تمنع الناس من الدخول إليه، فلما فاجأه الخصمان بذلك الدخول فزع، وهي حالة طبيعية عند بني البشر.

قال إبن عاشور: والفزع: الذعر، وهو إنفعال يظهر منه اضطراب على صاحبه من توقع شدة أو مفاجأة. والخوف إنفعال جبلي وضعه الله في أحوال النفوس عند رؤية المكروه، فلا تخلو من بوادره نفوس البشر فيعرض لها ذلك الانفعال بادىء ذي بدء ثم يطرأ عليه ثبات الشجاعة فتدفعه عن النفس، ونفوس الناس متفاوتة في دوامه وانقشاعه[(١)].

ومن الآيات التي تحدثت عن هذا النوع من الخوف أيضا، الآيات التي تحدثت عن سيدنا موسى عليه السلام عندما ناداه ربه بالواد المقدس طوى، وأمره أن يلقي عصاه فألقاها فإذا هي حية تسعى، فأصابه الخوف والفزع وولَّى مدبراً ولم يعقب حتى طمأنه الله تعالى فهدّأ روعه.

تكرر عرض هذا المشهد من قصة موسى عليه السلام في سورة طه وسورة النمل وسورة القصص وإليك نصوص هذا المشهد:

قال تعالى في سورة طه:

﴿. . . وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۞ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ٢٣/ ٢٣٢، ٢٣٣.

﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ * قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ * فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ١٧ - ٢١].

فشدة الخوف من نبي الله موسى عليه السلام دفعته هنا إلى شدة الهرب بصورة تعبير القرآن (ولّى مدبرا ولم يعقب).

وهذا التعبير استعمل مع سيدنا إبراهيم ومع سيدنا موسى عليهما السلام.

نبدأ بالحديث عن سيدنا إبراهيم عليه السلام، وقد ورد ذلك في موضعين في سورة (هود) وفي سورة (الذاريات):

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ * فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٦٩ ـ ٧٠].

وقال تعالى في سورة الذاريات: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٤ ـ ٢٨].

قال أبو السعود: (فلما رأى أيديهم لا تصل إليه) لا يمدون إليه أيديهم للأكل (نكرهم) أي أنكرهم. يقال: نكره وأنكره واستنكره بمعنى، وإنما أنكرهم لأنهم كانوا إذا نزل بهم ضيف ولم يأكل من طعامهم ظنوا أنه لم يجيء بخير (وأوجس منهم) أي أحس وأضمر من جهتهم خيفة (قالوا لا تخف) لم يقولوا ذلك بمجرد ما رأوا من مخايل الخوف إزالة له منه بل بعد إظهاره ـ عليه الصلاة والسلام ـ له قال تعالى في سورة الحجر: ﴿قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الحجر: ٥٢]. ولكن لم يذكر ذلك هنا اكتفاءً بذلك[١].

سادساً: الخوف على المبدأ والعقيدة

إن هذا النوع من الخوف والحرص محمود وممدوح، لذا فقد حثّ القرآن عليه

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبو السعود)، أبو السعود بن محمد العمادي الحنفي ٣/ ٣٣ بتصرف.

وبين حرص الدعاة عليه من الأنبياء وغيرهم، ولذا فهذا النوع والنوع الأول من الخوف وهو الخوف من الله تعالى لن يدخلا ضمن مقصود المطلب التالي الذي سأعقده من هذا المبحث وهو (علاج القرآن لظاهرة الخوف) لأنهما من أنواع الخوف المرجوة والتي إذا لم توجد وجب العمل لإيجادها.

لقد حدثنا القرآن في غير ما آية عن هذا النوع من الخوف، وسأعرض هنا لبعض ما جاء في القرآن عن مظاهره وقد رأيت أن أهم مظاهر هذا النوع من الخوف هو الخوف على أصل المبدأ أو العقيدة من الضياع:

أبدأ بما جاء في سورة مريم عن خوف زكريا عليه السلام على دعوته.

قال تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ * ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ * إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ١ ـ ٦].

هذا زكريا عليه السلام، عبد الله ورسوله وحامل دعوته، يبلغ من الكبر مبلغه، ويدرك أن ليس في العمر بقية بقدر ما مضى، وليس معتمداً على مواليه وهم بنو العم وعصبة الرجل الذين يلونه في النسب(١) في القيام مقامه في حمل الدعوة، فدعا ربه أن يهبه من يرثه في شأن الدعوة.

قال الراغب: خوفه من الموالي أن لا يراعوا الشريعة ولا يحفظوا نظام الدين، لا أن يرثوا ماله كما ظنَّه بعض الجهلة، فالقنيّات الدنيوية أخسّ عند الأنبياء من أن يشفقوا عليها(٢).

وقال ابن كثير: إنه لم يذكر أن زكريا عليه السلام كان ذا مال بل كان نجاراً يأكل من كسب يديه، مثل هذا لا يجمع مالاً لا سيما الأنبياء، فإنهم كانوا أزهد شيء في الدنيا، ثم إنه قد ثبت في الصحيحين من غير وجه أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّا

---

(١) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٣/٣١٩.
(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني ١٦٢.

معشر الأنبياء لا نورث. ما تركناه صدقة»[1]. وعلى هذا فتعين حمْلُ قوله (فهب لي من لدنك ولياً يرثني) على ميراث النبوة ولهذا قال: (ويرث من آل يعقوب) كقوله: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦]، أي في النبوة[2].

فانظر إلى عظم هذا الحرص على الدعوة، فهو يريد أن يطمئن على استمرار دعوته حتى بعد موته، ويستجيب الله له ويهبه نبياً يأخذ الكتاب بقوة ويحمل دعوة الله ويقوم بأعبائها خير مقام ويقتل في سبيلها، وهذا يؤكد أن الميراث هو ميراث الدعوة والعلم والرسالة[3].

المبحث الثاني

الأمر بالخوف والدعوة إليه والحث عليه

الخوف خلق من أخلاق القرآن الكريم نبّه إليه ودعا إليه وأمر به. وهذا الخوف الذي دعى إليه القرآن الكريم هو خوف محمود فقال تعالى: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥].

وقال عن عباد الله الأبرار: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٧].

يقابل هذا الخوف الذي دعا إليه القرآن الكريم الأمن القائم على الاغترار أو الكفران أو الجهل وقد نفَّر منه القرآن وحذَّر فقال: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧ـ٩٩].

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الفرائض ٨٥، باب (قول النبي ﷺ: لا نورث ما تركناه صدقة) رقم ٣ حديث رقم ٦٧٢٦، ٦٧٢٧، ٦٧٢٨، ٦٧٣٠.

(٢) مختصر تفسير إبن كثير، محمد علي الصابوني ٢/ ٤٤٣.

(٣) الغرائز في القرآن الكريم ١٣٤، ١٣٥.

إن المتتبع لآيات القرآن الكريم بخصوص الخوف يجد فيه أن الله تعالى فرض على عباده الخوف فقال: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] وهذه الدعوة التي أمرهم فيها تدل على أنه أمر مهم جدا ليست كباقي الدعوات ذلك لأن مصير الإنسان متوقف عليها.

ولقد تكررت الدعوة إلى الخوف من الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم على أنواع متعددة (والذي نقصده هنا في هذا البحث هو الخوف من الله سبحانه وتعالى أي من حسابه وعقابه وسطوته وعذابه) وهي التي تتعلق بالحياة الآخرة للإنسان، أي عند قيام الساعة والبعث والحساب وغيرها. ولم أشأ أن أتحدث عنها بالتفصيل لأن الحياة الآخرة لها خصوصياتها وتختلف اختلافاً جذرياً عن الحياة الدنيا وما يحدث فيها، وإنما أشير إلى ما جاء من آيات القرآن في الدعوة إلى الخوف من هذا اليوم دون الدخول في التفصيليات التي تخرجنا إلى موضوعات أخرى.

وعند استقرائي لآيات القرآن الكريم رأيت أن الآيات التي تحدثت عن أنواع الخوف جاءت على أشكال مختلفة تصب كلها في قالب واحد وهو الخوف منه جل وعلا بالانقياد والإذعان لأوامره وحفظ فرائضه وحدوده واجتناب محارمه ونواهيه، وتذكر يوم القيامة من مرحلة الموت إلى انقسام الناس فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير.

فكانت أساليب الدعوة إلى الخوف متنوعة أهمها وأشدها هو: خوف الله سبحانه وتعالى وحده دون خوف أحد سواه.

ويمكن ترتيب أنواع الخوف على النحو التالي:

أولا: الخوف من الله سبحانه وتعالى.

ثانياً: خوف يوم القيامة

وسنبين لكل نوع بأمثلة من الكتاب العزيز ما يدل على ورود هذه الأنواع في القرآن الكريم.

أولاً: الخوف من الله سبحانه وتعالى

فرض الله سبحانه وتعالى الخوف على كل إنسان، لأن الخوف من الله من الدعائم التي قامت عليها الحياة الروحية لأنها تسمو بالإنسان إلى كل خير، لذلك جاءت الأديان تسعى لغرس هذه النزعة في نفوس الأفراد مبينة ما يؤدي إليه غضب الله من العقاب الدنيوي والأخروي(1).

وإذا تتبعنا آيات الخوف من الله سبحانه وتعالى وجدناها تنقسم إلى أربعة أقسام:

١ ـ الآيات التي تأمر بالخوف من الله تعالى.

٢ ـ الآيات التي تؤكد ضرورة الخوف من الله تعالى.

٣ ـ الآيات التي تدعو إلى الخوف من الله تعالى.

٤ ـ الآيات التي تحث على الخوف من الله تعالى.

وسأبين لكل قسم من هذه الأقسام الآيات الدالة على ذلك:

١ ـ الآيات التي تأمر بالخوف من الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وقال تعالى: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ [الزمر: ١٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠].

ولا نريد أن نفسر جميع هذه الآيات لأنها مفهومة من ظاهرها ولنأخذ آية واحدة.

قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

قوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ أي لا تخافوا الكافرين المذكورين في قوله: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، ﴿وَخَافُونِ﴾ أي خافوني في ترك أمري إن كنتم مصدقين

---

(1) روح الدين الإسلامي، عفيف عبد الفتاح طبارة ١٨٣.

بوعدي، فالخائف من الله تعالى هو أن يخاف أن يعاقبه إما في الدنيا وإما في الآخرة. ففرض الله على عباده أن يخافوه فقال: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ وقال: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ ومدح المؤمنين بالخوف فقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠][1].

وقال الطبري رحمه الله: قوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ يقول: فلا تخافوا أيها المؤمنون المشركين، ولا يعظمن عليكم أمرهم، ولا ترهبوا جمعهم مع طاعتكم إياي، ما أطعتموني، واتبعتم أمري، وإني متكفل لكم بالنصر والظفر، ولكن خافون، واتقوا أن تعصوني، وتخالفوا أمري، فتهلكوا إن كنتم مؤمنين، يقول: ولكن خافون دون المشركين، ودون جميع خلقي أن تخالفوا أمري إن كنتم مصدّقي رسولي، وما جاءكم به من عندي[2].

وقال إبن كثير رحمه الله: قوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ إذا سوّل لكم وأوهمكم فتوكلوا عليّ والجأوا إليّ، فأني كافيكم وناصركم عليهم[3].

وقال آخرون: قوله: ﴿وَخَافُونِ﴾ فجاهدوا مع رسولي وسارعوا إلى ما يأمركم به، فلا تخافوا أولياء الشيطان بل خافوا الله وحده ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ يعني أن الإيمان يقتضي أن تؤثروا خوف الله على خوف الناس[4].

٢ ـ الآيات التي تؤكد ضرورة الخوف من الله تعالى:

الخوف ضروري لأنه يجعل العبد على مراقبة وحذر لنفسه في كل حال، وإذا أمعنا النظر في آيات كتاب الله العزيز نجد أن أكثر ما في القرآن من آيات هي أما إنذار أو تبشير وما هذا الإنذار إلا تخويف من الله تعالى على ضرورة الانقياد لأمر الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٤/ ١٨١.
(٢) جامع البيان ٤/ ١٨٤.
(٣) تفسير إبن كثير ٢/ ١٦٤.
(٤) تفسير الفخر الرازي ٩/ ١٠٥، محاسن التأويل ٤/ ٢٩٧، الأساس في التفسير ٢/ ٩٤٠.

وقال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩﴾ [النحل: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ [الرعد: ١٣].

ولنأخذ الآية الأولى وما قال المفسرون فيها:

قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾.

فإنه يقول: وما نرسل بالعبر والذكر إلا تخويفاً للعباد، قال قتادة، قوله: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ وإن الله يخوّف الناس بما شاء من آية لعلهم يعتبرون، أو يذّكرون، أو يرجعون، ذكر لنا أن الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود رضي الله عنه، فقال: يا أيها الناس إن ربكم يستعتبكم فأعتبوه، وكذا قال رسول الله ﷺ في الحديث المتفق عليه: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، وإنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكن الله عز وجل يخوف بهما عباده، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره ـ ثم قال ـ يا أمة محمد والله ما أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته، يا أمة محمد والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»(١).

وقال بعض المفسرين: أن قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ فيه خمسة أقوال(٢):

الأول: العبر والمعجزات التي جعلها الله على أيدي الرسل من دلائل الإنذار تخويفا للمكذبين.

الثاني: أنها آيات الانتقام تخويفاً من المعاصي.

الثالث: أنها تقلب الأحوال من صغر إلى شباب ثم إلى تكهّل ثم إلى مشيب، لتعتبر بتقلب أحوالك فتخاف عاقبة أمرك، وهذا قول أحمد بن حنبل رضي الله عنه.

---

(١) جامع البيان ٩/ ١٠٩، تفسير ابن كثير ٢/ ٣٢٣، الحديث في صحيح البخاري/ كتاب الجمعة والنكاح والرقاق وتفسير القرآن برقم(١٠٤٤، ٤٦٢١، ٥٢٢١، ٦٤٨٥، ٦٤٨٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ١٨٣.

الرابع: القرآن.

الخامس: الموت الذريع، قاله الحسن.

٣ ـ الآيات التي تدعو إلى الخوف من الله تعالى

المسلم مدعواً إلى الخوف من الله في كل حين فبنوا آدم عرضة للأخطاء والخائف من الله تعالى يكون أكثر حذراً من الذنوب والأخطاء التي قد يقع فيها.

قال تعالى: ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ﴾ [الأعراف: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١].

فقوله تعالى: ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ﴾ أي خوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه[١].

٤ ـ الآيات التي تحث على الخوف من الله تعالى

حثَّ القرآن الكريم في كثير من الآيات الكريمة على الخوف لضرورة تخلق العبد بهذه العبادة المأمور بها.

قال تعالى: ﴿لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾ [المائدة: ٩٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ﴾ [الأعراف: ٩٤].

قوله ﴿تَضَرُّعٗا﴾ يقول: افعل ذلك تخشعا لله، وتواضعاً له[٢]، وقيل: مظهراً الضراعة والذلة[٣]، ﴿وَخِيفَةٗ﴾ معطوف عليه. وجمع خيفة خوف، لأنه بمعنى الخوف، ذكره النحاس[٤].

قال الزجاج: أصلها (خوفة) فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، أقول هذا الخوف يقع على وجوه:

(١) جامع البيان ٨/ ٢٠٧، روح المعاني ٨/ ١٤٠، في ظلال القرآن ٣/ ١٢٩٨.
(٢) جامع البيان ٩/ ١٦٦.
(٣) مفردات القرآن تفسير وبيان، الحمصي ١٧٦.
(٤) الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٢٠٥.

أحدها: خوف التقصير في الأعمال.

وثانيها: خوف الخاتمة.

وثالثها: خوف أني كيف أقابل نعمة الله التي لا حصر لها ولا حد بطاعتي الناقصة وأذكاري القاصرة[1].

وقال الطبري: يقول: وخوفاً من الله[2].

وقال بعض المفسرين: خائفاً منه تعالى متذللاً[3]، خائفاً من عقابه[4].

وقال الآلوسي: أي متضرعاً وخائفاً[5].

وقال القاسمي: يكون على وجه الخيفة أي الخوف والخشية من سلطان الربوبية، وعظمة الألوهية، من المؤاخذة على التقصير في العمل لتخشع النفس، ويخضع القلب[6].

وقوبل التضرع هنا بالخيفة وهي إسم مصدر الخوف، فهو من المصادر التي جاءت على صيغة الهيئة وليس المراد بها الهيئة مثل الشدة، ولما كانت الخيفة انفعالاً نفسياً يجده الإنسان في خاصة نفسه كانت مستلزمة للتخافت بالكلام خشية أن يشعر بالمرء لمن يخافه، فلذلك كنيَّ بها عن الأسرار بالقول مع الخوف من الله، فمقابلتها بالتضرع طباق في معنيي اللفظين الصريحين ومعنييهما الكناءين، فكأنه قيل: تضرعاً وإعلاناً وخيفة وإسراراً[7].

ثانياً: خوف يوم القيامة

جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم تنذر الناس يوما عظيما وصفه سبحانه وتعالى بأوصاف مختلفة يجازى فيه الناس على أعمالهم في الدنيا ولكن الموقف فيه

---

(١) تفسير الفخر الرازي ١٥/ ١١٢.
(٢) جامع البيان ٩/ ١٦٦.
(٣) صفوة البيان لمعاني القرآن، حسنين مخلوف ٢٣٢.
(٤) مفردات القرآن تفسير وبيان ١٧٦.
(٥) روح المعاني ٩/ ١٥٤.
(٦) محاسن التأويل ٧/ ٣٣٢.
(٧) تفسير التحرير والتنوير ٩/ ٢٤٢.

صعب جداً، من بعث وحشر وحساب، لذا حذَّر سبحانه وتعالى منه وسماه بأسماء عدة تحذيراً من ذلك اليوم:

١ ـ قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: ٤٨].

قوله: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا ﴾ أمر معناه الوعيد[١]، فيه إضمار، تقديره: إتقوا عذاب يوم، أو ما في يوم والمراد باليوم: يوم القيامة[٢].

وهو تحذير من الله تعالى ذكر عباده الذين خاطبهم بهذه الآية عقوبته أن تحل بهم يوم القيامة، وهو اليوم الذي لا تجزي فيه نفس عن نفس شيئاً، ولا يجزي فيه والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً[٣].

قوله: ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ أي: يمنعون من عذاب الله[٤].

وقال الرازي: «إعلم أن اتقاء اليوم اتقاء لما يحصل في ذلك اليوم من العقاب والشدائد، لأن نفس اليوم لا يتقى ولا بد من أن يرده أهل الجنة والنار جميعاً، ثم إنه تعالى وصف اليوم بأشد الصفات وأعظمها تهويلاً، وذلك لأن كلام العرب إذا دفع أحدهم إلى كريهة وحاولت أعوانه دفاع ذلك عنه بذلت ما في نفوسها الأبية من مقتضى الحمية فذبت عنه كما يذب الوالد عن ولده بغاية قوته، فإن رأى من لا طاقة له بما نعته عاد بوجوه الضراعة وصنوف الشفاعة فحاول بالملاينة ما قصر عنه بالمخاشنة، فإن لم تغن عنه الحالتان من الخشونة والليان لم يبق بعده إلا فداء الشيء بمثله إما مال أو غيره، وإن لم تغن عنه هذه الثلاثة تعلل بما يرجوه من نصر الأخلاء والأخوان، فأخبر الله سبحانه أنه لا يغني شيء من هذه الأمور عن المجرمين في الآخرة»[٥].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١/٢٥٦.
(٢) زاد المسير ١/٧٦.
(٣) جامع البيان ١/٢٦٦.
(٤) زاد المسير ١/٧٧.
(٥) تفسير الفخر الرازي ٢/٥٧.

وفي الآية أعظم تحذير عن المعاصي وأقوى ترغيب في تلافي الإنسان ما يكون منه من المعصية بالتوبة لأنه إذا تصور أنه ليس بعد الموت استدراك ولا شفاعة ولا نصرة ولا فدية علم أنه لا خلاص له إلا بالطاعة، فإذا كان لا يأمن كل ساعة من التقصير في العبادة، ومن فوت التوبة من حيث إنه لا يقين له في البقاء صار حذراً خائفاً في كل حال، والآية وإن كانت في بني إسرائيل فهي في المعنى مخاطبة للكل، لأن الوصف الذي ذكر فيها وصف لليوم، وذلك يعم كل من يحضر في ذلك اليوم[(١)].

٢ ـ وعندما يذكِّر الله سبحانه وتعالى عباده بالخوف من يوم القيامة ليستعدوا للعمل لذلك اليوم ويخافوا من التقصير في الأعمال، ففي آية أخرى يأمر سبحانه وتعالى نبيه محمد ﷺ أن يذكر صحابته بالقرآن بآياته وما جاء من وعيد هذا اليوم من يخاف ذلك اليوم فقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥].

يقول تعالى ذكره: فذكِّر يا محمد بهذا القرآن الذي أنزلته إليك من يخاف الوعيد الذي أوعدته من عصاني وخالف أمري[(٢)].

أي ما أعددته لمن عصاني، فالوعيد العذاب والوعد الثواب[(٣)].

وقال القاسمي: أي بل إنما بعثت مذكراً أو مبلغاً بما أُنزل إليك من يخاف الوعيد الذي أوعد به من عصى وطغى فإنه ينتفع به[(٤)]، فذكِّر بالقرآن فيتذكر من يخاف وعيد[(٥)].

وقال ابن كثير: أي بلِّغ أنت رسالة ربك فإنما يتذكر من يخاف الله ووعيده ويرجو وعده[(٦)].

---

(١) تفسير الفخر الرازي.
(٢) جامع البيان ٢٦/ ١٨٥.
(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٢٠.
(٤) محاسن التأويل ١٥/ ١٨٦.
(٥) تفسير التحرير والتنوير ٢٦/ ٣٣٣.
(٦) تفسير إبن كثير ٦/ ٤١٢.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قالوا: يا رسول الله لو خوّفتنا؟ فنزلت: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾[1].

وكان قتادة يقول في دعائه: اللّهم إجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو موعدك[2]، يابار يارحيم[3].

وفي كل هذه الآيات التي تأمر بالخوف وتذكره به هو إنذار لذلك اليوم لما له من أهمية كبيرة عند الله سبحانه وتعالى.

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٥١].

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَأَنذِرْ﴾ يا محمد بالقرآن الذي أنزلناه إليك القوم[4] ﴿بِهِ﴾ أي بالقرآن وقيل: بالله تعالى وقيل: باليوم الآخر[5]، وقيل: بعذاب الله، وقيل: بالحشر، وقيل: بالقرآن من يرجى إيمانه[6].

﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ﴾ علماً منهم بأن ذلك كائن فهم مصدقون بوعد الله ووعيده عاملون بما يرضي الله، دائمون في السعي فيما ينقذهم من عذاب الله[7].

وقيل: عموم من خاف الحشر[8].

---

(١) جامع البيان ٢٦/ ١٨٥، الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٢٠، روح المعاني ٢٦/ ١٩٥، الدر المنثور ٧/ ٦١٢.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٢٠.
(٣) محاسن التأويل ١٥/ ١٨٦، تفسير ابن كثير ٦/ ٤١٢.
(٤) جامع البيان ٧/ ٢٠٠.
(٥) الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٢٧٧، روح المعاني ٧/ ١٥٧، ١٥٨، تفسير التحرير والتنوير ٧/ ٢٤٤، تفسير البحر المحيط ٣/ ١٣٤، الأساس في التفسير ٣/ ١٦٤٠، ١٦٤١، جامع البيان ٧/ ٢٠٠.
(٦) تفسير البحر المحيط ٣/ ١٣٤، روح البيان ٣/ ٣٤.
(٧) جامع البيان ٧/ ٢٠٠.
(٨) تفسير البحر المحيط ٣/ ١٣٤.

وقال صاحب تفسير التحرير والتنوير: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ هم المؤمنون الممثلون بحال البصير ﴿أَن يُحْشَرُوٓاْ﴾ مفعول ﴿يَخَافُونَ﴾ أي يخافون الحشر إلى ربهم فهم يقدمون الأعمال الصالحة وينتهون عما نهاهم خيفة أن يلقوا الله وهو غير راض عنهم[1].

وقال في (العناية): خصَّ بالذكر هؤلاء، لأنهم الذين ينفعهم الإنذار، ويقودهم إلى التقوى وليس المراد الحصر حتى يرد أن إنذاره لغيرهم لازم أيضاً[2].

وقال في الأساس: أي: المسلمون المقرون بالبعث إلا أنهم مفرطون في العمل فينذرهم بما أوحي إليه[3].

وقوله: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ﴾ أي ليس لهم من عذاب الله إن عذبهم وليّ ينصرهم فيستنقذهم منه ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يشفع لهم عند الله تعالى فيخلصهم من عقابه[4].

وقال القاسمي: يعني من دون الله ﴿وَلِيٌّ﴾ أي ناصر ينصرهم ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يشفع لهم وينجيهم من العذاب غيره تعالى[5].

﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يقول: أنذرهم كي يتقوا الله في أنفسهم فيطيعوا ربهم ويعملوا لمعادهم ويحذروا سخطه باجتناب معاصيه[6].

أي: الاعتقادات الفاسدة والأعمال الطالحة والأخلاق الرديئة[7].

روى الإمام أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: مر الملأ من قريش على رسول الله ﷺ وعنده خباب وصهيب وبلال وعمار فقالوا: يا محمد، أرضيت بهؤلاء؟

---

(١) إبن عاشور ٧/ ٢٤٤.
(٢) محاسن التأويل ٦/ ٥٣٨.
(٣) الأساس في التفسير ٣/ ١٦٤٠، ١٦٤١.
(٤) جامع البيان ٧/ ٢٠٠.
(٥) محاسن التأويل ٦/ ٥٣٨.
(٦) جامع البيان ٧/ ٢٠٠.
(٧) محاسن التأويل ٦/ ٥٣٨.

فنزل فيهم: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾[1].

٤ ـ ويقول تعالى مخبراً بعد أن أخبر أنه أخذ القرى وهي ظالمة: أن ذلك لآية لعلامة لمن خاف عذاب الآخرة وإن ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ [هود: ١٠٣].

يقول تعالى ذكره: إن في أخذنا من أخذنا من أهل القرى التي اقتصصنا خبرها عليكم[2]، أي أخذه سبحانه للأمم الهالكة المهلكة[3] أو في أخذ الظالمين[4]، في إهلاكنا الكافرين وإنجاءنا المؤمنين[5]، ما نزل بالأمم الهالكة بذنوبهم[6].

﴿ لَءَايَةً ﴾ أي لعبرة وعظة، وموعظة[7] وعلامة[8] واعتبار على صدق موعدنا في الآخرة[9].

وقال البروسوي: لعبرة بينة وموعظة بالغة[10].

﴿ لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾.

يقول: لمن خاف عقاب الله وعذابه في الآخرة من عباده، وحجة عليه لربه، وزاجراً يزجره عن أن يعصي الله ويخالفه فيما أمره ونهاه[11]. فإنه إذا رأى ما وقع في الدنيا بالمجرمين من العذاب الأليم اعتبر به حال العذاب الموعود فإنه عصا من عصيه

---

(١) تفسير البحر المحيط ٣/ ١٣٤، تفسير ابن كثير ٣/ ٢٦، الدر المنثور٣/ ٢٧٢، ٢٧٣.
(٢) جامع البيان ١٢/ ١١٤.
(٣) روح المعاني ١٢/ ١٣٧، الأساس في التفسير ٥/ ٢٦٠١.
(٤) محاسن التأويل ٩/ ١٦٨.
(٥) تفسير إبن كثير ٣/ ٥٧٧.
(٦) روح البيان ٤/ ١٨٥.
(٧) جامع البيان ١٢/ ١١٤، الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٦٤، محاسن التاويل ٩/ ١٦٨، تفسير ابن

وقليل من كثير، وانزجر بذلك عن المعاصي التي يترتب عليها العذاب وأكب على التقوى والخشية من الله تعالى[١]، فاعتبر بها عن موجباته[٢].

وقال البروسوي: أي أقرّ به وآمن لأنه يعتبر به حيث يستدل بما حاق بهم من العذاب الشديد بسبب ما عملوا من السيئات على أحوال عذاب الآخرة[٣].

وقال في الأساس: أي لمن اعتقد صحة وجوده وبنى على ذلك فحذر وخاف، والآية تتضمن معنى مفهوماً من السياق: إن في إهلاكنا الكافرين وإنجائنا المؤمنين لعظة واعتبار على صدق وعودنا في الآخرة[٤].

﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾.

إتفق المفسرون على أن المراد بذلك اليوم هو يوم القيامة.

قوله: ﴿مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾.

أي يحشرون لذلك اليوم[٥].

وقال ابن كثير: أولهم وآخرهم[٦].

وقوله: ﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ أي يشهد البر والفاجر، ويشهده أهل السماء[٧].

وقال القاسمي: أي يشهده الأولون والآخرون وأهل السماء والأرض[٨]، أي عظيم تحضره الملائكة ويجتمع فيه الرسل وتحشر الخلائق بأسرهن من الجن والإنس والطير والوحوش والدواب ويحكم فيه العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة إن تك حسنة يضاعفها[٩].

---

(١) روح المعاني ١٢/ ١٣٧.
(٢) محاسن التأويل ٩/ ١٨٦.
(٣) روح البيان ٤/ ١٨٥.
(٤) الأساس في التفسير ٥/ ٢٦٠١.
(٥) الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٦٤.
(٦) تفسير إبن كثير ٣/ ٥٧٧.
(٧) الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٦٤.
(٨) محاسن التأويل ٩/ ١٦٨، الدر المنثور ٤/ ٤٧٤، ٤٧٥.
(٩) تفسير إبن كثير ٣/ ٥٧٧.

وقال صاحب الظلال: ففي ذلك الأخذ الأليم الشديد مشابه من عذاب الآخرة، تذكر بهذا اليوم وتخيف. . . وإن كان لا يراها إلا الذين يخافون الآخرة فتتفتح أبصارهم بهذه التقوى التي تجلو البصائر والقلوب والذين لا يخافون الآخرة تظل قلوبهم صماء لا تتفتح للآيات، ولا تحس بحكمة الخلق والإعادة ولا ترى إلا واقعها القريب في هذه الدنيا، وحتى العبر التي تمر في هذه الحياة لا تشير فيها عظة ولا فهماً[1].

٥ ـ وغير هذه الآيات كثيرة تصف هول وعظم ذلك اليوم نذكرها فقط دون تفسيرها.

قال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [الذاريات: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١].

وقال في معرض مدح عباد له في خوفهم من ذلك اليوم: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٠].

﴿. . . يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٧].

﴿. . . وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧].

﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

﴿. . . إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥].

وذكر سبحانه وتعالى في القرآن الكريم قسماً من عباده أنهم لا يخافون لومة لائم ولا يخشون إلا الله لتطبيق ما أمر الله تعالى به.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هؤلاء المؤمنين الذين وعد الله

---

(١) سيد قطب ١٩٢٨/٤، ١٩٢٩.

المؤمنين أن يأتيهم بهم إن ارتد منهم مرتد بدلا منهم، يجاهدون في قتال أعداء الله على النحو الذي أمر الله بقتالهم والوجه الذي أذن لهم به، ويجاهدون عدوهم، فذلك مجاهدتهم في سبيل الله ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ يقول: ولا يخافون في ذات الله أحداً، ولا يصدهم عن العمل بما أمرهم الله به من قتال عدوهم لومة لائم لهم في ذلك(١).

وهذا الخوف الذي يدعو إليه القرآن ويمجّد شأنه إنما هو الخوف القائم على المراقبة لله، والخضوع لأمره، والخشية من عقابه، وليس معنى هذا أن القرآن يرتضي لأهله الخوف بمعنى الذل أو الهوان، أو تهيب أحد من الناس إنما هو خوف يدعو أهله إلى تطبيق شرع الله وأداء فرائضه على حسب ما نص عليه القرآن الكريم وما جاء في السنة النبوية المطهرة، ولذلك مدح الله سبحانه وتعالى الذين اتبعوا هدى الله أنهم: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨].

أي لا يلحقهم خوف من أهوال يوم القيامة، ولا هم يحزنون على فوات الثواب، وقيل في المعنى: إنه لا خوف عليهم من وسوسة الشيطان، ولا مما يعقبها من الشقاء والخسران، فهم لا يخافون مما هو آت، ولا يحزنون على ما فات، لأن اتباع الهدى يسهل عليهم طرق اكتساب الخيرات(٢).

ولولا خشية الله لاسترسل الإنسان في شروره، وانكب على شهواته، غير مقيم لمصلحة الغير أي اعتبار، ولما نفعت في ذلك كل القوانين التي شرعت للمحافظة على الإنسان من عدوان الغير، وهذا ما يعانيه العالم اليوم من تدهور في الأخلاق وانكباب على الرذائل وانتشار الإجرام وما ذلك إلا بسبب غفلة الإنسان عن خالقه وعن استحضار عظمته التي تجعل في القلب رهبة تحول بينه وبين الميل إلى الشر(٣).

والخوف من الله ومن حسابه وعقابه ومحارمه فرض على كل مؤمن كما قرر العلماء مستدلين على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] وهذا الخوف من الله يستلزم عند صدقه الرجوع إلى الله، والاعتصام

---

(١) جامع البيان ٦/ ٢٨٧.
(٢) موسوعة أخلاق القرآن ١/ ١٥٦.
(٣) روح الدين الإسلامي ١٨٣.

بحبله وبابه، ولذلك قال أبو حفص النيسابوري: (الخوف سوط الله يقوِّم الشاردين عن بابه)، وقال الغزالي: (الخوف سوط الله يسوق به عبادَهُ إلى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بهما رتبة القرب من الله تعالى). وما دام القلب مستشعراً روح الخوف من الله فإنه يظل عامراً بالايمان واليقين، ومن هنا قال أبو سليمان الداراني: (ما فارق الخوف قلباً إلا خَرِبَ)(١).

وليس المراد من خوف الإنسان لله تعالى ما يخطر بالبال من الرعب، كاستشعار الخوف من الأسد مثلاً، بل يراد به ـ كما قال الأصفهاني ـ: الكف عن المعاصي واختيار الطاعات، ولذلك صدقوا حين قالوا: لا يُعدّ خائفاً مَن لم يكن للذنوب تاركاً، كما أن الخوف من الله ليس شكلاً خارجياً يتمثل في صيحة أو أنّه أو رنّه، فليس الخائف مَن يبكي ويمسح عينيه، بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه، وقد قيل لذي النون: متى يكون العبد خائفا؟ فقال: إذا أنزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتمي مخافة طول السقام(٢).

والخوف من الله ليس هرباً منه، أو إعراضاً عنه، بل هو قوة إحساس بعظمته وهيبته، وجلاله وحقّه، وقوة عزيمة في الإقبال عليه، ليكون الإنسان أهلاً لقبوله ومرضاته، فإذا صدقتَ في خوفك من الله زدتَ لجوءاً إليه واعتصاماً بحبله، وذلك بخلاف خوفك من غيره، فالإنسان إذا خاف شيئاً آخر غير الله بعدَ عنه وهربَ منه(٣).

والخوف من الله على أية حال مختلف عن الخوف من غيره. إن الخوف منه سبحانه وتعالى يكافأ بالمغفرة وحسن المآب(٤).

يضرب الرسول لهذا مثلاً فيقول: «إن رجلاً كان قبلكم رغسه الله مالاً ـ أي أكثر ماله ـ فقال لبنيه لما حضره الموت: أي أب كنت لكم ..؟ قالوا: خير أب .. وقال: فإني لم أعمل خيراً قط. فإذا مت فاحرقوني ثم اسحقوني. ثم ذَرُّوني في ريحٍ

---

(١) موسوعة أخلاق القرآن ١/١٥٦.
(٢) المصدر نفسه ١/١٥٦، ١٥٧.
(٣) المصدر نفسه ١/١٥٧.
(٤) كما تحدث الرسول ﷺ، خالد محمد خالد ٦١، ٦٢.

عاصف. . . ففعلوا، فجمعه الله، فقال: ما حملك على ما صنعت. .؟ قال: مخافتك. . فتلقاه الله برحمته»[١].

والخوف من الله تعالى خوف الموحدين والصدِّيقين وهو ثمرة المعرفة بالله تعالى فكل من عرف الله تعالى وعرف صفاته عرف من صفاته ما هو جدير بأن يخاف منه من غير جناية، بل العاصي لو عرف الله حق معرفته لما خاف إلاّ منه ولا أن يتخوف في نفسه لما أقدره على المعصية ويسر عليه سبيلها ومهد له أسبابها[٢].

فمخافة الله كما يدركها الرسول ﷺ ليست سبيلاً إلى الرعب والفزع، بل هي حافز الى المزيد من العمل الصالح ومن التقوى[٣].

والدواعي التي تدعو الإنسان إلى استشعار الخوف من الله جلّ جلاله كثيرة، وقد أحصى حجة الإسلام الإمام الغزالي مجموعة منها، فذكر أن هناك مكروهات كثيرة يخافها الناس، كالذين يغلب عليهم خوفُ الموت قبل التوبة، أو خوف نقض التوبة بعد القيام بها، ونكث العهد، أو خوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله تعالى أو خوف زوال رقة القلب وتبدلها بالقسوة أو خوف الميل عن طريق الاستقامة أو خوف استيلاء العادة في اتباع الشهوات المألوفة، أو خوف أن يكله الله تعالى إلى حسناته التي اتكل عليها أو تفاخر بها بين عباد الله، أو خوف البطر بكثرة نعم الله عليه، أو خوف الاشتغال عن الله بغير الله، أو خوف الاستدراج باتصال النعم وتواترها، أو خوف انكشاف غوائل الطاعات، حيث يبدو له من الله ما لم يكن يحتسب، أو خوف تبعات الناس عنده بسبب الغيبة والخيانة والغش وإضمار السوء، أو خوف ما لا يدري أنه يَحْدثُ في بقية عمره، أو خوف تعجيل العقوبة في الدنيا والإفتضاح قبل الموت، أو خوف الإغترار بزخارف الدنيا، أو خوف اطّلاع الله على سريرته في حال غفلته عن الله، أو خوف خاتمة السوء عند الموت، أو خوف السابقة التي سبقت عليه في الأزل[٤].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء رقم (٣٤٧٨)، وصحيح مسلم كتاب التوبة رقم (٢٧٥٧).
(٢) قوت القلوب وبهامشه سراج القلوب وعلاج الذنوب، أبي طالب المكي ١٨٦.
(٣) كما تحدث الرسول ٦٢.
(٤) إحياء علوم الدين ٤/ ١٥٨.

ولقد ذكر الغزالي: أن أغلب أنواع الخوف على اليقين هو خوفُ سوء الخاتمة، والمراد من سوء الخاتمة هو أن يغلب على القلب ـ عند سكرات الموت وظهور أهلَه ـ الشك أو الجحود، فتقبض الروحُ في حالة غلبة الجحود أو الشك، فيكون ذلك حجاباً بين الإنسان وربَه، وذلك يقتضي البعدَ الدائم والعذاب الخالد.

وربما وقع سوء الخاتمة بأن يغلب على قلب الإنسان عند الموت حبُّ أمر من أمور الدنيا، أو شهوة من شهواتها، فيتمثل ذلك في قلبه ويستحوذ عليه، فلا يبقى فيه متسع لغيره ويتفق قبض الروح في تلك الحالة، فيكون ذلك سبباً في صرف وجهه وقلبه إلى شهوات الدنيا، وإذا انصرف وجهُ الإنسان عن ربه وقع الحجاب، وإذا وقع الحجاب، نزل العذاب، والقرآن يقول:

﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ﴾ [المطففين: ١٥].

فعلى المؤمن إذن أن يواصل استشعار الخوف من الله والوجل لذكره، والخشية من عقابه، وليتذكر قول ربه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

كذلك يقول الحق جل جلاله: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٤ ـ ٣٥].

وبما أن الخوف له أحوال مختلفة ينبغي معرفتها والعلم بها:

فالخوف له إفراط، وله اعتدال، وله قصور.

والمحمود من ذلك الاعتدال، وهو بمنزلة السوط للبهيمة، فإن الأصلح للبهيمة أن لا تخلو عن سوط، وليس المبالغة في الضرب محمودة، ولا المتقاصر عن الخوف أيضا محمود، وهو كالذي يخطر بالبال عند سماع آية، أو سبب هائل، فيورث البكاء فإذا غاب ذلك السبب عن الحس، رجع القلب إلى الغفلة فهو خوف قاصر قليل الجدوى، ضعيف النفع، وهو كالقضيب الضعيف الذي يضرب به دابة قوية فلا يؤلمها ألماً مبرحاً فلا يسوقها إلى المقصد، ولا يصلح لرياضتها، وهذا هو الغالب على الناس كلهم، إلا العارفين والعلماء، أعني العلماء بالله وبآياته، وقد عز وجودهم.

وأما المرتسمون برسوم العلم فإنهم أبعد الناس عن الخوف(١).

والخوف ينتظم من علم وحال وعمل، أما العلم فهو العلم بالسبب المفضي إلى المكروه كالعلم بأن الذنب يفضي إلى المقت من الله تعالى إلى العقوبة، وعلامة خوف القلب النحول في الجسم والاصفرار في اللون والخشية والصعقة والبكاء وقد تفتت منه المرارة فيفضي إلى الموت ويحصل هذا لكثير ممن تعرض للقتل وقد يقوى فيورث القنوط واليأس(٢).

إن الأمة الإسلامية مدعوة في هذا الزمان إلى الخوف من الله عز وجل ذلك أن كثرة المغريات والملذات التي طغت على الناس حتى أصبحت الحياة مادية لا روح فيها فكان الخوف رادعاً ومانعاً وموجهاً الإنسان إلى ربه تبارك وتعالى.

ومن خلال ما بيَّنا من أقسام الخوف ودواعيه ومراتبه تبين أن الخوف ينقسم إلى قسمين:

١ ـ الخوف المحمود.

٢ ـ الخوف المذموم.

الخوف المحمود: وهو الخوف الذي أمر الله به ويمكن تعريفه بأنه: (الخوف الذي يكون مرغباً في المأمورات ومجنباً للمحظورات وتذكر عذاب الله وحسابه في أكثر أحوال العبد). ويظهر أثره على الجوارح، بكفها عن المعاصي، وإلزامها الطاعات، تلافيا لما فرط، واستعداداً للمستقبل(٣).

وهذا الخوف هو محمود على كل حال ومطلوب وفرض عين، وربما يظن أن كل ما هو محمود فكلما كان أقوى فأكثر كان أحمد وهو غلط، بل الخوف سوط الله يسوق به عباده إلى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بهما رتبة القرب من الله تعالى(٤).

والخوف يتعلق بالأفعال والمحبة تتعلق بالذات والصفات. ولهذا تتضاعف

---

(١) مختصر منهاج القاصدين، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي ٣٠٣، ٣٠٤.

(٢) قوت القلوب ١٨٥.

(٣) مختصر منهاج القاصدين ٣٠٣.

(٤) إتحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين، الزبيدي ١١/ ٣٩٢.

محبة المؤمنين لربهم إذا دخلوا دار النعيم ولا يلحقهم فيها خوف، ولهذا كانت منزلة المحبة ومقامها أرفع من منزلة الخوف ومقامه[١].

وينقسم الخوف المحمود إلى قسمين:

١ ـ **الخوف المحمود الصادق**: وهو ما حال بين صاحبه وبين محارم الله عز وجل فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط[٢]. إن الخوف لا يعني بمفهومه دمعة تنزل أو خشوع في بعض الأوقات إنما هو مراقبة العبد لأحواله في كل وقت يعني خوف عملي لا نظري فقط وهذا ضروري جداً للمسلم. فبالخوف تسمو النفس ويحول دونها كل المغريات والملذات إذ هو تذكر المطلع على السرائر العالم بخائنة الأعين وما تخفي الصدور.

ولقد كان الرسول ﷺ في مقامه العالي يخاف الله مخافة من يعرف قدره العظيم[٣]، ولقد سئل ﷺ عندما أخذ الشيب يبرق من شعر لحيته ورأسه، فقال: «شيبتني هود وأخواتها» يعني سورة (هود) وسورة (يونس) وأخواتهما من السور الممتلئة بالآيات الراعدة والمنذرة.. وقرأ يوماً سورة (الدهر) ثم قال:

«إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، أطّت السماء ـ أي سمع أزيزها ـ وحق لها أن تَئِطّ... ما فيها موضع قدم إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله، والله لوددت أني شجرة تعضد»[٤].

(أطت) الأطيط: صوت الأقتاب، وأطيط الإبل: أصواتها وحنينها، والمعنى: أن كثرة ما في السماء من الملائكة قد أثقلها حتى أطت، وهذا مثل وإيذان بكثرة الملائكة، وإن لم يكن ثم أطيط[٥].

---

(١) مدارج السالكين ١/ ٥١٤.

(٢) مدارج السالكين ١/ ٥١٤.

(٣) كما تحدث الرسول ﷺ ٦٢، ٦٣.

(٤) رواه البخاري باختصار الحديث بأرقام (١٠٤٤، ٤٦٢١، ٥٢٢١، ٦٤٨٥، ٦٤٨٦).

(٥) جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، تأليف مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمّد ابن الأثير الجزري (٥٤٤ ـ ٦٠٦ هـ)، ٤/ ١٣.

فالذي كان يعلمه الرسول ﷺ ملأ قلبه خشية لله وتوقيراً له، ولكن لم يملأه فزعاً ولا رعباً، وهذه مزية الخوف من الله، فهو مهما يكن ضغطه ووقعه على النفس، لا يكاد يزايلها حتى يخلف لها سكينة الأمن وبرَد اليقين[١].

وكذلك خوف العارفين خوف إجلال وتعظيم لما غلب على قلوبهم من ذكر جلال الله تعالى وعظمته من غير فكرة في شيء من أفعاله، وهذا خوف الأنبياء والملائكة وخواص الأولياء[٢].

وأما خوف أكثر المؤمنين فيذكروا الوعد والوعيد وأهوال القيامة مع فكرتهم في الجنايات والتفريط، واتهامهم لنفوسهم أن يكون فيها من الآفات الباطنة ما يربي على المعاصي الظاهرة كالعيب والرياء والحسد والكبر ونحوها، وأشد ما يهيج خوف هؤلاء ويزعج قلوبهم خوف السابقة والخاتمة إذ العبد لا يدري هل سبق له في علم الله تعالى السعادة أو الشقاوة، والخاتمة تجري على ما جرت به السابقة، فمن سبق له في علم الله تعالى السعادة ختم له بخاتمة الإيمان، ومن سبق له في علم الله تعالى الشقاوة ختم له بخاتمة الخذلان، وفي هذا يقول تبارك وتعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤]. ويقول ﷺ: «... يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً»[٣]. وأكثر ما يمكر عند الموت بأرباب البدع وأصحاب الآفات الباطنة والظلمة والمجاهرين بالمعاصي، فمن كان ظاهره الصلاح ومكر به فلآفات باطنة، ولهذا روى أن ابا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وهو الذي قال الرسول ﷺ في شأنه: «لو وضع إيمان أبي بكر في كفة وإيمان الأمة في كفة لرجح إيمان أبي بكر»، كان يقول: «لو كانت إحدى رجلي في الجنة والأخرى على بابها ما أمنت من مكر الله»[٤].

٢ ـ **الخوف المحمود المتذبذب:** وهو الذي يكون أقل درجة من الخوف

---

(١) كما تحدث الرسول ﷺ ٦٢، ٦٣.

(٢) من وصايا الرسول ﷺ، طه عبد الله العفيفي ١/ ٥٦٢.

(٣) من حديث صحيح رواه مسلم، كتاب الإيمان برقم ١١٨

(٤) من وصايا الرسول ﷺ ١/ ٥٦٢، ٥٦٣.

المحمود الصادق لكنه حاجز عن الكبائر والآثام دون الصغائر.

ولا يفوتنا أن نذكر أن هناك أموراً مهمة جالبة للخوف ينبغي أن يعلمها المسلم ليخاف من الله تعالى:

١ ـ العلم، فبالعلم يزداد المسلم معرفته بربه سبحانه وتعالى فيزداد خوفاً من الله.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

٢ ـ قراءة القرآن، فالمتدبر لآيات الله سبحانه وتعالى يجد أن فيها من الوعيد لمن عصى الله ما يدعوه إلى الخوف من الله تعالى.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

٣ ـ التفكر في خلق السموات والأرض والجبال وما خلق الله تعالى على الأرض وما بث فيها، كل هذا داع إلى الخوف من الله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ * ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ * رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩٢].

٤ ـ ذكر الله تعالى في كل حال هو جالب للخوف من الله تعالى ومزيد له وكذلك حضور مجالس الذكر وما يتلى فيها من آيات كريمة وما يلقى من دروس الوعظ والإرشاد، وصحبة الصالحين الذين يذكرون المسلم بالله تعالى، كل هذه أموراً جالبة للخوف.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١ ـ ٤٢].

فلولا أن للذكر فوائد كبيرة لما قال تعالى: ﴿ذِكْرًا كَثِيرًا﴾.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

إنني أدعو المسلمين في هذا الوقت إلى الخوف من الله أشد الخوف، لا أقصد أنني أدعوهم إلى أمر مسنون أو مستحب أو مندوب إنما أدعوهم إلى شيء وجب على الإنسان، ذلك لأن ما ورد من آيات ترهب العباد من عذابه وعقابه هو الداعي إلى هذا وما ورد أيضا في السنة النبوية من أحاديث شريفة تنذر عاقبة المعاصي والذنوب.

الخوف المذموم

وهو الخوف الذي لا يرضي الله سبحانه وتعالى كحال من يصل في خوفه إلى درجة اليأس والقنوط من رحمة الله والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦].

وسأتحدث عن هذا الخوف بشيء من التفصيل في الباب الثالث في فصل الإفراط في الخوف.

الفصل الثالث
خوف الأنبياء والمرسلين

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: خوف الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، على أنفسهم من الله عزَّ وجل من عذابه وحسابه.

المبحث الثاني: دعوتهم لأقوامهم إلى الخوف منه تعالى من عذابه وحسابه في الدنيا والآخرة.

المبحث الأول
خوف الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، على أنفسهم من الله عز وجل من عذابه وحسابه

كان من حكمة الله سبحانه وتعالى أن يصطفي ويختار من البشر أنبياء ورسلاً اختصهم لتبليغ ما أمر به عباده وهؤلاء الأنبياء والمرسلون هم صفوة البشر وخيارهم، أيدهم سبحانه وتعالى بالمعجزات والآيات والبراهين التي تدل على صدق دعواهم، فأقام بهم الدين الذي اصطفاه لهم بعد أن أوصى إليهم، فهدى بهم من الضلالة، وأنقذ بهم من الجهالة، وجعلهم أدلاء على الهدى لمن استهدى بهم ممن قص لنا قصصهم في القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

قال إبن عباس: كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين[1].

وكانت بعثة الأنبياء والرسل هداية ورحمة وبشارة وإنذاراً هدى بهم الله سبحانه وتعالى أقواماً حملوا بعدهم ما أمرهم الله بتبليغه من الحق الذي أنزله الله تعالى عليهم.

ولما كان موضوعنا آيات الخوف والرجاء في القرآن الكريم قلنا: لا بد أن نتعرف على خوف من يعلمنا الخوف من الله سبحانه وتعالى الا وهم الأنبياء والمرسلون باعتبارهم هم المبلغون عنه سبحانه وتعالى حيث ذكر لنا القرآن الكريم قصصهم ودعوتهم لأقوامهم إلى توحيد الله تعالى والخوف منه وحده، ونبذ الأنداد والأضداد وعدم مخافة غيره، سبحانه وتعالى.

كانت دعوة الأنبياء والمرسلين إلى الناس بشارة وإنذاراً ليعلموا الناس أنهم عباد لله عليهم أن يؤدوا أوامره ويجتنبوا نواهيه فوعد الله تعالى المطيع بالجنة والمخالف بالنار.

قال تعالى: ﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨].

يقول تعالى ذكره: وما نرسل رسلنا إلا ببشارة أهل الطاعة لنا بالجنة والفوز المبين يوم القيامة، جزاء منا لهم على طاعتنا، وبإنذار من عصانا، وخالف أمرنا، عقوبتنا إياه على معصيتنا يوم القيامة، جزاء منا على معصيتنا، لنعذر إليه، فيهلك إن هلك عن بينة[2].

وقال القرطبي رحمه الله في تفسير: ﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ﴾ أي بالترغيب والترهيب. قال الحسن: مبشرين بسعة الرزق في الدنيا والثواب في الآخرة، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ

---

(١) تفسير إبن كثير ١/ ٢٥٠.

(٢) جامع البيان ٧/ ١٩٨.

﴿وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]. ومعنى ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ مخوفين عقاب الله، فالمعنى: إنما أرسلنا المرسلين لهذا لا لما يقترح عليهم من الآيات، وإنما يأتون من الآيات بما تظهر معه براهينهم وصدقهم(١).

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ﴾ يقول: فمن صدق من أرسلنا إليه من رسلنا، إنذارهم إياه، وقيل منهم ما جاؤوه به من عند الله وعمل صالحا في الدنيا ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ عند قدومهم على ربهم، من عقابه وعذابه، الذي أعده الله لأعدائه وأهل معاصيه ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ عند ذلك على ما خلفوا وراءهم في الدنيا(٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا﴾ [الكهف: ٥٦].

يقول عز ذكره: وما نرسل رسلنا إلا ليبشروا أهل الإيمان والتصديق بالله بجزيل ثوابه في الآخرة. ولينذروا أهل الكفر به والتكذيب عظيم عقابه، وأليم عذابه فينتهوا عن الشرك بالله، وينزجروا عن الكفر به ومعاصيه(٣).

وقال القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية: أي بالجنة لمن آمن ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ أي مخوفين بالعذاب من كفر(٤).

وكانت الحكمة من إرسال الرسل تعليم الناس وليكونوا حجة على أقوامهم يوم القيامة إن لم يؤمنوا وكما قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]. قوله: ﴿مُّبَشِّرِينَ﴾ يقول: أرسلتهم رسلاً إلى خلقي وعبادي مبشرين بثوابي من أطاعني، واتبع أمري، وصدق رسلي ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ عقابي من عصاني، وخالف أمري، وكذَّب رسلي(٥).

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ يقول: أرسلت رسلي إلى عبادي

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٢٧٦.
(٢) جامع البيان ٧/ ١٩٨.
(٣) جامع البيان ١٥/ ٢٦٧.
(٤) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٦.
(٥) جامع البيان ٦/ ٣٠.

مبشرين ومنذرين، لئلا يحتج من كفر بي وعبد الأنداد من دوني، أو ضل عن سبيلي بأن يقول إن أردت عقابه: ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ [طه: ١٣٤]. فقطع حجة كل مبطل ألحد في توحيده، وخالف أمره بجميع معاني الحجج القاطعة عذره، أعذاراً منه بذلك إليهم، لتكون لله الحجة البالغة عليهم، وعلى جميع خلقه[١].

ولا أحد يخالفنا إذا قلنا: إن أخوف الناس من الله عز وجلّ هم الأنبياء والمرسلون حيث قصّ لنا القرآن الكريم دعوتهم وجهادهم في سبيل نشر وتبليغ دين الله عز وجلّ مما يدل على خوفهم الشديد من الله تعالى.

وتميّز عن الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، أصفياؤهم قدوة الأنبياء تميزوا عن باقي المرسلين بدعوتهم التي فاقت باقي المرسلين لذلك سمّوا (أولوا العزم).

قصّ لنا الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم خمسة وعشرين نبياً أختصهم الله عز وجلّ وفضلهم على سائر خلقه فجعل منهم أنبياء واختار منهم رسلاً لتبليغ ما أمر، وكانوا معصومين من المعاصي الصغائر منها والكبائر، على القول المشهور، فكانوا مؤدين للرسالة التي حملوها على أتم وجه وإلى جانب هذا كانوا على خوف وخشية ووجل شديد من الله تعالى.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]

الضمير في قوله تعالى في هذه الآية يعود على مجموعة الأنبياء المذكورين من قبل ممّن استجاب الله لهم، فدل على أن الحال الكاملة التي يستجيب بها ربنا الدعاء هي هذه الحال، التي يجتمع فيها لأصحابها المسارعة إلى الخيرات، والدعاء رغباً ورهباً، والخشوع، ولا يعني هذا أن الله لا يستجيب إلاّ عن هذا شأنه، فحضرة ربنا حضرة كرم، ولكنّ الله قصّ علينا هذا ليرفع هممنا إليه[٢].

---

(١) جامع البيان ٦/ ٣٠.

(٢) الأساس في التفسير ٧/ ٣٤٩٢.

قال الإمام الطبري رحمه الله: يقول تعالى ذكره: ﴿وَكَانُوا۟ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾، ويعني بقوله: ﴿رَغَبًا﴾ أنهم كانوا يعبدونه رغبة منهم فيما يرجون منه من رحمته وفضله[1].

وقيل: المعنى يدعون وقت تعبدهم وهم بحال رغبة ورجاء ورهبة وخوف، لأن الرغبة والرهبة متلازمتان[2].

وقال إبن كثير رحمه الله: قال الثوري: رغباً فيما عندنا ورهباً مما عندنا.[3]

وقال صاحب روح البيان: راغبين في اللطف والجمال[4].

﴿وَرَهَبًا﴾ يعني رهبة منهم من عذابه وعقابه، بتركهم عبادته، وركوبهم معصيته، وعن ابن جريج ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ قال: رغبا في رحمة الله، ورهباً من عذاب الله[5].

وقيل: خائفين من القهر والجلال[6].

وقال الإمام السيوطي رحمه الله: طمعاً وخوفاً، وليس ينبغي لأحدهما أن يفارق الآخر[7].

وقال القاسمي رحمه الله: أي ذوي رغب ورهب، أو راغبين في الثواب راجين للإجابة[8].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾.

يقول: وكانوا لنا متواضعين متذللين، ولا يستكبرون عن عبادتنا ودعائنا[9].

---

(١) جامع البيان ١٧/ ٨٣، ٨٤.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٢٢، ٢٢٣.
(٣) تفسير إبن كثير ٤/ ٥٩٠.
(٤) روح البيان ٥/ ٥٢٠.
(٥) جامع البيان ١٧/ ٨٣، ٨٤.
(٦) روح البيان ٥/ ٥٢٠.
(٧) الدر المنثور ٥/ ٦٧٠.
(٨) محاسن التأويل ١١/ ٢٨٩.
(٩) جامع البيان ١٧/ ٨٣، ٨٤.

ونقل ابن كثير رحمه الله أقوال أئمة السلف في تفسير خاشعين فقال:

قال عليّ بن أبي طلحة عن إبن عباس: أي مصدقين بما أنزل الله، وقال مجاهد: مؤمنين حقا. وقال أبو العالية: خائفين. وقال أبو سنان: الخشوع هو خوف اللازم للقلب لا يفارقه أبداً.

وعن مجاهد أيضاً: خاشعين أي متواضعين. وقال الحسن وقتادة والضحاك: خاشعين أي متذللين لله عز وجل، وكل هذه الأقوال متقاربة(١).

وهناك أقوال كثيرة لباقي المفسرين اكتفينا بذكر هذه لأنها متقاربة المعنى في دلالتها على أنهم كانوا خائفين من الله سبحانه وتعالى.

وخوف الأنبياء والمرسلين من الله عز وجل هو خوف الإجلال والهيبة وحصل لهم هذا الخوف من مطالعة عظمة الله تعالى وجلاله وكبريائه وباهر قدرته وعظيم مجده وجميع ما وجب له من صفات الجلال ونعوت العظمة والكمال وخوف هذا تعبد لله تعالى لأنهم أمنوا بأمان الله تعالى لهم(٢).

وكان كثير من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام قد ذكر القرآن الكريم أنهم قالوا لأقوامهم: أنهم يخافون من الله سبحانه وتعالى على أنفسهم وعلى أقوامهم، فذكر نبي الله نوح وشعيب وإبراهيم وهود ونبينا محمد ﷺ.

قال تعالى عن نبي الله نوح عليه السلام:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود: ٢٦].

وقال تعالى عن نبي الله شعيب عليه السلام:

﴿وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ [هود: ٨٤].

---

(١) تفسير إبن كثير ٤/ ٥٩٠.

(٢) قوت القلوب في معاملة المحبوب، أبو طالب المكي، دار الفكر، بيروت ١٨٩.

وعن نبي الله إبراهيم عليه السلام:

﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾ [مريم: ٤٥].

وعن نبي الله هود عليه السلام:

﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ [الشعراء: ١٣٥].

فهنا قول الأنبياء عليهم السلام لأقوامهم: ﴿ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ ﴾ نابع من كونهم خائفين من الله سبحانه وتعالى وإلا لما دعوا أقوامهم إلى الخوف من الله تعالى.

وقال تعالى لنبينا محمد ﷺ: ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ [الأنعام: ١٥].

أي بمخالفة أمره ونهيه أيّ عصيان كان فيدخل فيه ما ذكر دخولاً أولياً[١].

وقال الطبري: (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء المشركين العادلين بالله الذين يدعونك إلى عبادة أوثانهم إن ربي نهاني عن عبادة شيء سواه وإني أخاف إن عصيت ربي فعبدتها عذاب يوم عظيم. يعني عذاب يوم القيامة ووصفه تعالى بالعظم لعظم هوله وفظاعة شأنه)[٢].

١ ـ محمد ﷺ

وأخوف الأنبياء والمرسلين من الله سبحانه وتعالى هو سيدنا محمد ﷺ القائل: «فوالله إني أعلمهم بالله وأشدهم له خشية»[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت له: لم تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال ﷺ: «أفلا أكون عبداً شكورا»[٤].

---

(١) روح المعاني ٧/ ١١١.

(٢) جامع البيان ٧/ ١٦٠.

وإذا استقرأنا آيات القرآن الكريم بخصوص آيات الخوف نجدها كلها تخاطب النبي ﷺ أولاً لأن القرآن منزل عليه وهو المأمور بالتبليغ فالمخاطب بالخوف هو ثم المؤمنون من الصحابة وغيرهم.

وكان ﷺ يقول: «شيبتني هود وأخواتها وسورة الواقعة، وإذا الشمس كورت، وعمّ يتساءلون»[١].

عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي، ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء[٢].

وما ذلك إلا لشدة خوفه من الله سبحانه وتعالى.

وروت لنا عائشة رضي الله عنها: (أن رسول الله ﷺ كان إذا تغيّر الهواء وهبّت ريح عاصفة يتغير وجهه فيقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كلّ ذلك خوفاً من عذاب الله)[٣].

ولذا لا بد للمؤمن أن يتذكر ذلك فالنبي ﷺ كان أشد الناس خوفاً من الله تعالى وهيبة له، وخشية من جلاله مع أنه المغفور له من ربه ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

وقد ذكر العلماء أن سبب ذلك، والله أعلم، يرجع إلى ما في سورة (هود) من تكرار الأبعاد كقوله تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود: ٦٠]، وقوله: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ [هود: ٦٨]. وقوله: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود: ٩٥]. ولأن سورة (الواقعة) فيها قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ [الواقعة: ٢ ـ ٣]، ولأن سورة (التكوير) جاء فيها تصوير لأهوال يوم القيامة لما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٢ ـ ١٤].

وجاء في الحديث: «من أراد أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ سورة التكوير».

---

(١) الترمذي، كتاب تفسير القرآن برقم ٣٢٩٧.

(٢) سنن النسائي، كتاب السهو برقم ١٢١٤.

(٣) البخاري، كتاب الجمعة برقم ١٠٣٤، مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء ٨٩٩.

ولأن سورة (النبأ) فيها قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ: ٤٠].

وكان ﷺ يقول: «قال الله عزَّ وجل فخر موسى صعقا ورأى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام بالأبطح فصعق»(١).

وهذه الأحاديث الشريفة تدل على مدى تأثر الرسول الكريم ﷺ بآيات الخوف الواردة في القرآن الكريم حيث أن هذه الأحاديث ما هي إلا رد فعل لوعيد الله تعالى في آياته الدالة على وجوب الخوف منه وتذكر حسابه وعقابه.

وإذا أخذنا باقي أولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام نجد حالهم في الخوف لا يختلف كثيراً عن حال نبينا ﷺ منهم:

٢- إبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام

حيث كان يُسمَعُ لقلبه أزيز إذا وقف يصلي كحس المرجل، وكان كثير البكاء، وفي هذا يقول تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥]، فأتاه جبريل عليه السلام وقال له: الجبار يقرئك السلام ويقول لك: هل رأيت خليلاً يخاف خليله؟ فقال: يا جبريل، إذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي(٢).

وفي صدد ذكر هذه الآية المادحة لإبراهيم عليه السلام قلنا: لا بد أن نعرف آراء المفسرين في تفسيرها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥] هذا ثناء على إبراهيم بهذه الصفات الثلاثة:

---

(١) قال العراقي: روى البزار من حديث إبن عباس بسند جيد سأل النبي ﷺ جبريل أن يراه في صورته، فقال: أدع ربك. فدعا ربه فطلع عليه من قبل المشرق فجعل يرتفع ويشير، فلما رآه صعق. ورواه إبن المبارك عن الحسن مرسلاً بلفظ: فغشي عليه. وفي الصحيحين من حديث عائشة: رأى جبريل في صورته مرتين. ولهما عن إبن مسعود رأى جبريل له ستمائة جناح. (تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، العراقي وإبن السبكي والزبيدي ٥/ ٢٢٣٠).

(٢) سنن النسائي، كتاب السهو برقم ١٢١٤.

الحليم: وهو غير العجول على كل من أساء إليه، أو كثير الاحتمال ممن آذاه، الصفوح عمن عصاه.

والأواه: وهو كثير التأوه من خوف الله.

والمنيب: وهو التائب الراجع إلى الله بما يحب ويرضى. وهذه الصفات دالّة على رقة القلب والرأفة والرحمة[1].

يقول تعالى ذكره: إن إبراهيم لبطيء الغضب متذلل لربه خاشع له، منقاد لأمره، منيب رجّاع إلى طاعته[2]، أي محاسب نفسه على ما يحذر منه[3].

أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن الحسن رضي الله عنه في قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾:

قال: كان إذا قال: قال للَّه، وإذا عمل عمل للَّه، وإذا نوى نوى للَّه[4].

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: المنيب المقبل إلى طاعة الله[5].

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد رضي الله عنه قال: المنيب إلى الله المطيع لله الذي أناب إلى طاعة الله وأمره، ورجع إلى الأمور التي كان عليها قبل ذلك[6].

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة رضي الله عنه قال: المنيب المخلص في عمله لله عز وجل[7].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

---

(١) الأساس في التفسير ٥/ ٢٥٨٤، روح المعاني ١٢/ ١٠٤، الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٤٩، روح البيان ٤/ ١٦٥، محاسن التأويل ٩/ ١٥٢.

(٢) جامع البيان ١٢/ ٨٠.

(٣) تفسير التحرير والتنوير ١٢/ ١٢٤.

(٤) الدر المنثور ١٢/ ٤٥٥.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه.

اختلف العلماء في الأوّاه على خمسة عشر قولاً، ذكروا أن المراد به: الدعاء، والرحيم بعباد الله، والمؤمن بلغة الجشة، والمسبِّح الذي يذكر الله في الأرض القفر الموحشة، والكثير الذكر لله تعالى، والذي يكثر تلاوة القرآن. وقال القرطبي عن هذه الأقوال: إنها متداخلة وتلاوة القرآن يجمعها(١).

وورد أنه المتأوه، قاله أبو ذر. وكان إبراهيم عليه السلام يقول: (آه من النار قبل ألا تنفع آه). وقال أبو ذر: كان رجل يكثر الطواف بالبيت ويقول في دعائه: أوهِ أوه، فشكاه أبو ذر إلى النبي ﷺ فقال: «دعه فإنه أواه». فخرجت ذات ليلة فإذا النبي ﷺ يدفن ذلك الرجل ليلاً ومعه المصباح(٢).

وقيل: إنه الفقيه، وقيل: إنه المتضرع الخاشع، رواه عبد الله بن شداد بن الهاد عن النبي ﷺ(٣). وقال أنس: تكلمت إمرأة عند النبي ﷺ بشيء كرهه فنهاها عمر فقال النبي ﷺ: «دعوها فإنها أواهة»، قيل: يا رسول الله، وما الأواهة؟ قال: «الخاشعة»(٤).

وقيل: إنه الذي إذا ذكر خطاياه استغفر منها، وقيل: إنه الكثير التأوه من الذنوب، وإنه المعلم للخير، وإنه الشفيق، وإنه الراجع عن كل ما يكره الله تعالى(٥).

إذا جمعنا هذه الأقوال كلها نجدها تعطي معنىً واحداً ألا وهو: الخوف من الله تعالى لأن الخوف من الله عز وجل هو الذي يدفع إلى هذه الصفات.

وأخرج البخاري في تاريخه: أنه الذي قلبه معلق عند الله تعالى(٦).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٨/ ١٧٤، ١٧٥، جامع البيان ١١/ ٤٧ ـ ٥٣، روح المعاني ١١/ ٣٥، تفسير إبن كثير ٣/ ٤٦٣، ٤٦٤، الدر المنثور ١١/ ٣٠٥ ـ ٣٠٧.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤/ ١٥٩، والرجل هو ذو البجادين، وأخرجه إبن جرير(تفسير إبن كثير ٣/ ٤٦٣، ٤٦٤)، وإبن أبي حاتم وإبن مردويه (الدر المنثور ١١/ ٣٠٥ ـ ٣٠٧).

(٣) أخرجه إبن جرير وإبن أبي حاتم وغيرهما (الدر المنثور ١١/ ٣٠٥ ـ ٣٠٧).

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٨/ ١٧٤، ١٧٥.

(٥) جامع البيان ١١/ ٤٧-٥٣، الجامع لأحكام القرآن ٨/ ١٧٤، ١٧٥، تفسير إبن كثير ٣/ ٤٦٣، ٤٦٤، الدر المنثور ١١/ ٣٠٥ ـ ٣٠٧

(٦) روح المعاني، ١١/ ٣٥.

وأخرج البيهقي في شعب الأيمان، وغيره عن كعب: أن إبراهيم وصف بالأواه لأنه كان إذا ذكر النار قال: أوه من النار أوه. وأخرج أبو الشيخ عن أبي الجوزاء مثله[1].

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: كان يسمع لصدر إبراهيم عليه السلام إذا قام إلى الصلاة أزيز من بعد خوفاً من الله عز وجل[2].

ويكفي إبراهيم عليه السلام إن الله تعالى وصفه بأنه أمة فقال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٠].

إن القلم ليقف حيران لا يدري ماذا يكتب في تصوير هذه الكلمة التي وصف الله بها نبي الله إبراهيم وتقريبها من نفوس القارئين، وهو يقول: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ ولو أمعن الإنسان النظر فيها لرأى أنها مقال مسهب في مدح نبي الله إبراهيم، بل هي رسالة من رسائل الثناء، يرينا الله بها إن إبراهيم قد بلغ من الكمال في صفات الخير ما استحق به أن يكون أمة وحده، فكل ما تفوق الناس من خلال طيبة وشيم مرضية، وخلق طاهر، قد جمعه الله تعالى لنبيه إبراهيم، وبذلك صار إبراهيم أمة، فهو أمة في الدعوة إلى الله تعالى، في الاحتمال والصبر، في لين الجانب وجمال الأسلوب، في الثبات على الحق، في التأفف من الباطل، والاشمئزاز منه، وحضور البديهة، وسرعة الخاطر، في التواضع والخشية من الله تعالى، وما إلى ذلك من صفات الكمال.

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

ثم وصف الله تعالى إبراهيم بأنه ﴿ قَانِتًا ﴾ لله وهو القائم بأمر الله، الخاضع له ﴿ حَنِيفًا ﴾ وهو المائل إلى ملة الإسلام ميلا لا يزول عنه، وقوله: ﴿ وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ردّ على اليهود الذين ادّعوا أنهم على ملّة إبراهيم، وكذلك النصارى، وأخذ كل فريق يضمه إليه على ما هم عليه من الشرك[3].

---

(١) روح المعاني ١١/ ٣٥.

(٢) مختصر منهاج القاصدين ٣١٢.

(٣) دعوة الرسل إلى الله تعالى، محمد أحمد العدوي ٤٨.

٣ ـ نوح

ونوح عليه السلام من أولي العزم الذي لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما كما حكاه القرآن الكريم،[١] كان شديد الخوف من الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ * قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٥ ـ ٤٧].

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ...﴾ الآية.

يقول تعالى ذكره مخبراً نبيه محمداً ﷺ عن إنابة نوح عليه السلام بالتوبة إليه من زلته في مسألته التي سألها ربه في ابنه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ﴾ أي أستجير بك أن أتكلف مسألتك ﴿مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾ مما قد استأثرت بعلمه، وطويت علمه عن خلقك، فاغفر لي زلتي في مسألتي إياك ما سألتك في ابني وإن أنت لم تغفرها لي وترحمني فتنقذني من غضبك ﴿أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ يقول: من الذين غبنوا أنفسهم حظوظها وهلكوا[٢].

وقال القاسمي: قوله: ﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي ما فرط مني ﴿وَتَرْحَمْنِىٓ﴾ أي بالوقوف على ما تحب وترضى ﴿أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ أي الذين خسروا أنفسهم بالاحتجاب عن علمك وحكمتك[٣].

فنرى هنا رجوعه إلى الله سبحانه وتعالى بعد قول الله له: ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ دليل على شدة خوفه من الله سبحانه وتعالى.

٤ ـ موسى

وهذا نبي الله موسى عليه السلام من أولي العزم، قصّ الله تعالى لنا حاله في

---

(١) ينظر سورة العنكبوت، آية: ١٤.

(٢) جامع البيان ١٢/ ٥٤، وينظر تفسير إبن كثير ٣/ ٥٥٦؛ ٥٥٧؛ الجامع لأحكام القرآن ٩/ ١٣٣.

(٣) محاسن التأويل ٩/ ١٣٣.

خوفه من الله عز وجل في القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

يقول تعالى ذكره: فلما أطلع الرب للجبل جعل الله الجبل دكاً: أي مستوياً بالأرض،[١] ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ﴾ أي وقع وسقط من هول ما رأى،[٢] ﴿صَعِقٗاۚ﴾ أي وسقط مغشيا عليه من هول ما رأى،[٣] غائبا عن وعيه،[٤] صاعقاً وصائحاً من الصعقة، والمراد أنه سقط مغشياً عليه عند ابن عباس والحسن رضي الله تعالى عنهم[٥]. وقيل: ميتاً، قاله قتادة[٦].

والصعق: وصف بمعنى المصعوق، ومعناه المغشي عليه من صيحة ونحوها مشتق من إسم الصاعقة وهي القطعة النارية التي تبلغ إلى الأرض من كهرباء البرق، فإذا أصابت جسماً أحرقته، وإذا أصابت الحيوان من قريب أماتته، أو من بعيد غشي عليه من رائحتها[٧].

وفي هذا دليل على شدة خوفه من الله سبحانه وتعالى.

وإذا أخذنا باقي الأنبياء عليهم السلام، نجد حالهم في الخوف من الله تعالى لا يختلف كثيرا عن أولي العزم.

٥ ـ آدم

فهذا آدم عليه السلام، كان شديد الخوف من الله تعالى ويلحظ ذلك عندما

---

(١) جامع البيان ٩/ ٥٢.
(٢) محاسن التأويل ٧/ ٢٤٧، روح المعاني ٩/ ٤٥،٤٦.
(٣) جامع البيان ٩/ ٥٢، الجامع لأحكام القرآن ٧/ ١٧٧، محاسن التأويل ٧/ ٢٤٧، الدر المنثور ٩/ ٥٤٥، الأساس في التفسير ٤/ ٢٠١١، في ظلال القرآن ٣/ ١٣٦٩.
(٤) في ظلال القرآن ٣/ ١٣٦٩.
(٥) روح المعاني ٩/ ٤٥، ٤٦.
(٦) تفسير إبن كثير ٣/ ٢١٨، روح المعاني ٩/ ٤٥، ٤٦.
(٧) تفسير التحرير والتنوير ٩/ ٩٤.

أصاب الخطيئة بأكله من الشجرة فلما عاتبه الله تعالى في القرآن الكريم رجع إلى الله وتاب وقال كما حكاه القرآن الكريم: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن آدم وحواء فيما أجاباه به، واعترافهما على أنفسهما بالذنب، ومسألتهما إياه المغفرة منه والرحمة[١].

ومعنى قوله: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾. قال: آدم وحواء لربهما: يا رب فعلنا بأنفسنا من الإساءة إليها بمعصيتك وخلاف أمرك، وبطاعتنا عدونا وعدوك، فيما لم يكن لنا أن نطيعه فيه من أكل الشجرة التي نهيتنا عن أكلها ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾ يقول: وإن أنت لم تستر علينا ذنبنا فتغطيه علينا، وتترك فضيحتنا به بعقوبتك إيانا عليه، وترحمنا بتعطفك علينا، وترك أخذنا به ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ يعني: لنكونن من الهالكين[٢].

وقال وهب: بكى آدم عليه السلام على الجنة ثلاثمائة عام، وما رفع رأسه إلى السماء بعدما أصاب الخطيئة[٣].

٦ ـ داود

كان عليه السلام، أيضاً شديد الخوف من الله تعالى يدل ذلك ما حكاه القرآن الكريم في قصة الخصمان فقال تعالى:

﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤].

قوله: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ يقول: وعلم داود إنما ابتليناه ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾ يقول: فسأل داود ربه غفران ذنبه ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ يقول: وخرّ ساجداً لله ﴿وَأَنَابَ﴾ يقول: ورجع إلى رضا ربه، وتاب من خطيئته[٤].

---

(١) جامع البيان ٨/ ١٤٤ وينظر محاسن التأويل ٧/ ٣٩.
(٢) المصدر السابق.
(٣) مختصر منهاج القاصدين ٣١٢.
(٤) جامع البيان ٢٣/ ١٤٦ وينظر الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ١١٨ ـ ١٢١، محاسن التأويل ١٤/ ١٥٥، ١٥٦، تفسير إبن كثير ٦/ ٥٢ ـ ٥٥.

وقيل: كان داود عليه السلام يعوده الناس يظنون أنه مريض، وما به إلا شدة الفرق من الله عز وجل[1].

وهذه المخاوف نابعة من معرفتهم بالله سبحانه وتعالى بعظمته وجلاله وسطوته فكان هذا حالهم، جعلنا الله تعالى ممن يتأسى بهم ويخاف منه تعالى كما كانوا يخافون.

المبحث الثاني

دعوتهم لأقوامهم إلى الخوف منه تعالى ومن عذابه وحسابه في الدنيا والآخرة

كانت بعثة الأنبياء والمرسلين إلى الناس رحمة وهداية حيث لولاهم لما عرف الناس طريق الخير والشر.

وأول شيء دعوا الأنبياء إليه أقوامهم هو الخوف من الله تعالى وعبادته وتوحيده ونبذ الأنداد والأضداد وإخلاص العبادة له، لذلك نرى في كل قصص الأنبياء الذين قص الله لنا قصصهم في القرآن الكريم دعوتهم لأقوامهم إلى الخوف من الله من عقابه وحسابه سواء أكان هذا العقاب والحساب في الدنيا أو العذاب في الآخرة.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ۝٢٠٨﴾ [الشعراء: ٢٠٨].

قال تعالى مخبراً عن عدله في خلقه إنه ما أهلك أمة من الأمم إلا بعد الإعذار إليهم، والإنذار لهم، وبعثة الرسل إليهم، وقيام الحجة عليهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾[2].

يقول تعالى ذكره: ﴿إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ يقول: إلا بعد إرسالنا إليهم رسلا ينذرونهم بأسنا على كفرهم وسخطنا عليهم[3]، ينذرونهم لأجل الموعظة والتذكرة[4]. وهذا

---

(١) جامع البيان ٢٣/١٤٦ وينظر الجامع لأحكام القرآن ١٥/١١٨ ـ ١٢١، محاسن التأويل ١٤/١٥٥، ١٥٦، تفسير إبن كثير ٦/ ٥٢ ـ ٥٥.

(٢) تفسير إبن كثير ٥/٢٠٨.

(٣) جامع البيان ١٩/١١٧، الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٩٥.

(٤) محاسن التأويل ١٣/٤٦.

تذكير لقريش بأن القرى التي أهلكها الله والتي تقدم ذكرها في هذه السورة قد كان لها رسل ينذرونها عذاب الله ليقيسوا حالتهم على أحوال الأمم التي قبلهم[١].

وقد قصّ لنا القرآن الكريم قصص الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، دعوتهم وجهادهم في سبيل نشر أوامر الله سبحانه وتعالى، وقد اختار سبحانه وتعالى من بين هؤلاء رسل اختصهم لتبليغ ما أمر فكان أهم شيء دعوا إليه هؤلاء عبادة الله وحده لا شريك له والخوف منه دون خوف أحد غيره.

وقد تميز كل رسول بدعوة خاصة مع قومه كما حكاه لنا القرآن الكريم، لأن الغرض الاعتبار بسيرتهم والتأسي بهم والاهتمام بما كانوا يهتمون به، وقد اقتضت حكمته سبحانه وتعالى ألا يعذب أحداً من البشر دون أن يرسل له رسولا، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

يقول تعالى ذكره: وما كنا مهلكي قوم إلا بعد الإعذار إليهم بالرسل وإقامة الحجة عليهم بالآيات التي تقطع عذرهم[٢] فلم نترك الخلق سدى[٣].

وفي هذا إخبار عن عدله وأنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه[٤].

والرسل متفاوتون في درجاتهم، وكذلك اختلفت دعواتهم، والذي يهمنا هو دعوتهم لأقوامهم إلى الخوف من الله سبحانه وتعالى.

كانت دعوتهم عليهم السلام أساسها العمل الصالح، والخلق الطيب، على هذه الأصول اتفقت دعوتهم واجتمعت كلمتهم، وبذلك كانت الشرائع متحدة في أصولها، وإن تفاوتت في مشاربها وأساليبها[٥].

نرى الرسل دائماً يذكرون أقوامهم بماضيهم معهم، وأنهم لم يبعثوا فيها

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ١٩/ ١٩٧.

(٢) جامع البيان ١٥/ ٥٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ١٥٢.

(٤) تفسير إبن كثير ٤/ ٢٨٧ وينظر محاسن التأويل ١٠/ ٢١٣، ٢١٤، تفسير القرآن الكريم، عبد الله شبر ٢٨٠.

(٥) دعوة الرسل، مقدمة الكتاب ك.

جبارين، بل مبشرين ومنذرين، أمناء ناصحين، لا يبتغون من دعوتهم سوى إرضاءهم لربهم، وإسعادهم لشعوبهم، لا ينتظرون منهم أجراً على دعوتهم، بل ينتظرونه من الذي فطرهم، مؤمنين بأحقية ما يقولون، وجدير بقوم ذلك حالهم، وهذا ماضيهم، أن يسمع الناس لهم[1].

إن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، على إتفاقهم على تلك الأصول يُعنون عناية خاصة بالأمراض التي تحيق بأقوامهم، فنجد نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام يهتم كثيراً بالتوحيد، ومحاربة الشرك، حتى ليخيل لمن يقرأ قصته في القرآن الكريم أنه لم يُبعث إلا بالتوحيد، لتفشي الوثنية في عهده، وفتنة الناس بالأصنام في مدته، ولذلك اشتهر بأنه شيخ الموحدين، وتجد نبي الله لوطاً يُعنى بمحاربة الفاحشة التي فشت في قومه، حتى ألفها الناس، وأصبح التنزه منها جرما يستحق عليه صاحبه النفي والتغريب، وذلك منتهى الفساد الخلقي، والنزول عن مستوى الإنسانية.

ألا ترى إلى القوم في شأن لوط وحزبه: ﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢][2].

وتجد نبي الله شعيباً يدعو القوم بعد توحيد الله تعالى إلى أن يوفوا الكيل، ويزنوا بالقسطاس المستقيم لأن مرض الغش والتدليس كان شائعاً فيهم، وترى نبي الله موسى يعنى بإنقاذ بني إسرائيل من مخالب فرعون، ويعمل على إحباط ظلمه، ومحاربة طغيانه، ويَجِدّ في تربية العزة والكرامة في نفوس القوم، لأنهم ألفوا الذل زمنا طويلا[3].

كل ذلك لنفهم أن المصلح دائماً يجعل همه محاربة المرض الموجود، وإذا كان هناك أمراض عمد إلى أفتكها بالنفوس، وأضرها على الخلق والنفس، كالطبيب إذا عرض عليه رجل عنده أمراض ليس في استطاعته أن يعالجها دفعة، فإنه يبدأ بأهمها خطراً[4].

---

(١) دعوة الرسل، مقدمة الكتاب ك.

(٢) دعوة الرسل إلى الله تعالى ك، ل.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

وورد خوف الأنبياء في عدد من الآيات ممثلا حالة التحذير والإشفاق على أقوامهم من أن يمسهم عذاب الله نتيجة إعراضهم عن أوامره. قال تعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام، الذي خاطب قومه:

﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩].

كما ورد مثل هذا النوع من الخطاب على لسان أنبياء الله: هود[١]، وإبراهيم[٢]، وشعيب[٣]، عليهم السلام، وورد أيضاً في خطاب الرجل المؤمن من آل فرعون قومَهُ[٤].

ويلحظ أن في تعبير: ﴿يَٰقَوْمِ﴾ في هذه الآية دلالة على أنه عليه السلام يذكرهم بآصرة القرابة، ليتحققوا أنه ناصح ومريد خيرهم ومشفق عليهم[٥]. كما أن اقتران فعل الخوف بـ﴿إِنِّىٓ﴾ التي تفيد التوكيد، والتعبير بلفظ المضارع في ﴿أَخَافُ﴾ وما يفيده المضارع من تجدد حدوث الفعل واستمراره، يوحي بأن خوفه عليهم مستمر، كما أن اقتران هذا الفعل بـ﴿عَلَيْكُمْ﴾ وما يفيده من الإشفاق والاهتمام بهم[٦]، كلها تدل على أنه عليه السلام كان (في إشفاق الأخ الناصح لإخوانه)[٧][٨].

وسوف أرتب دعوة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، كما حكاه لنا القرآن الكريم ودعوتهم لأقوامهم إلى الخوف من الله سبحانه وتعالى:

أول رسول أرسل إلى الناس هو نوح عليه السلام، كما حكى ذلك القرآن

---

(١) تنظر سورة الشعراء، الآية: ١٣٥، والأحقاف، الآية: ٢١.
(٢) سورة مريم، الآية: ٤٥.
(٣) سورة هود، الآية: ٨٤.
(٤) سورة غافر، الآيات: ٢٦، ٣٠، ٣٢.
(٥) تفسير التحرير والتنوير ٨/ ١٨٨.
(٦) أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، عبد الحليم حفني ٧١.
(٧) في ظلال القرآن ٣/ ٥٤٣.
(٨) الألفاظ النفسية في القرآن الكريم ١٣٢.

الكريم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ ﴾ [النساء: ١٦٣].

وقد قصَّ الله تعالى لنا دعوته مع قومه في سورة (الأعراف) و (يونس) و (هود) و (المؤمنون) و (الشعراء) و (نوح).

والشيء الملفت للنظر في قصته هو صبره على الدعوة فقد مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً. قال تعالى: ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا ﴾ [العنكبوت: ١٤].

وأول شيء دعا إليه نوح هو عبادة الله وحده دون أحد سواه والخوف منه تعالى.

قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ [الأعراف: ٥٩].

أقسم ربنا جلَّ ثناؤه للمخاطبين بهذه الآية أنه أرسل نوحاً إلى قومه منذرهم بأسه ومخوِّفهم سخطه على عبادتهم غيره فقال لمن كفر منهم: يا قوم اعبدوا الله الذي له العبادة وذلوا بالطاعة واخضعوا له بالاستكانة ودعوا عبادة ما سواه من الأنداد والآلهة فإنه ليس لكم معبود يستوجب عليكم العبادة غيره، فإني أخاف عليكم أن تفعلوا ذلك عذاب يوم عظيم، يعني عذاب يوم يعظم فيه بلاؤكم بمجيئه إياكم بسخط ربكم(١).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ * أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴾ [هود: ٢٥ ـ ٢٦].

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ ﴾ أيها القوم ﴿ نَذِيرٞ ﴾ من الله أنذركم بأسه على كفركم به، فآمنوا به وأطيعوا أمره. ويعني بقوله: ﴿ مُّبِينٌ ﴾ يبين لكم عما أرسل به إليكم من أمر الله ونهيه(٢).

---

(١) جامع البيان ٨/ ٢١٣.
(٢) جامع البيان ١٢/ ٢٦.

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي إن عبدتم غيره[1] ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ﴾ يقول: أي أيها القوم إن لم تخصوا الله بالعبادة وتفردوه بالتوحيد، وتخلعوا ما دونه من الأنداد والأوثان، أخاف عليكم من الله عذاب يوم مؤلم عقابه وعذابه لمن عذّب فيه، وجعل الأليم من صفة اليوم وهو من صفة العذاب إذ كان العذاب فيه كما قيل: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا﴾ [الأنعام: ٩٦]. وإنما السكن من صفة ما سكن فيه دون الليل[2].

ثاني الرسل هود عليه السلام، وقد قص الله تعالى علينا دعوته لقومه في سور (الأعراف) و (هود) و (الشعراء)، وذكرهم بأن الله تعالى جعلهم خلفاء في الأرض من بعد قوم نوح، وزادهم في الخلق بسطة، وأنه ينبغي لهم أن يذكروا هذه النعم ليصلوا بها إلى مسديها، وأمرهم بالاستغفار والتوبة إليه ليرسل السماء مدراراً عليهم ويزيدهم قوة إلى قوتهم فيرمونه بأن بعض آلهتهم مسه بسوء، ومن أجل ذلك يحقرهم فيشهد الله ويشهدهم أنه بريء من شركهم وآلهتهم، ثم يذكرهم بنعم الله عليهم في رفع البناء الشامخ، لا لأغراض صحيحة، ومنافع تعود عليهم بالخير، بل للعبث واللهو، ويذكرهم أن من خلقهم أنهم إذا بطشوا بالضعيف بطشوا جبارين، كغلاة المستعمرين في كل زمان، فيقولون له: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ * إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٦ - ١٣٧][3].

قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ * قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ * أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٥ - ٦٨].

وقال تعالى على لسان هود عليه السلام: ﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ * وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ﴾ [هود: ٥١ - ٥٢].

---

(١) محاسن التأويل ٩/١١١.

(٢) جامع البيان ١٢/٢٦.

(٣) دعوة الرسل س.

وقال تعالى أيضا: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الشعراء: ١٢٦ - ١٣٥].

هذا إخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله هود عليه السلام، إنه دعا قومه عاداً، وكان قومه يسكنون الأحقاف، وهي جبال الرمل قريبا من حضرموت، متاخمة بلاد اليمن، وكان زمانهم بعد قوم نوح، كما قال في سورة الأعراف: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً﴾ [آية: ٦٩]. وذلك أنهم كانوا في غاية من قوة التركيب والقوة والبطش الشديد، والطول المديد، والأرزاق الدرارة، والأموال والجنات والأنهار، والأبناء والزروع والثمار، وكانوا مع ذلك يعبدون غير الله معه، فبعث الله هوداً إليهم رجلاً منهم رسولاً وبشيراً ونذيراً، فدعاهم إلى الله وحده، وحذرهم نقمته وعذابه في مخالفته وبطشه، فقال لهم كما قال نوح لقومه إلى أن قال: ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي إن كذبتم وخالفتم، فدعاهم إلى الله بالترغيب والترهيب[(١)].

ثالث الرسل هو صالح عليه السلام، أرسله الله إلى قومه وأظهر شيء في دعوته الناقة المعجزة له وتحذير الله لهم أن يمسها أحد بسوء لا في شربها ولا في جسمها، وقد قص الله تعالى لنا دعوته لقومه في سور (الأعراف) و(هود) و(الشعراء) و(النحل) و(الشمس) وكيف أنه دعاهم إلى عبادة الله والخوف منه جل وعلا.

قال تعالى: ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٧٣].

قوله ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: في الدارين لجرأتكم على آيات الله[(٢)]،

---

(١) تفسير إبن كثير ٥/ ١٩٥،١٩٦، وينظر جامع البيان ١٩/ ٩٦، الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٨٤، محاسن التأويل ١٣/ ٣٣.

(٢) محاسن التأويل ٧/ ١٧٩.

يعني موجع[1].

وقال تعالى على لسان صالح عليه السلام: ﴿... يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١].

وقال تعالى أيضا: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ * فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ * فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: ١٤٢ ـ ١٥٠]. وقال تعالى أيضا: ﴿... يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النحل: ٤٦].

رابع الرسل هو إبراهيم عليه السلام، من أولوا العزم، أرسله الله تعالى إلى قومه فأنذرهم من عذاب الله وآتاه الله الحجة عندما دعا أباه إلى الله تعالى وترك الأصنام وقد قص الله تعالى لنا دعوته لقومه في سور (البقرة) و (الأنعام) و (إبراهيم) و (النحل) و (مريم) و (الأنبياء) و (الشعراء) و (الصافات) و (الممتحنة).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ إلى أن قال: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٧٤ ـ ٨١].

وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا * يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا * يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا * يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤١ ـ ٤٥].

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: واذكر في الكتاب إبراهيم، واتل على قومك

---

(١) جامع البيان ٨/٢٣١.

هؤلاء الذين يعبدون الأصنام، واذكر لهم ما كان من خبر إبراهيم خليل الرحمن، الذين هم من ذريته ويدعون أنهم على ملّته، وقد كان صدِّيقاً نبِّياً مع أبيه، كيف نهاه عن عبادة الأصنام، وقال له بعد أن نهاه: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ أي على شركك وعصيانك لما آمرك به ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾ يعني فلا يكون لك مولى ولا ناصراً ولا مغيثاً إلا إبليس[1] وكذلك الآيات الباقية في سور (البقرة) و (إبراهيم) و (النحل) و (الأنبياء) و (الشعراء) و (الصافات) و (الممتحنة) وما جرى بينه وبين قومه من محاورة تدل على خوفه عليهم ودعوتهم إلى عبادة الله تعالى والخوف منه دون خوف أحد سواه.

خامس الرسل لوط عليه السلام، ذكر الله تعالى لنا قصته مع قومه في سور (الأعراف) و (هود) و (الشعراء) و (العنكبوت).

وكان قوم لوط يأتون الفاحشة فنهاهم عنها لوط عليه السلام، وأراهم أنها جناية على الفطرة، وإذلال للرجال بكسر ما فيهم من إباء وشمم، وتعطيل للنسل، ومفسدة للنساء بتعريضهن للزنا، كما أراهم أنهم مسرفون بذلك العمل، متجاوزون للحدود، وقد هدّدوه بإخراجه من بلدة إن لم يرجع عن دعوته وقد كان عاقبة أمرهم أن أخذهم الله بعذابه وأنجى لوط وأهله.

قال تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ * إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨٠ ـ ٨١].

وقال تعالى: ﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ * إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ * فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٠-١٦٤].

يقول الله تعالى مخبراً عن عبده ورسوله لوط عليه السلام. وكان الله تعالى قد بعثه إلى أمة عظيمة في حياة إبراهيم عليهما السلام، فدعاهم إلى الله عز وجل أن يعبدوه وحده لا شريك له، وأن يطيعوا رسولهم الذي بعثه الله اليهم، ونهاهم عن

---

(١) تفسير إبن كثير ٤/٤٥٩،٤٦٠ وينظر جامع البيان ١٦/٨٩،٩٠، الجامع لأحكام القرآن ١١/٧٤، ٧٥.

معصية الله وارتكاب ما كانوا قد ابتدعوه في العالم مما لم يسبقهم أحد من الخلائق إلى فعله، من إتيان الذكور دون الإناث[١].

سادس الأنبياء يوسف عليه السلام، ودعوته وإن كانت قصيرة تتفق مع كونه نبياً إلى أنه دعا في هذه الدعوة إلى الخوف من الله تعالى في قصته من الآيات والعبر ما لا يقف عندها أحد.

ومن أهم ما في القصة افتنان امرأة العزيز به، ومراودتها إياه عن نفسه، ورده عليها بأباء وشمم، شأن من أعده الله لمنصب الرسالة وهيأه لزعامة الناس، وقوله: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣] وبيان أن الهم الذي حصل من امرأة العزيز هم يتناسب مع شهوتها وجهلها أما همّ يوسف فهو همّ بالخلاص منها، وقد سخّر الله له العزيز في الوقت الذي استحكم فيه الخلاف، شأنه مع أحبابه وأوليائه يجعل لهم من كل ضيق مخلصاً، ومن كل همّ فرجاً، ثم شهد الله له أنه من عباده المخلصين، وشهدت له امرأة العزيز بأنها راودته فاستعصم[٢].

ودعوته وردت في محاورته هو والفتيان اللذان دخلا معه في السجن فدعاهما إلى الخوف من الله تعالى.

قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٣٩ ـ ٤٠].

قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ يقول: هذا الذي دعوتكما إليه من البراءة، من عبادة ما سوى الله من الأوثان، وأن تخلصا العبادة لله الواحد القهار، هو الدين القويم الذي لا اعوجاج فيه، والحق الذي لا شك فيه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ يقول: ولكن أهل الشرك بالله يجعلون ذلك، فلا يعلمون حقيقته[٣].

---

(١) تفسير إبن كثير ٥/ ٢٠٠ وينظر جامع البيان ١٩/ ١٠٤، ١٠٥.

(٢) دعوة الرسل ف.

(٣) جامع البيان ١٢/ ٢٢٠.

سابع الرسل نبي الله شعيب عليه السلام، دعا قومه إلى عبادة الله والخوف منه وأظهر شيء فيها دعوته إلى الصدق في البيع والشراء وما إلى ذلك، وقد ذكر الله تعالى لنا قصته في سور (الأعراف) و (هود) و (الشعراء).

قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ۞ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۞ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾.
[هود: ٨٤ ـ ٨٦].

قوله: ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ ﴾ بمخالفتكم أمر الله وبخسكم الناس أموالهم في مكاييلكم وموازينكم ﴿ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾ يقول: أن ينزل بكم عذاب يوم محيط بكم عذابه[١]. وصف اليوم بالإحاطة، وأراد وصف ذلك اليوم بالإحاطة بهم، فإن يوم العذاب إذا أحاط بهم فقد أحاط العذاب بهم، وهو كقولك: يوم شديد، أي شديد حرّه. واختلف في ذلك العذاب فقيل: هو عذاب النار في الآخرة. وقيل: عذاب الإستئصال في الدنيا. وقيل غلاء السعر[٢].

ثامن الرسل موسى عليه السلام، المبعوث إلى فرعون وقومه، ذكر الله تعالى قصته في سور (المائدة) و (الأعراف) و (يونس) و (إبراهيم) و (طه) و (المؤمنون) و (الشعراء) و (النحل) و (القصص) و (غافر) و (الدخان) و (النازعات)، وهذه السيرة لها شأن عظيم في القرآن ولهذا أطال فيها إطالة لا تكاد تجدها في غيرها من السّير[٣].

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۞ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ

---

(١) جامع البيان ١٢/ ٩٩.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٥٧ وينظر محاسن التأويل ٩/ ١٥٩.
(٣) دعوة الرسل ﷺ.

وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٥ ـ ٦].

قوله: ﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ ﴾ معناه: خوفهم بما نزل بعاد وثمود وأشباههم من العذاب، وبالعفو عن الآخرين(١).

وقال القاسمي: أي: أنذرهم بوقائعه التي وقعت على الأمم قبلهم، كقوم نوح ولوط(٢).

فهذه دعوة منه عليه السلام إلى الخوف من الله تعالى وتذكر نعمة الله عليهم بعد أن أنجاهم من عدوهم فرعون.

تاسع الرسل هارون عليه السلام، أرسله الله لمساعدة موسى عليه السلام في دعوته لقومه فقد حكى الله تعالى لنا قصته ودعوته لقوم موسى بعدما استخلفه موسى عليه السلام فعبدوا العجل فأنذرهم وخوّفهم.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي ﴾ [طه: ٩٠].

قوله: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي ﴾ يقول: وإن ربكم الرحمن الذي يعمّ جميع الخلق نعمه، فاتبعوني على ما آمركم به من عبادة الله، وترك عبادة العجل، وأطيعوا أمري فيما آمركم به من طاعة الله، وإخلاص العبادة له(٣).

العاشر نبي الله عيسى عليه السلام، ذكر الله تعالى قصته في سور (آل عمران) و (المائدة) و (مريم) و (الزخرف) و (الحديد) و (الصف).

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾. [الزخرف: ٦٣ ـ ٦٤].

---

(١) جامع البيان ١٣/ ١٨٢ وينظر الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٢٢٤.
(٢) محاسن التأويل ١٠/٨.
(٣) جامع البيان ١٦/ ٢٠٢ وينظر الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٥٧، وتفسير إبن كثير ٤/ ٥٣٣.

قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ يقول: فاتقوا ربكم أيها الناس بطاعته، وخافوه باجتناب معاصيه، وأطيعون فيما أمرتكم به من اتقاء الله واتباع أمره، وقبول نصيحتي لكم.

وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ يقول: إن الله الذي يستوجب علينا إفراده بالألوهية وإخلاص الطاعة له، ربي وربكم جميعاً، فاعبدوه وحده، لا تشركوا معه في عبادته شيئاً، فإنه لا يصلح ولا ينبغي أن يُعبد شيء سواه.

وقوله: ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ يقول: هذا الذي أمرتكم به من اتقاء الله وطاعتي، وإفراد الله بالألوهة، هو الطريق المستقيم، وهو دين الله الذي لا يقبل من أحد من عباده غيره[1].

الحادي عشر: نبينا محمد ﷺ.

اختار الله سبحانه وتعالى نبينا محمد ﷺ من بين الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين وأرسله إلى الناس كافة وجعله رحمة للعالمين فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وبعثه الله تعالى بمكة على رأس الأربعين وكانت مدة إقامته بمكة ثلاث عشرة سنة وما نزل من القرآن في هذه المدة يقال له: المكيّ، ومكث بالمدينة عشر سنين وما نزل من القرآن بعد الهجرة يقال له: المدني، ودعا قومه طول فترة بعثته وإنه لم يبق أمر فيه خير للناس إلا أرشدهم إليه ولم يبق شيء فيه مضرّة لهم إلا حذرهم إياه حتى اختاره الله لجواره فقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وحسبنا أنها الدعوة الباقية إلى قيام الساعة، والمتفقة في أصولها العامة، والأزمنة المقبلة، والملائمة لرشد الناس وثقافتهم التي أعدهم الله لها في قرونهم الأخيرة[2].

---

(١) جامع البيان ٢٥/٩٣ وينظر الجامع لأحكام القرآن ١٦/٧٢، محاسن التأويل ١٤/٣٤٩، ٣٥٠.
(٢) دعوة الرسل ش.

والذي يهمنا هو دعوته ﷺ للناس إلى الخوف من الله عز وجل فقد بين القرآن الكريم لنا دعوته للناس كافة فقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

يقول تعالى ذكره: وما أرسلناك يا محمد إلى هؤلاء المشركين بالله من قومك خاصة، ولكنّا أرسلناك كافة للناس أجمعين، العرب منهم والعجم، والأحمر والأسود، بشيراً من أطاعك، ونذيراً من كذبك(١).

وفي دعوته ﷺ للناس قال تعالى:

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد للناس كلهم: ﴿ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ لا إلى بعضكم دون بعض، كما كان من قبلي من الرسل، مرسلاً إلى بعض الناس دون بعض(٢).

﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ يقول جل ثناؤه: قل لهم: فصدقوا بآيات الله الذي هذه صفته، وأقروا بوحدانيته، وأنه الذي له الألوهة والعبادة، وصدقوا برسوله محمد ﷺ أنه مبعوث إلى خلقه داع إلى توحيده وطاعته(٣).

وقد فضّل ﷺ على إخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بفضائل نذكر منها كما أخبر بذلك نبينا ﷺ.

قال إبن عباس: إن الله تعالى فضل محمداً ﷺ على أهل السماء وعلى الأنبياء. قالوا يا ابن عباس: فَبِمَ فضله الله على الأنبياء؟ قال رضي الله عنه: إن الله تعالى قال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم: ٤]. وقال للنبي ﷺ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]، فأرسله الله تعالى إلى الجن والإنس(٤).

---

(١) جامع البيان ٢٢/ ٩٦ وينظر الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ١٩٢، محاسن التأويل ١٤/ ٢٥، ٢٦.
(٢) جامع البيان ٩/ ٨٦.
(٣) جامع البيان ٩/ ٨٦ وينظر محاسن التأويل ٧/ ٢٧٩، ٢٨٠.
(٤) المعجم الكبير، الطبراني ١١/ ٢٣٩ برقم ١٤٢١٩٧، سنن الدارمي ١/ ٣٨ برقم ٣٥٨٥٨، =

قال إبن كثير: وهذا الذي قاله ابن عباس رضي الله عنهما، قد ثبت في الصحيحين. رفعه جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه، وبعثت إلى الناس عامة»(١).

وفي الصحيح أيضاً(٢): أن رسول الله ﷺ قال: «بعثت إلى الأسود والأحمر». قال مجاهد: يعني الجن والإنس. وقال غيره: يعني العرب والعجم والتحقيق في معنى عموم إرساله وشمول بعثته، هو مجيئه بشرع ينطبق على مصالح الناس وحاجاتهم أينما كانوا، وأي زمان وجدوا، مما لم يتفق في شرع قبله قط. ولهذا ختمت النبوات بنبوته ﷺ(٣).

وكانت دعوته ﷺ إلى الخوف من الله عز وجل دعوة حريص على قومه جاء في ذلك كثير من الأحاديث التي تبين خوفه على أمته يكفينا أن لكل نبي دعوة مستجابة دعاها.

كما قال ﷺ: «إني اختبأت شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا»(٤). وحكى لنا القرآن الكريم هذا الخوف فقال تعالى:

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٖ فَضْلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٖ كَبِيرٍ﴾ [هود: ٢ ـ ٣]

= والصلاة برقم ٣٣٥، ٤٣٨، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة برقم ٥٢١.

(١) أخرجه البخاري كتاب التيمم.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة برقم ٥٢١.

(٣) محاسن التأويل ١٤/٢٥، ٢٦.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان برقم ١٩٩.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد للناس: إنني لكم من عند الله نذير ينذركم عقابه على معاصيه وعبادة الأصنام، وبشير يبشركم بالجزيل من الثواب على طاعته، وإخلاص العبادة والألوهة له.

ويعني بقوله: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ وأن اعملوا أيها الناس من الأعمال ما يرضي ربكم عنكم فيستر عليكم عظيم ذنوبكم التي ركبتموها بعبادتكم الأوثان والأصنام، وإشراككم الآلهة والأنداد في عبادته.

إلى أن قال لهم: ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وأن أعرضوا عما دعوتهم إليه من إخلاص العبادة لله، وترك عبادة الآلهة، وامتنعوا من الاستغفار لله والتوبة إليه، فأدبروا مولين عن ذلك، فإني أيها القوم أخاف عليكم عذاب يوم كبير شأنه، عظيم هوله، وذلك ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٤٥][(١)].

قال القاشاني: ﴿كَبِيرٍ﴾ أي شاق عليكم، وهو يوم الرجوع إلى الله، القادر على كل شيء، أي يوم ظهور عجزكم، وعجز ما تعبدون، بظهوره تعالى في صفة قادريته، فيقهركم بالعذاب، ولذا قال تعالى: ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [هود: ٤][(٢)].

وأما ما ورد في السنة النبوية فأحاديث كثيرة منها قوله ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»[(٣)].

وقال ﷺ: «أنا النذير العريان»[(٤)].

نسأله سبحانه أن نكون ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه اللهم آمين.

---

(١) جامع البيان ١١/ ١٨١، ١٨٢ وينظر الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٤، ٥.

(٢) محاسن التأويل ٩/ ٩٤.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الرقاق برقم ٦٤٨٢، وكتاب الإعتصام بالكتاب برقم ٧٢٨٣، صحيح مسلم، كتاب الفضائل برقم ٢٢٨٣.

الفصل الرابع
ثمار الخوف أو منزلة الخائفين وجزاؤهم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ثمار الخوف في الدنيا.

المبحث الثاني: ثمار الخوف في الآخرة.

المبحث الأول
ثمار الخوف في الدنيا

إن فضل الخوف هو وصول العبد إلى ما يرضي الله سبحانه وتعالى وهذا من أبلغ المقامات، ويعرف فضله كما قال صاحب الإحياء: تارة بالتأمل والاعتبار وتارة بالآيات والأخبار. أما الاعتبار: فسبيله أن تعرف أن فضيلة الشيء بقدر غناءه في الإفضاء إلى سعادة لقاء الله تعالى إذ لا مقصود سوى السعادة إذ هي الغاية المطلوبة، ولا سعادة للعبد إلا في لقاء مولاه والقرب منه، فكل ما أعان عليه فله فضيلة، وفضيلته بقدر إعانته، وقد ظهر أنه لا وصول إلى سعادة لقاء الله في الآخرة إلا بتحصيل محبته والأنس به في الدنيا فيموت على ذلك[1]. والخوف من الله تعالى هو الجالب للطاعات والمبعد عن المعاصي ذلك أن العبد كلما تذكر عذاب الله كان هذا الخوف حاجزاً ومانعاً من ارتكاب أي محذور يغضب الله سبحانه وتعالى.

وللخوف آثار وثمار كثيرة في الدنيا لما ورد من آيات وأحاديث كثيرة تبين فضل وآثار الخوف.

---

(١) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ١١/ ٤٠٧، ٤٠٨.

١ ـ إن الخوف من الله تعالى يبعث إلى ذكر الله.

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

قوله تعالى: ﴿وَخِيفَةٗ﴾ معطوف عليه وجمع خيفة خِوَف لأنه بمعنى الخوف[١].

وقيل: وخوفاً من الله أن يعاقبك على تقصير يكون منك في الاتعاظ به والاعتبار، وغفلة عما بين الله فيه من حدوده[٢].

٢ ـ إن الخوف من الله تعالى يورث نهي النفس عن الهوى واجتناب المعاصي.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ ـ ٤١]، أي خاف القيام بين يدي الله عز وجل وخاف علم الله فيه ونهى نفسه عن هواها وردها إلى طاعة مولاها ﴿فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ أي مقلبه ومصيره ومرجعه إلى الجنة الفيحاء[٣].

وقيل: حَذِرَ مقامه بين يدي ربه. وقال الربيع: مقامه يوم الحساب. وكان قتادة يقول: إن لله عز وجل مقاماً قد خافه المؤمنون. وقال في هذا: هو خوف في الدنيا من الله عز وجل عند مواقعة الذنب، ﴿وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ أي زجرها عن المعاصي والمحارم وقال: ترك الهوى مفتاح الجنة بقوله عز وجل: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ قال عبد الله بن مسعود: أنتم في زمان يقود الحق الهوى، وسيأتي زمان يقود الهوى الحق فنعوذ بالله من ذلك الزمان ﴿فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ أي المنزل[٤].

وقيل: خاف عظمته وشأنه وهيبته أو أوامره ونواهيه والخزي بين مشاهديه[٥].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٢٢٥.

(٢) جامع البيان ٩/ ١٦٦.

(٣) تفسير ابن كثير ٧/ ٢١٠، روح المعاني ٣٠/ ٣٦، روح البيان، ٧/ ٣٢٧، الأساس في التفسير ١١/ ٦٣٦٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٣٥.

(٥) مواهب الرحمٰن في تفسير القرآن، عبد الكريم المدرس ٧/ ٤٧٠.

٣ ـ إن الخوف من الله تعالى يورث التثبت في الكلام وعدم القول بقول فيه تحريف.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥].

قوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى﴾ أي إن خالفت في تبديله وتغييره أو في ترك العمل به، ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني يوم القيامة(١).

وقيل أيضا قوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى﴾ أي أخشى من الله إن خالفت أمره وغيرت أحكام كتابه وبدلت وحيه فعصيت بذلك ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هوله(٢).

٤ ـ إن الخوف من الله تعالى يبعث إلى الالتزام بالأوامر.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٤].

قوله تعالى: ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي ليختبرنكم الله أيها المؤمنون ببعض الصيد في حال إحرامكم كي يعلم أهل طاعة الله والإيمان به والمنتهون إلى حدوده، وأمره ونهيه، من الذي يخاف الله، فيتقي ما نهاه عنه، ويجتنب خوف عقابه بالغيب، ليعلم أولياء الله من يخاف الله فيتقي محارمه التي حرمها عليه من الصيد وغيره، بحيث لا يراه ولا يعاينه(٣).

٥ ـ إن الخوف من الله تعالى يورث البكاء من خشية الله.

قال تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾ [الإسراء: ١٠٩]. قوله: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ أي خضوعاً لله عز وجل وإيماناً وتصديقاً بكتابه ورسوله ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ أي القرآن ﴿خُشُوعًا ۩﴾ أي إيماناً وتسليماً ولين قلب ورطوبة عين. هذه

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٨/ ٢٠٤.

(٢) جامع البيان ١١/ ٩٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٦/ ١٩٣، جامع البيان ٧/ ٣٩، ٤٠.

هي حال أهل الإيمان من هذا الكتاب خضوع وخشوع وتسليم وإيمان ويقين، فليت شعري كيف صار الحال من بعد؟ تمرد واحتقار وازدراء، وكم نستأهل من العقاب(١).

٦ ـ إن الخوف من الله تعالى يدفع إلى الوفاء بالنذر وأداء الحقوق.

قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

يقول تعالى ذكره: ويخافون عقاب الله بتركهم الوفاء بما نذروا لله من بر في يوم كان شره مستطيراً، ممتداً طويلاً فاشياً(٢).

٧ ـ إن الخوف من الله تعالى يدفع إلى الاعتبار والاستعداد ليوم المعاد.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۞ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾.
[هود: ١٠٢ ـ ١٠٣].

يقول تعالى ذكره: إن في أخذنا مَن أخذنا من أهل القرى التي اقتصصنا خبرها عليكم(٣)، أي أخذه سبحانه للأمم الهالكة المهلكة(٤) أو في أخذ الظالمين(٥)، في إهلاكنا الكافرين وإنجاءنا المؤمنين(٦) ما نزل بالأمم الهالكة بذنوبهم(٧).

(لآية) أي لعبرة وعظة أو موعظة(٨) أو علامة(٩) واعتبار على صدق موعدنا في الآخرة(١٠).

---

(١) الأساس في التفسير ١٥/ ١٠٩.
(٢) جامع البيان ٢٩/ ٢٠٩.
(٣) جامع البيان ١٢/ ١١٤.
(٤) روح المعاني، ١٢/ ١٣٧، الأساس في التفسير ٥/ ٢٦٠١.
(٥) محاسن التأويل ٩/ ١٦٨.
(٦) تفسير إبن كثير ٣/ ٥٧٧.
(٧) روح البيان ٤/ ١٨٥.
(٨) جامع البيان ١٢/ ١١٤، الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٦٤، محاسن التأويل ٩/ ١٦٨، تفسير ابن كثير ٣/ ٥٧٧، الأساس في التفسير ٥/ ٢٦٠١.
(٩) روح المعاني ١٢/ ١٣٧.
(١٠) تفسير إبن كثير ٣/ ٥٧٧.

وقال البروسوي: لعبرة بيِّنة وموعظة بالغة(١).

٨ ـ إن الخوف من الله تعالى يدفع إلى المسارعة في الخيرات وكثرة الطاعات.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ * أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١].

يعني تعالى ذكره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ إن الذين هم من خشيتهم وخوفهم من عذاب الله مع إحسانهم وإيمانهم خائفون وجلون، فهم من خشيتهم من ذلك دائبون في طاعته، جادون في طلب مرضاته(٢).

فهؤلاء المؤمنون يشفقون من ربهم خشية وتقوى، وهم يؤمنون بآياته، ولا يشركون به وهم ينهضون بتكاليفهم وواجباتهم، وهم يأتون من الطاعات ما استطاعوا، ولكنهم بعد هذا كله ﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾(٣).

فهم الذين آمنوا بربهم إيماناً ثابتاً في قلوبهم بعلم بحيث يخافون من عذاب ربهم في الدنيا والآخرة(٤).

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ يعني خائفة أشد الخوف فهم يفعلون ما ذكر من الأعمال الصالحة بقلوبهم وجوارحهم وهم مضمرون وجلاً وخوفاً من ربهم أن يرجعوا إليه فلا يجدونه راضياً عنهم، ولا يجدون ما يجده غيرهم ممن يفوتهم في الصالحات(٥).

---

(١) روح البيان ٤/ ١٨٥.
(٢) جامع البيان ١٨/ ٣١، الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ٨٨، تفسير الفخر الرازي ٢٣/ ١٠٧، روح البيان ٦/ ٩٠، تفسير القاسمي ١٢/ ٨٨، تفسير ابن كثير ٥/ ٢٤.
(٣) في ظلال القرآن ٤/ ٢٤٧٢، الأساس في التفسير ٧/ ٣٦٥١.
(٤) مواهب الرحمٰن في تفسير القرآن ٦/ ٣٣.
(٥) جامع البيان ١٨/ ٣٢، روح المعاني ١٨/ ٤٤، تفسير البحر المحيط، أبي حيا الأندلسي ٦/ ٤١٠، تفسير التحرير والتنوير ١٨/ ٧٧، تفسير روح البيان ٦/ ٩١، محاسن التأويل ١٢/ ٨٨.

أخرج الترمذي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قلت يا رسول الله قول الله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أهو الرجل يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو مع ذلك يخاف الله؟ قال: «لا ولكنه الرجل يصوم ويتصدق ويصلي وهو مع ذلك يخاف الله تعالى أن لا يقبل منه»(١).

فهم بعد هذا كله ﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ لإحساسهم بالتقصير في جانب الله بعد أن بذلوا ما في طوقهم، وهو في نظرهم قليل. وهؤلاء هم الذين يسارعون في الخيرات وهم الذين يسبقون لها في الطليعة بهذه اليقظة وبهذا التطلع وبهذا العمل وبهذه الطاعة(٢).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ يعني: هؤلاء الذين هذه الصفات صفاتهم يسارعون في نيل الخيرات والأعمال الصالحة والطاعات ويكثرون منها ما استطاعوا وكذلك شأن المسلمين الأولين ﴿وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾، قيل: أنهم يسبقون إلى أوقاتها، وقيل: إياها سابقون أي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا. وما جلبهم على المسارعة في الخير والسبق إلا الخوف من الله تعالى(٣).

٩ ـ إن الخوف من الله تعالى يدفع إلى الابتعاد والحذر الشديد من ادعاء الألوهية.

قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [النحل: ٥٠ ـ ٥١].

يقول تعالى ذكره: يخاف هؤلاء الملائكة التي في السموات، وما في الأرض من دابة، ربهم من فوقهم، أن يعذبهم إن عصوا أمره، ويفعلون ما يؤمرون، وقال الله لعباده: لا تتخذوا لي شريكاً أيها الناس، ولا تعبدوا معبودين، فإنكم إذا عبدتم معي

---

(١) سنن الترمذي.
(٢) في ظلال القرآن ٤/ ٢٤٧٢، ٢٤٧٣.
(٣) جامع البيان ١٨/ ٣٤، روح المعاني ١٨/ ٤٥، محاسن التأويل ١٢/ ٨٩، روح البيان ٦/ ٩٠، الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ٨٩، تفسير التحرير والتنوير ١٨/ ٧٧، مواهب الرحمٰن في تفسير القرآن ٦/ ٣٣.

غيري جعلتم لي شريكاً، ولا شريك، إنما هو إله واحد، ومعبود واحد، وأنا ذلك فإياي فارهبون: يقول فإياي فاتقوا وخافوا عقابي بمعصيتكم إياي، إن عصيتموني وعبدتم غيري، أو أشركتم في عبادتكم لي شريكاً[1].

١٠ ـ إن الخوف من الله تعالى يدفع إلى الابتعاد عن الجريمة.

قال تعالى حكاية عن هابيل أحد أولاد نبي الله آدم عليه السلام، عندما أراد أخوه قابيل قتله ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨].

قيل: كان هابيل أقوى من قابيل. ولكنه تحرج عن قتله واستسلم خوفاً من الله[2]. وإنما لم يفعله خوفاً من الله تعالى.

فقال له هابيل: فإني أخاف الله في بسط يديَ إليك إن بسطتها لقتلك رب العالمين[3].

وفيه إشعار بأنه يستطيع دفاعه ولكنه منعه منه خوف الله تعالى[4].

هذه الآيات التي جاءت تبين منزلة الخائفين وفضل الخوف وأجره عند الله تعالى، أما الأحاديث النبوية الشريفة التي جاءت في فضيلة هذه العبادة فكثيرة جداً، نذكر منها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: إنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال عزَّ وجل: وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين فإن أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة وإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة»[5]، فيورث الخوف الأمن يوم القيامة.

وعن أبي هريرة أيضاً رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من

---

(١) جامع البيان ١٤/ ١١٧، ١١٨ باختصار.
(٢) مواهب الرحمٰن في تفسير القرآن ٣/ ١٣٥.
(٣) جامع البيان ٦/ ١٩٢.
(٤) تفسير التحرير والتنوير ٦/ ١٧٠.
(٥) صحيح ابن حبان بترتيب إبن بلبان برقم ٦٧٧٨٣، مسند الشاميين برقم ١٩٠٤٦٨.

خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة»[(١)].

أدلج «بسكون الدال»: إذا سار من أول الليل، ومعنى الحديث أن من خاف ألزمه الخوف إلى السلوك إلى الآخرة، والمبادرة بالأعمال الصالحة خوفاً من القواطع والعوائق[(٢)].

وعن العباس قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ تحت الشجرة فهاجت الريح، فوقع ما كان فيها من ورق نخر وبقي ما كان من ورق أخضر فقال رسول الله ﷺ: «ما مثل هذه الشجرة؟»، فقال القوم: الله ورسوله أعلم، فقال: «مثل المؤمن إذا اقشعر من خشية الله عز وجل وقعت عنه ذنوبه وبقيت له حسناته»[(٣)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أنزل الله عزّ وجل على نبيه ﷺ هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦] تلاها رسول الله ﷺ ذات يوم على أصحابه فخرَّ فتى مغشيا عليه، فوضع النبي ﷺ يده على فؤاده فإذا هو يتحرك فقال رسول الله ﷺ: «يا فتى قل لا إله إلا الله» فقالها، فبشره بالجنة، فقال أصحابه: يا رسول الله أمن بيننا؟ قال: «أوما سمعتم قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤][(٤)].

ومن الأحاديث التي تبين فضل البكاء من خشية الله وتذكر العذاب، قوله ﷺ: «لا يلج النار أحد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع»[(٥)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «عينان لا تمسهما النار أبداً: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله»[(٦)].

---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن. كتاب صفة القيامة برقم ٢٤٥٠.
(٢) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، المنذري ٤/ ٢٦٢.
(٣) مسند أبي يعلى ١٢/ ٦٠ برقم ١٢٦٥٣٨.
(٤) المستدرك على الصحيحين، الحاكم ٢/ ٣٨٢، وقال صحيح الإسناد برقم ٨١٠٣١.
(٥) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، كتاب فضائل الجهاد والزهد برقم ١٦٣٣، ٢٣١١.
(٦) رواه الترمذي، كتاب فضائل الجهاد برقم ١٦٣٩.

وذكر بعض العلماء فوائد أخرى للخوف: أحببنا ذكرها بعد ذكر الآيات القرآنية فقالوا:

وللخوف فوائد وآثار في الدنيا يعرفها من ذاقها ولما له من أثر عظيم على النفس يتركه على قلب العبد فيزداد قرباً من الله تعالى، اختصرنا هذه الفوائد على الشكل الآتي:

إنه يجلب الحذر حذر العبد من كل معصية وهوى النفس الذي قد يخرجه عن طاعة مولاه، ويورث الورع الذي هو أحسن حالاً من الحذر، ويورث التقوى التي هي عماد العبادة لله، ويورث المجاهدة، مجاهدة النفس وحجزها عن الشهوات والعمل بالطاعات.

ويورث الخوف التفكر فيكون العبد مفكراً في خلق السموات والأرض ونصب الجبال وحركة الكواكب وحركة هذا الكون، ثم يأتي بعد ذلك الفكر الجانب العملي للخوف وهو الذكر والتعبد لطاعة الله سبحانه وتعالى.

وكل سبب من الأسباب التي توصل إلى الله تعالى آتية من الخوف، وكل ذلك تستدعي الحياة، مع صحة البدن وسلامة العقل، فإذا قدح في ذلك شيء كان مذموما(١).

والخوف يقمع الشهوات ويكدر اللذات، فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة، كما يصير العسل عند من يشتهيه إذا علم أن فيه سمّاً، فتحترق الشهوات بالخوف(٢).

والخوف يؤدِّب الجوارح، ويذلّ القلب ويستكين، ويفارقه الكبر والحقد والحسد، ويصير مستوعب الهم لخوفه، والنظر في خطر عاقبته، فلا يتفرغ لغيره، ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة، والمجاهدة، والضنة(٣) بالأنفاس

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ٣٨٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الضنة: البخل.

واللحظات ومؤاخذة النفس في الخطرات والكلمات، ويكون حاله كحال من وقع في مخالب سبع ضار لا يدري أيغفل عنه فيفلت، أو يهجم عليه فيهلكه؟ ولا شغل له إلا ما وقع فيه، فقوة المراقبة والمحاسبة بحسب قوة الخوف، وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله تعالى، وصفاته، وبعيوب النفس، وما بين يديها من الأخطار والأهوال[1].

ومن آثار الخوف اجتناب المحارم والمعاصي والشهوات هذا من جهة، ومن جهة أخرى العمل بالفرائض والمداومة على السنن والمستحبات ولا يخفى ما في هذه الآثار من فضل وأجر فهي الموصلة إلى إرضاء الله عزَّ وجل.

وكما قلنا: أنه يورث الورع والتقوى اللذين هما أفضل الأعمال في العبادة حتى أن العاقبة صارت موسومة بالتقوى مخصوصة بها كما صار الحمد بالله تعالى والصلاة مخصوصة بالرسول ﷺ، حتى يقال: الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين[2].

وإنما التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف كما سبق، وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].[3]

وفي القوت: والخوف إسم لحقيقة التقوى معنى جامع للعبادة ينتظم هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

ولذلك أوصى الله تعالى إلى الأولين والآخرين بالتقوى فقال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١] وهذه الآية قطب القرآن لأن مدار القرآن كله على هذا.[4]

---

(١) مختصر منهاج القصدين ٣٨٤.
(٢) اتحاف السادة المتقين، شرح إحياء علوم الدين ١١/٤٠٨.
(٣) إتحاف السادة المتقين ١١/٤٠٨.
(٤) المصدر نفسه.

المبحث الثاني
ثمار الخوف في الآخرة

للخوف ثمار ونتائج في الآخرة:

أما الفوائد التي في الآخرة فهي كثيرة منها ما أخبر سبحانه وتعالى إن من خاف مقام ربه له جنتان.

١ ـ قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: ٤٦].

أي يعطي من خاف ربه وتملك جنتين وهو جنس الخائفين لا خائف معين[١].

قال مجاهد: هو الرجل يريد الذنب فيذكر الله تعالى فيدع الذنب، والذي يظهر أن ذلك تفسير باللازم، وقد يقال: إن ارتكاب الذنب قد يجامع الخوف من الله تعالى، وذلك كما إذا غلبته نفسه ففعله خائفاً من عقابه تعالى عليه، وأيّد ذلك بما أخرجه أحمد، والنسائي، والطبراني، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول، وابن أبي شيبة، وجماعة عن أبي الدرداء: أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ فقلت: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال النبي ﷺ: الثانية ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ فقلت: وإن زنى وإن سرق؟ فقال الثالثة: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ فقلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «نعم وإن رغم أنف أبي الدرداء». وأخرج الطبراني وابن مردويه من طريق الحريري عن أخيه قال: سمعت محمد بن سعد يقرأ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ وإن زنى وإن سرق، فقلت: ليس فيه وإن زنى وإن سرق فقال: سمعت أبا الدرداء رضي الله عنه يقرؤها كذلك فأنا أقرؤها كذلك حتى أموت. وصرّح بعضهم أن المراد بالخوف في الآية أشد فتأمل[٢].

وقال بعض المفسرين: أن معنى الآية أي قيامه عند ربه للحساب، فأطاعه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه[٣].

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ٢٧/ ٢٦٤.

(٢) روح المعاني ٢٧/١١٦، الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١١٥، الأساس في التفسير ١٠/ ٥٦٦٩.

(٣) مواهب الرحمٰن في تفسير القرآن ٧/٢٤٣.

ومنهم من قال في تفسير هذه الآية: أنه شروع في تعداد النعم الفائضة عليهم في الآخرة بعد تعداد ما وصل إليهم في الدنيا من الآلاء الدينية والدنيوية، وقال في روح المعاني نزلت في أبي بكر رضي الله عنه حين شرب لبنا على ظمأ فأعجبه ثم أخبر أنه من غير حل فاستقاء فقال ﷺ لما سمعه: «رحمك الله لقد أنزلت فيك آية». ودخل فيه من يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من مخافة الله ﴿جَنَّتَانِ﴾ جنة للخائف الإنسي وجنة للخائف الجني على طريق التوزيع فأن الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما أو لكل واحد جنة لعقيدته وأخرى لعمله أو جنة لفعل الطاعات وأخرى لترك المعاصي أو جنة يثاب بها وأخرى يتفضل بها عليه أو روحانية وجسمانية[(١)].

وقال بعضهم: أن قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ أي ولمن خشي ربه وراقبه في أعماله، وأيقن بأنه مجازيه عليها يوم العرض والحساب، يوم تجزى كل نفس بما كسبت، فإذا هو همّ بمعصية ذكر الله وأنه عليم بسره ونجواه، فتركها مخافة عقابه، وشديد حسابه، ففعل الخير وأحبّ الخير للناس: جنتان[(٢)].

وقال صاحب مواهب الرحمٰن في تفسير القرآن في تفسير هذه الآية: المقام فيه إما مصدر ميمي بمعنى القيام ويراد به قيامه على العالم، واسم مكان بمعنى محل القيام والإضافة للتشريف، فمعناه ولمن خاف عظمة ربه ورقابته على الأعمال بمعنى وأنه لا يغفل عنه، أو لمن خاف هيبة مقامه ومكانه عند وقوفه للمحاسبة أمام ربه ﴿جَنَّتَانِ﴾ إحداهما محله ومحل زائريه، والأخرى محل حوره ومتعلقاته، أو جنتان إحداهما في داخل قصره والأخرى في خارجه، وقيل: منزلان يتحول بينهما هنا وهناك في مقابل من يطوف بين الجحيم والحميم ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: ٤٧] بالجنة الأولى وما فيها أو بالثانية[(٣)].

والصحيح أن هذه الآية عامة كما قاله ابن عباس وغيره، يقول الله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ بين يدي الله عز وجل يوم القيامة ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ

---

(١) روح المعاني ٢٧/ ١١٥.
(٢) تفسير المراغي ٢٧/ ١٢٤.
(٣) مواهب الرحمٰن في تفسير القرآن ٧/ ٢٤٣.

﴿ٱلْمَأْوَىٰ﴾ ولم يطع ولا آثر الحياة الدنيا وعلم أن الآخرة خير وأبقى فأدى فرائض الله واجتنب محارمه فله يوم القيامة عند ربه جنتان، كما قاله البخاري رحمه الله: حدثنا عبد الله بن أبي الأسود، حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمي، حدثنا أبو عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»[1].

وعن إبن عباس في قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ قال: وعد الله جل ثناؤه المؤمنين الذين خافوا مقامه فأدوا فرائضه الجنة. وعنه أيضاً في هذه الآية: يقول: خاف ثم اتقى، والخائف من ركب طاعة الله وترك معصيته.

وعن مجاهد في قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ قال: الرجل يهمّ بالذنب فيذكر مقامه بين يديّ الله فيتركه فله جنتان.

وعن إبراهيم في هذه الآية قال: إذا أراد أن يذنب أمسك مخافة الله، وعن قتادة قال: إن المؤمنين خافوا ذاكم المقام فعملوا له ودانوا له وتعبدوا بالليل والنهار.

وعن حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي بكر عن أبي موسى عن أبيه، قال حماد: لا أعلمه إلا رفعه في قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ قال: جنتان من ذهب للمقربين أو قال للسابقين، وجنتان من ورق لأصحاب اليمين.

وقال إبن زيد في قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ قال: مقامه حين يقوم العباد يوم القيامة، وقرأ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]. وقال: ذاك مقام ربك[2].

٢ ـ وجعل سبحانه وتعالى الهدى والرحمة للمؤمنين الخائفين فقال تعالى ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

قال بعض المفسرين المراد بـ﴿هُدًى﴾ أي من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ أي من

---

(١) تفسير ابن كثير ٦/٤٩٦، ٤٩٧.

(٢) جامع البيان ٢٧/١٤٧ باختصار.

العذاب و ﴿يَرْهَبُونَ﴾ أي يخافون[١].

وقال بعضهم: يخافون أشد الخوف، ويخشون عقابه على معاصيه[٢].

وقيل أن معنى: ﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ يخشونه ويخضعون له[٣].

ويصوِّر صاحب الظلال هذه الآية فيقول:

لمن يخشون ربهم ويرهبونهم فتتفتح قلوبهم للهدى، وينالون به الرحمة. والهدى ذاته رحمة. فليس أشقى من القلب الضال، الذي لا يجد النور. وليس أشقى من الروح الشارد الحائر الذي لا يجد الهدى ولا يجد اليقين، ورهبة الله وخشيته هي التي تفتح القلوب للهدى، وتوقظها من الغفلة، وتهيئها للاستجابة والاستقامة، إن الله خالق هذه القلوب هو الذي يقرر هذه الحقيقة. ومن أعلم بالقلوب من رب القلوب[٤].

٣ ـ وجعل سبحانه وتعالى من فضائل الخوف في الآخرة الرضا من الله تعالى.

قال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٨]، أي خاف ربه فتناهى عن المعاصي[٥].

وقال بعضهم: أي خاف الله في الدنيا في سره وعلانيته فاتقاه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه فأن الخشية ملاك السعادة الحقيقية[٦]. والفوز بالمراتب العلية إذ لولاها لم تترك المعاصي والمناهي ولا استعد ليوم يؤخذ فيه بالأقدام والنواصي وفيه إشارة إلى أن مجرد الإيمان والعمل الصالح ليس موصلا إلى أقصى المراتب ورضوان من الله أكبر بل الموصل له خشية الله تعالى وإنما يخشى الله من عباده العلماء[٧].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٧/ ١٨٦، تفسير الفخر الرازي ١٥/ ١٦.
(٢) جامع البيان ٩/ ٧١، روح المعاني٩/ ٧١، مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤/ ٣٦.
(٣) تفسير روح البيان ٣/ ٢٤٩، محاسن التأويل ٧/ ٢٥٩، الأساس في التفسير ٤/ ٢٠١٧.
(٤) سيد قطب ٣/ ١٣٧٦.
(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٩٩.
(٦) جامع البيان ٣٠/ ٢٦٥، تفسير القاسمي ١٧/ ٢٢٦.
(٧) روح المعاني ٣٠/ ٢٠٦.

وهذه الخشية من خصائص العلماء، ويعني أن السبب الذي أنالهم ذلك الجزاء هو خشيتهم الله فإنهم لما خشوا الله توقعوا غضبه إذا لم يصغوا إلى من يقول: إني رسول الله إليكم، فأقبلوا على النظر في صدق الرسول فاهتدوا وآمنوا[1].

يقول صاحب الظلال: وذلك هو التوكيد الأخير. التوكيد على أن هذا كله متوقف على صلة القلب بالله، ونوع هذه الصلة والشعور بخشيته خشية تدفع إلى كل صلاح، وتنهى عن كل انحراف الشعور الذي يزيح الحواجز، ويرفع الأستار، ويقف القلب عارياً أمام الواحد القهار. والذي يخلص العبادة ويخلص العمل من شوائب الرياء والشرك في كل صورة من صوره. فالذي يخشى ربه حقا لا يملك أن يخطر في قلبه ظلا لغيره من خلقه[2].

ويمكن القول: أن العبد لا يمكن أن يصل إلى حقيقة الإيمان الخالصة فيصبح الإيمان في قلب العبد كالسراج يضيء ما لم يكن خائفاً من الله تعالى، ذلك لأن الخوف يعرفه بحقيقة الأيمان وما ينطوي عليه من آثار إيجابية يكون ثمرها نورا يقذفه الله سبحانه وتعالى في قلب الخائف فيشع هذا الإيمان على جوارحه فيكون وقافاً لما في كتاب الله تعالى يحل حلاله ويحرِّم حرامه، ويكون العبد مجاهدا لهوى نفسه وشهواتها وقد قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فينتقل العبد إلى حالة جزاء هذا النور ألا وهي الهداية، وإذا داوم العبد على هذه الهداية وحافظ عليها وكان الخوف من الله في قلبه أكثر ازدادت الهداية كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴾ [محمد: ١٧].

والتقوى هي المقام الذي يوصل إلى الدرجات العلا التي ترضي الله سبحانه وتعالى.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ٣٠/ ٤٨٧، روح البيان ١٠/ ٤٩١، تفسير ابن كثير ٧/ ٣٤٦.
(٢) سيد قطب ٦/ ٣٩٥٣.

البـاب الثانــي

الرجــــاء

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول : ماهية الرجاء

الفصل الثاني : أنواع الرجاء وشروطه

الفصل الثالث : آثار الرجاء الدنيوية والأخروية

الفصل الأول

ماهية الرجاء

ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي

المبحث الثاني: الألفاظ والوجوه والنظائر المقاربة للرجاء

المبحث الأول

التعريف اللغوي والاصطلاحي

أولاً: التعريف اللغوي

الرجاء كما جاء في اللسان من الأمل: نقيض اليأس، ممدود رَجاهُ يَرْجُوهُ رَجواً ورجاءً ورجاوة ومرجاة ورجاة. وهمزته غير أصلية لأنها منقلبة عن واو بدليل أنها في المضارع تقلب إلى واو: تقول: رجا يرجو: والمصدر رجاوٌ فقلبت الواو ألفاً التماساً للخفة وتخلصاً من الثقل. وأنشد ابن الأعرابي:

غَـدَوْتُ رَجـاة أن يَجـودَ مُقـاعِـسُ وصاحبُه، فاسْتَقْبلانيَ بالغدْرِ [1]

وأصل الرجاء: الجانب من كل شيء، وجمعه: أرجاء، ومثناه: رَجَوان، وقيل للناقة التي قرب نتاجها: أرْجَتْ، والأُرجوان: لون أحمر يُفَرّحُ تَفْرِيح الرجاء[2].

---

(١) لسان العرب ١٤/ ٣٠٩.

(٢) المفردات، الراغب الأصفهاني ١٩٠(رجا)، التبيان في البيان، الطيبي ١٠/ ٩٩.

ثانياً: التعريف الاصطلاحي: الرجاء بمعناه غير الحسي: (هو الظن بوقوع الخير الذي يعتري صاحبه الشك فيه إلا أن ظنه فيه أغلب وليس هو من قبيل العلم وهو الأمل في الخير)(١). فهذا الخير هو الفارق الأساسي بين الرجاء وبين الخشية والخوف فهما أيضا رجاء ولكن في الشر والخير قال الراغب(٢): والرجاء ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة، ورأى الجرجاني(٣) أن الرجاء في اللغة: الأمل. واصطلاحاً: تعلق القلب بحصول محبوب في المستقبل. وعرّفه الإمام الغزالي بأنه: (حالة إيمانية يرتاح القلب فيها لانتظار ما هو محبوب عنده)(٤).

وهو أحد مقامات السالكين إلى الله تعالى، الملتمسين رضاه، الطامعين بالفوز عنده بأعلى المراتب. ولذا عدّه إبن قيم الجوزية: المنزلة التاسعة عشرة من منازل العبودية لله. فقال في مدارج السالكين:

الرجاء: رجاوٍ يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب. وهو الله والدار الآخرة ويطيب لها السير.

وقيل: هو الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى، والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه. وقيل: هو الثقة بجود الرب تعالى. وقيل: الرجاء هو النظر إلى سعة رحمة الله(٥).

أما الإمام الغزالي، فقال: الرجاء من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين وهو يضاد اليأس(٦).

فمن هذا يلحظ أن الراجي يجهل المرجوة (وإذا تيقن النفع لم يكن راجيا)(٧).

---

(١) الفروق في اللغة. ص ٢٣٨.
(٢) المفردات ١٩٠(رجا).
(٣) التعريفات، الجرجاني ٦٤.
(٤) إحياء علوم الدين ٤/ ١٤٢.
(٥) تهذيب مدارج السالكين، عبد المنعم صالح العلي ٤٧٥.
(٦) إحياء علوم الدين ٤/ ١٤٣،١٤٤.
(٧) الفروق في اللغة ٢٣٩.

وقد وردت مادة (ر.ج.ا) في القرآن الكريم في (٢٨) موضعاً، جاءت طائفة منها بالدلالة اللغوية الحسية وهي طرف الشيء وجوانبه وذلك عن الحديث عن السماء، قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَاۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ [الحاقة: ١٧]. فالآية تحدثت عن الملائكة الذين يحملون العرش الكريم قال الزمخشري في تفسير ﴿أَرْجَآئِهَاۚ﴾: أنها جوانبها وحافاتها[١]، وقال السيوطي ﴿أَرْجَآئِهَاۚ﴾ نواحيها على لغة هذيل[٢].

وجاء أيضاً بالدلالة اللغوية غير الحسية العبادية: للتعبير عن مجرد الأمل والتوقع والطمع بالشيء في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ﴾ [القصص: ٨٦].

والذي يبدو لي أن الرجاء هو توقع الخير والطمع بمغفرة وعفو الله سبحانه وتعالى وجزاءه للمؤمن أحسن الجزاء على ما قدم من خير في هذه الحياة الدنيا.

وهو الأمل برحمة الله سبحانه وتعالى وجزيل ثوابه والطمع بما عند الله من عفو وإحسان وتجاوز عن المعاصي والآثام. وهو نقيض اليأس والقنوط.

المبحث الثاني
الألفاظ المقاربة للرجاء

ويتضمن:

١ ـ الوجوه والنظائر لكلمة الرجاء في القرآن الكريم.

٢ ـ الألفاظ المقاربة للرجاء في القرآن الكريم.

١ ـ الوجوه والنظائر لكلمة الرجاء في القرآن الكريم

وردت كلمة الرجاء في القرآن الكريم في معاني مختلفة منها:

١ ـ الخوف والخشية لقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا

---

(١) الكشاف ٤/ ١٥٢.

(٢) الدر المنثور ٨/ ٢٦٨، ٢٦٩.

﴿يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ أي يرجو رؤيته وثوابه ويخشى عقابه[١].

يقول: فمن يخاف ربه يوم لقائه، ويراقبه على معاصيه، ويرجو ثوابه على طاعته[٢].

وقال القاسمي: أي يخاف المصير إليه[٣].

قال إبن سيف: والرجاء: الخوف. وفي التنزيل العزيز: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]

قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ما لكم لا تخافون لله عظمة، وذلك أن الرجاء قد تضعه العرب إذا صحبه الجحد في موضع الخوف[٤]، تقول: ما رجوتك أي ما خفتك، ولا تقول: رجوتك في معنى خفتك، وأَنشِد لأبي ذؤيب:

إذا لَسَعَتْه النحلُ لم يَرْجُ لَسْعَها وخالَفَها في بَيْت نُوبٍ عَواسِلِ

أي لم يخف ولم يُبالِ، ويروى: وحالَفَها[٥].

وقال الفراء: رجا في موضع الخَوْفِ إذا كان معه حرف نفي، ومنه قول الله عز وجل: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ المعنى لا تخافون لله عظمة، قال الراجز:

لا تَرْتَجي حِينَ تُلاقِي الذّائِدَا أ سبْعَةً لاقَت معاً، أو واحِدَا؟[٦]

وقال بعض المفسرين: في قوله تعالى: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤] معناه تخافون، قال: ولم نَجِدْ معنى الخَوْفِ يكون رجاءً إلا ومعه

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٤٧.
(٢) جامع البيان ١٦/ ٣٩.
(٣) محاسن التأويل ١١/ ١٠٧.
(٤) جامع البيان ٢٩/ ٩٤.
(٥) لسان العرب ١٤/ ٣١٠.
(٦) لسان العرب ١٤/ ٣١٠.

جحد، فإذا كان كذلك كان الخوف على جهة الرجاء والخوف وكان الرجاء كذلك كقوله عز وجل: ﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية: ١٤] هذه للذين لا يخافون أيام الله، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣][١].

٢ ـ الطمع: جاءت كلمة الرجاء بمعنى الطمع كما في قوله تعالى في بني إسرائيل: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ﴾ [الإسراء: ٥٧] يعني: يطمعون في رحمته ويخافون عذابه، وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨]. يعني يطمعون في رحمته ونحوه كثير[٢].

٣ ـ أرْجِهْ: يعني احْبِسْهُ. قوله تعالى في سورة الأعراف والشعراء: ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الأعراف: ١١١] يعني موسى وهارون[٣].

٤ ـ الأرجاء بفتح الهمزة الحروف والنواحي، قوله تعالى في سورة الحاقة: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾ [الحاقة: ١٧]. أي على نواحيها وأطرافها[٤].

٥ ـ الإرجاء بكسر الهمزة: الترك. قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥١] أي تترك من الواجبات أنفسهن من تشاء ﴿وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ [الأحزاب: ٥١][٥].

٦ ـ توقع الخير. قال تعالى: ﴿... فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤][٦].

٢ ـ الألفاظ المقاربة لكلمة الرجاء في القرآن الكريم

جاء في القرآن الكريم ألفاظ مقاربة للرجاء لها دلالة في معناها لكلمة الرجاء منها: (الرغبة، الطمع، التمني، الأمل).

---

(١) لسان العرب ١٤/ ٣١٠.
(٢) لسان العرب ١٤/ ٣١٠
(٣) إصلاح الوجوه والنظائر ١٩٨.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) المصدر نفسه.

١ ـ الرغبة

لمادة (ر.غ.ب) دلالات حسية منها: إن الترغيب: الأرض اللينة وجمعها رغائب ـ بفتح الراء ـ. وقال إبن السكيت (ت ٢٤٤ هـ): هي الأرض التي لا تسيل إلا من مطر والرُغْبُ بضم الراء السُّرة[١].

والرّغبَة: العطاء الكثير فيقال: رَغّبْتُه: إذا أعطيته فمن هذا المعنى قيل للأرض الواسعة: الرغائب لأنها كثيرة الخيرات والعطاء وهي اللينة السهلة الواسعة[٢].

ومن الاستعمالات المعنوية لمادة (رغب) أن الرغبة: السعة في الشيء فيقال: رَغِبَ الشيءُ: إذا اتسع ومن ذلك قيل: للحوض الواسع: رَغِيب، وفرس رغيبُ العدو: أي سريع[٣].

والرغبة: الضراعة والمسألة قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن نفسه راغب وراهب أي إنني راغب في ما عند الله وراهب عذابه. والرغبة كثرة السؤال،[٤] وقال الطوسي[٥]: (الرغبة طلب المنفعة ونقيضها: الرهبة).

فيقال: رغب يرغب رغبة إذا حرس على الشيء وطمع فيه[٦].

وردت مادة (ر.غ.ب) في القرآن الكريم في (٨) مواضع فجاءت تدل على التضرع والسؤال وطلب الحصول مما عند الله من النعم والثواب العظيم، ونيل جناته أو بعبارة أخرى يدل على مفهوم عبادي، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠]. قال الطوسي[٧]: يدعوننا: أي يدعون الله رغبة في ثوابه، ورهبة من عقابه. وقُدّمت الرغْبةُ على الرهبة هنا، لأن النفس تميل

---

(١) الصحاح ١/ ٤٩١ (رغب)، البارع ٣١٤ (رغب)، اللسان ١/ ٤٢٢(رغب).
(٢) الصحاح ١/ ٤٩١ (رغب).
(٣) المفردات في غريب القرآن ١٩٨ (رغب).
(٤) الصحاح ١/ ٤٩١ (رغب).
(٥) التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن، ابن الزملكاني: كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم ٥/ ٣١٩.
(٦) اللسان ١/ ٤٢٢ (رغب).
(٧) التبيان في علم البيان ٧/ ٢٤٢.

إلى الطمع وإلى النعيم، ولكن القرآن قرن بينهما، فكأنه لا رغبة بدون الرهبة، فتمني الجنة رغبة، ولكنه مبني على الرهبة والخوف، إذ لا يمكن حصولها ما لم يتجنب العبد المعاصي ويخاف العقاب.

قال الزمخشري[1]: هو كقوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩] وهذا الازدواج في التعبير من أروع ما ورد في القرآن من البيان من حيث الظاهرة التقابلية، وله نظائر أخرى، وجاءت الرغبة مأموراً بها الرسول ﷺ بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ [الشرح: ٧ ـ ٨]. قال إبن عباس: إذا فرغت من فَرْضتكَ ما نصب إلى ما رغّبكَ الله فيه من العمل وهو حث على الرغبة في الطلب من الله دون غيره[2]، فالآية تشعرنا بالتخصيص وذلك بتقدير الجار والمجرور وهو ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ﴾ على فعل الأمر ﴿فَارْغَب﴾ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ [القلم: ٣٢]. حيث قدمت الآية ﴿إِلَىٰ رَبِّنَا﴾ على اسم الفاعل ﴿رَاغِبُونَ﴾ من باب التخصيص والعناية. وهذا أسلوب من أساليب البلاغة معروفة كما في النصين المارين، ويتعدى الفعل (رغب) بحرف الجر ﴿إِلَىٰ﴾ يدل على الإقبال على الشيء فإذا أريد به الإعراض عن الشيء تعدى بحرف الجر (عن) كما في قوله تعالى: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ [مريم: ٤٦].

٢ ـ الطمع

الطمع: ضِدّ اليأس، يقال: طمع فيه وبه طمعاً وطماعةً وطماعيّةً فهو طَمِعٌ وطَمُعٌ: أي حرص عليه ورجاه، والمطمعُ: ما طُمع فيه، والمطمَعةُ: ما طُمِع من أجله، وطمُع فلانٌ: صار كثير الطمـع، وامرأة مطماعٌ: تُطمّعَ ولا تُمَكّن من نفسها[3].

والطمع: نزوع النفس إلى الشيء شهوة له، فيقال: طَمَعَ يَطْمَعُ طَمَعاً[4]، وطماعةً وطماعيةً، مخفف فهو طَمِعٌ وطامعٌ، ويتعدى بالهمزة فتقول: أطْمَعْتُهُ،

---

(١) الكشاف، الزمخشري ٢/ ٥٨٢.
(٢) التبيان في علم البيان ٥/ ٣٧٣.
(٣) الصحاح ٣/ ٣/ ١٢٥٤، ١٢٥٥، اللسان ٨/ ٢٣٩، ٢٤٠ (طمع).
(٤) المفردات في غريب القرآن ٣٠٧ (طمع).

والطمع رزق الجند، أطماع، وأكثر ما يستعمل في ما يقرب حصوله[1].

وفرّق أبو هلال بين الطمع والرجاء، فرأى: أن الرجاء هو الظن بوقوع الخير الذي يعترض صاحبه الشك فيه، أي أن الرجاء غير مبني على العلم واليقين، فإذا تيقّن لم يكن راجيا، ثم لا يكون الرجاء والطمع ما يكون من غير سبب يدعو إليه، فإذا طمعت في الشيء فكأنك حدثت نفسك به من غير أن يكون هناك سبب يدعو إليه، ولهذا ذم الطمع ولم يذم الرجاء إلا عن سبب يدعوا إليه من كرم المرجو وما به إليه[2].

من هذا يتبين أن الطمع أغلبه من أجل الهواء وهو مذموم. عدا الطمع برحمة الله وغفرانه. إذ أنه صفة تدنس طبع الإنسان فهذا الطمع غير مشروع، وهناك طمع مشروع، إذ صاحبه يحاول أن يرتقي إلى درجة أفضل مما هو عليها، مع الاستعداد المطلوب لذلك من دون أن يكن السوء لدى الناس، وأسمى منه الطمع في عطاء الله في آخرته، بل وفي دنياه، وفي غفرانه ورضاه.

وردت مادة (ط.م.ع) في القرآن في (١٢) موضعا بصيغ ودلالات متعددة هي:

١ - الدلالة غير العبادية: وهو الطمع غير المشروع والمشروع، فالأول دال على مرض خلقي متعلق بالقلب تظهر آثاره على الجوارح من خلال السلوك. وهذا ما نلحظه في سياق الحديث عن توجيه كريم لأزواج النبي ﷺ في أدب التخاطب ورسم ما يحفظ عفافهن وسمعتهن لهن بقوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ [الأحزاب: ٣٢].

قال قتادة: معناه من في قلبه نفاق، وقال عكرمة: معناه من في قلبه شهوة الزنا[3]. ويمكن أن نقول: أي يطمع المريض النفس الذي لا يحسن الظن بالناس. وهذا الوصف ألصق بالمنافقين. ومن ذلك ما جاء في سياق رغبة المسلمين في أن

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي الفيومي (أحمد بن محمد بن علي المصري) ٢/ ٢٥ (طمع).

(٢) الفروق في اللغة ٢٣٩، ٢٤٠.

(٣) التبيان في علم البيان ٨/ ٣٠٦، ٣٠٧.

تكثر أعدادهم ويؤمن الناس بالله تعالى وخاصة أهل الكتاب وهو طمع مشروع قال تعالى: ﴿ ۞أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ [البقرة: ٧٥].

والهمزة الإستفهامية يراد بها الإنكار فكأنه قال: أيها المؤمنون أفتطمعون أن يؤمن لكم هؤلاء من طريق النظر والاعتبار؟[١].

٢ ـ الدلالة العبادية: وفيها ورد الطمع فعلا مضارعا وذلك في سياق الحديث عن سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو يطمع في ربه أن يغفر خطاياه يوم القيامة فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢] أي يوم الجزاء، وهذا انقطاع إلى الله من دون أن يكون له حقيقة ذنوب يحتاج أن تغفر يوم القيامة، إذ هو معصوم قبل الرسالة وبعدها، وقيل: الطمع هنا بمعنى العلم دون الرجاء، وقيل أن ذلك خرج مخرج التلطف في الدعاء بذكر ما يتيقن أنه كائن[٢].

جاء الطمع العبادي على لسان (السحرة) الذين آمنوا بموسى عليه السلام. فالطلب هنا طلب النفس للخير الذي تقدر أنه يكون، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٥١].

كما جاء الطمع منتظماً في سياق الدعاء مع الخوف، مؤخراً عنه في قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦]. فأمر الله تعالى أن يدعوه خوفاً وطمعاً وهما منصوبان على المصدر في موضع الحال وتقديره: ادعوا ربكم خائفين من عقابه طامعين في ثوابه[٣]. فهذا وإن جرى بأسلوب (الخبر البلاغي) إلا أن فيه حثا للمؤمنين على أن يسلكوا هذا السلوك أيضا، وهذا من رائع وبليغ تعبير القرآن عما يريده من السلوك العبادي.

٣ ـ التمني

التمنّي: تشهي حصول الأمر المرغوب فيه، وحديث النفس بما يكون وبما لا

---

(١) التبيان في علم البيان ١/ ٣١٢،٣١٣.

(٢) التبيان ٨/ ٣٠٦، ٣٠٧.

(٣) التبيان ٤/ ٤٢٥.

يكون، تقول: تَمَنَّيْت الشيء، أي أحببت أن يصير إليّ، وتمنّى الشيءَ: أراده، ومنّاه إياه وبه، والاسم من ذلك المِنية، والمُنية ـ وجمعها المنى ـ، والأمنيّة ـ وجمعها الأمانيّ ـ والتمنّي: الكذبُ، والأمانيّ: الأكاذيب، وفلان يتمنى الأحاديث، أي يختلقها، وهو مقلوبٌ من المَيْن وهو الكذب[1].

وفرّق إبن القيم[2] بين (الرجاء) و (التمنّي)، فذكر: (أن الرجاء يكون مع بذل الجهد واستفراغ الطاقة في الإتيان بأسباب الظفر والفوز، والتمني: حديث النفس بحصول ذلك مع تعطيل الأسباب الموصلة إليه).

كما فرق الزركشي[3] بين اللفظين بقوله: (إن الترجي لا يكون إلا في الممكنات، والتمني يدخل في المستحيلات). وبعبارة أخرى: إن من التمني ما لا يقع أو يحدث، فلا يجاوز الرغبة في حصول الشيء المتمنى[4].

وعرّف الراغب[5] التمني بأنه: (تقدير شيء في النفس وتصويره فيها وذلك لا يكون عن تخمين وظن، ويكون عن روية وبناء على أصل، لكن لما كان أكثره عن تخمين صار الكذب له أمْلك، فأكثر التمني تصور ما لا حقيقة له).

ووردت مادة (مني) في خمس آيات إسماً بصيغة جمع التكسير (الأمانيّ) وهي جمع أمنية، والأمنية كما عرفها الراغب[6]: (الصورة الحاصلة في النفس عن تمني الشيء) وذلك كما في قوله تعالى في الكافرين: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]. ويتبين من السياق إن الأماني في هذه الآية لم تخل من الإشعار باللوم والندم[7].

---

(١) اللسان ١٥/ ٢٩٤، ٢٩٥ (مني).
(٢) الروح ٣٣١.
(٣) البرهان في علوم القرآن ٢/ ٣٣٥.
(٤) الألفاظ النفسية في القرآن الكريم ١٩٨.
(٥) المفردات ٤٧٥، ٤٧٦ (مني).
(٦) المفردات ٤٧٦ (مني).
(٧) الألفاظ النفسية في القرآن الكريم ١٩٩.

٤ ـ الأمل

الأَمَلُ والأَمْلُ والإِمْلُ: الرجاء، والجمع آمال، يقال: أَمَلَ خيره يأمَلُهُ أمْلا وكذلك التأميل، ويقال: ما أطول إمّلَته: أي أَمَلَهُ، وإنه لطويل الإمْلَةِ: أي التأميل. والتأمّل: التثبّت، وتأملت الشيء أي نظرتُ إليه مستثبتاً له، وتأمّلَ الرجلُ: تثبّت في الأمر والنظر.

ولمادة (أمل) دلالات حسية، فالأميْل: حبلٌ من الرمل يكون عرضه نحواً من ميل، والأَمَلَة: أعوان الرجال، واحدهم آمِل، وأمول: موضع[1].

وعرّف أحد المعاصرين الأمل بأنه: (ظن حصول أمر مرغوب في حصوله مع استبعاد حصوله، فهو واسطة بين الرجاء والطمع)[2]، واستشهد لهذا المعنى بقول كعب بن زهير[3]:

أرجو وآملُ أن تدنو مودّتها ... وما إخالُ لدينا منك تنويلُ

ذكر الأمل في آيتين من آيات القرآن، ورد في الأولى في سياق ذم، فأسند إلى الكافرين مصوّرا إقبالهم على المُتع واللهو واستغراقهم في طول الأمل بالدنيا، فقال تعالى عنهم: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٣].

قال الطبرسي[4]: (أي وتشغلهم آمالهم الكاذبة عن اتباع النبي ﷺ، وفي هذه الآية إشارة إلى أن الإنسان يجب أن يكون مقصور الهمة على أمور الآخرة، مستعداً للموت مسارعاً للتوبة، ولا يأمل الآمال المؤدية إلى الصد عنها).

وقال الرازي[5]: (دلّت الآية على أن إيثار التلذّذ والتنعم مما يؤدي إليه طول الأمل ليس من أخلاق المؤمن).

---

(١) الصحاح ٤/ ١٦٢٧، واللسان ١١/ ٢٧، ٢٨ (أمل).

(٢) تفسير التحرير والتنوير ١٤/ ١٤.

(٣) شرح ديوان كعب بن زهير، أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الله السكري ٩.

(٤) مجمع البيان ٦/ ٣٢٩.

(٥) تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٥٥.

وذكر الأمل في الآية الثانية في سياق مدح، إذ فيها أن إيثار الباقيات الصالحات من الإيمان والعمل الصالح، أفضل أملاً من إيثار المال والبنين دون عمل صالح، فقال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

قال الطبرسي[1]: (أي أفضل ثواباً وأصدق أملاً من المال والبنين وسائر زهرات الدنيا، فإن من الآمال كواذب وهذا أملٌ لا يُكذب، لأن من عمل الطاعة وجد ما يأمله عليها من الثواب)[2].

(١) مجمع البيان ٦/ ٤٧٣.
(٢) الألفاظ النفسية في القرآن الكريم ٢٠٤.

الفصل الثاني
أنواع الرجاء وشروطه

ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول: الرجاء المحمود، شروطه وأنواعه

المبحث الثاني: الرجاء المذموم

المبحث الأول
الرجاء المحمود، شروطه وأنواعه

لقد ذكرنا في تعريف الرجاء أنه: (حالة إيمانية يرتاح القلب فيها لانتظار ما هو محبوب عنده) كما عرّفه الغزالي في إحيائه[١]. إذن فالرجاء حالة من الحالات الإيمانية والحال كما هو معروف عند أئمة التصوف درجة دون المقام لأن الحال معرض للتغير والانقطاع وهذا التبدل والانقطاع أو الثبات والبقاء تتعلق بعده أمور هي من جملة الأسباب المحققة للرجاء، وبانعدام هذه الأسباب أو التقصير فيها فواضح أن انتظار ما هو محبوب وانتظار الخير المرجو يخرج من مسمى الرجاء ويدخل في باب التمنيات والأوهام التي يُعيّش العبد فيها نفسه ويخدعها بعيدا عن حقيقة الرجاء.

ورحم الله الإمام الغزالي الذي ضرب لنا مثلاً يرسخ هذا المفهوم وييسر فهمه لكل الطبقات والمستويات حيث قال:

---

(١) إحياء علوم الدين ٤/ ١٤٢.

(إن الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالأرض والإيمان كالبذر فيه والطاعات جارية مجرى تقليب الأرض وتطهيرها ومجرى حفرَ الأنهار وسياقة الماء إليها، والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالأرض السبخة التي لا ينمو فيها البذر. ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد أحد إلا ما زرع ولا ينمو زرع إلا من بذر الإيمان وقلما ينفع إيمان مع خبث القلب وسوء أخلاقه كما لا ينمو بذر في أرض سبخة فينبغي أن يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع. فكل من طلب أرضاً طيبة وألقى فيها بذراً جيداً غير عفن ولا مسوس ثم أمده بما يحتاج إليه وهو سوق الماء إليه في أوقاته ثم نقَّى الشوك عن الأرض والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر أو يفسده ثم جلس منتظراً من فضل الله تعالى دفع الصواعق والآفات المفسدة إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته سمي انتظاره رجاء. وإن بث البذر في أرض صلبة سبخة مرتفعة لا ينصب إليها الماء ولم يشتغل بتعهد البذر أصلاً ثم انتظر الحصاد فيه سمي انتظاره حمقاً وغروراً لا رجاء. وإن بث البذر في أرض طيبة ولكن لا ماء لها وأخذ ينتظر مياه الأمطار حيث لا تغلب الأمطار ولا تمتنع أيضاً: سمي انتظاره تمنياً لا رجاء. فإذن اسم الرجاء إنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختبار العبد ولم يبق إلا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات)[1].

إنطلاقاً من هذا المبدأ يمكن تقسيم الرجاء إلى نوعين رئيسيين وهما: الرجاء المحمود، والرجاء المذموم. وسنفصِّل كل منهما على حدة.

١ ـ **الرجاء المحمود**: وهو الرجاء المكمل لكل الشروط المطلوبة لانتظار ما هو محبوب عند صاحبه كالذي يرجو أن يكون ثوابه الجنة عند ربه سبحانه وتعالى فيبدأ بقلبه فيغرس فيه الإيمان ثم يصدقه بالطاعات وفعل الخيرات الصادرة سواء من اللسان أو الجوارح ثم داوم على ذلك وسأل الله تعالى التثبيت وتوكل عليه حق توكله ثم رجا الجنة من الله تعالى كان رجاؤه محموداً مقبولاً عند ربه مأجوراً عليه.

ولكن حتى الرجاء المحمود في ذاته واعتمادا على شروطه ينقسم إلى مراتب أعلاها الرجاء المحمود بأكمل صوره وأدناها الرجاء الذي ليس دونه إلا الرجاء

---

(١) إحياء علوم الدين ٤/ ١٤٣.

المذموم والدليل على ضرورة هذا التقسيم الضمني هو:

١- صح عن النبي ﷺ أنه قال: «الإيمان بضع وستون أو وسبعون شعبة أدناها إماطة الأذى عن الطريق وأرفعها قول لا إله إلا الله»[١].

ومما لا يشك به مسلم أن الرجاء من شعب الإيمان. ومعلوم أن الإيمان كما هو ثابت في عقيدة السلف والخلف يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي. وكما قال الإمام البخاري محمد بن إسماعيل المحدث: (رأيتُ أكثر من ألف رجل من علماء الأمصار فما رأيت أحدا منهم يختلف قط في أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص)[٢]. إذن فالإيمان متغير لأنه لا يكون إلا بعد وقوره في القلب وتصديقه بالعمل والعمل منه الصالح ومنه غير ذلك.

إذن فالرجاء الذي هو من شعب الإيمان يزداد أيضاً وينقص تبعاً لكيفية عمله.

٢- لكي يكون الرجاء محموداً فلا بد من تطبيق الشروط التي تجعله محموداً، ومن المُسلّم به أن التطبيق يختلف من إنسان لآخر بل للإنسان نفسه بين ساعة وأخرى وهو بين كل ذلك في تفاوت مستمر وفي مراتب ودرجات متباينة، وهذا ما يجعل الرجاء المحمود درجات بحسب الشروط التي تم تنفيذها.

شروط الرجاء المحمود

وهي الشروط التي بتوفرها يكون الرجاء محموداً مقبولاً وبما أن هذه الشروط تختلف في درجة أهميتها وتأثيرها على الرجاء لذلك يمكن تقسيم هذه الشروط إلى قسمين: قسم واجب توفرها ليكون الرجاء محموداً، وقسم مستحب توفرها لتجعل الرجاء أكمل وأتم. وهي كالآتي:

أ ـ الشروط الواجب توفرها وهي:

١ ـ الأخذ بالأسباب.

٢ ـ الخوف من عدم تحققه.

(١) صحيح البخاري. كتاب الإيمان برقم ٩، صحيح مسلم، كتاب الإيمان برقم ٣٥.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان.

٣ ـ الصدق في الرجاء والتيقن منه.

٤ ـ دوام التعهد.

ب - الشروط المستحب توفرها وهي:

١ ـ التملق إلى المرجو منه.

٢ ـ الارتقاء والإكثار من الإقبال.

٣ ـ التلذذ بالرجاء والارتياح له.

وسنأخذ كلاً من هذه الشروط بشيء من التفصيل الذي يفي البيان:

أ ـ الشروط الواجب توفرها

وهي الشروط التي لا بد منها في الرجاء المحمود وهي بمثابة الفرائض والأركان التي يؤدي نقص واحدة منها إلى إبطال ذلك العمل أي إلى إخراجه من دائرة الرجاء المحمود إلى دائرة الرجاء المذموم وهذه الشروط في حقيقتها كثيرة جداً، حيث أن كل عمل يصدر من الإنسان لا شك أنه مرتبط ومتعلق بعوامل كثيرة مثل صدق ذلك الإنسان وإيمانه وإخلاصه وأخلاقه وغير ذلك من الأمور الكثيرة، لذلك فإننا اخترنا من بين هذه الشروط أربعة شروط فقط وهي من الشروط التي يمكن إدراج باقي الشروط فيها وضمن معانيها، والتي هي:

١ ـ **الأخذ بالأسباب**: وهو القيام بكل عمل يستطيع الإنسان فعله ومن شأنه تحقيق ذلك المرجو. ومثال ذلك ما روي من إجراءات الرسول ﷺ التي اتخذها في هجرته المباركة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة عندما كان الرسول ﷺ يرجو النجاة من الكفار ويرجو الوصول إلى المدينة حيث الأنصار والمهاجرين(١)، حيث فعل الرسول ﷺ كل ما هو ضروري وكل ما هو في محيط قدرة الإنسان وطاقته لإنجاز عمل ما، ومن جملة ما اتخذه الرسول ﷺ من الأسباب.

١ ـ السرية التامة في عمله من أوله إلى آخره.

٢ ـ إتخاذ صاحب أمين للسفر وهو أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه.

---

(١) الهجرة النبوية الشريفة من مكة إلى المدينة، انظر السيرة النبوية، ابن هشام ١/ ٤٨٠ ـ ٤٩٤.

٣ ـ الإستعانة بدليل ذي كفاءة وذي علم وإلمام بطرق الصحراء.

٤ ـ الاستعانة بآل أبي بكر رضي الله تعالى عنه لتوفير الطعام والشراب وجلب الأخبار عندما مكثوا في غار حراء ثلاثة أيام.

هذه النقاط التي ذكرناها هي على سبيل المثال فقط ولو تفحصنا الموضوع أي الهجرة المباركة لرأينا أن الرسول ﷺ قد أخذ بالأسباب المحققة للنجاة إلى حد بعيد حتى يبدوا وكأن هذه الأسباب هي العامل الوحيد في إنجاح الهجرة(١) عند النبي ﷺ إذن فأي تقصير في اتخاذ ما يلزم من الأسباب الظاهرة الممكنة تحقيقها فإنه باب من أبواب إفساد الرجاء المحمود وكما تقول الزاهدة العابدة رابعة العدوية رحمها الله تعالى:

مـا بـال دينـك تـرضـى أن تـدنسـه ... وثوبك الدهر مغسول من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري على اليبسِ (٢)

إذن فمن كان يرجو رضى الله تعالى والنجاة يوم القيامة فأن عليه الاجتهاد في الطاعات والابتعاد عن المعاصي وبذلك أكمل شرطا مهما من شروط الرجاء. وهذا الشرط يتجلى واضحا في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

٢ ـ الخوف من عدم تحقق الرجاء

الرجاء يكون على حسب المحبة وقوتها ولكن كما أن الحبيب يرجو رضى محبوبه فكذلك فهو في نفس الوقت خائف حريص على دوام هذا الحب ودوام رضى المحبوب. إذن فدوام الخوف من السقوط من عين المحبوب أو طرده له وأبعاده

---

(١) معلوم أن النبي ﷺ عند أخذه بكل هذه الأسباب مع ما ذكرنا عن حرصه على ذلك فإنه كان على درجة من الرجاء والثقة واليقين بالنصر والتأييد من الله تعالى إلى درجة بعيدة حتى يبدو في مواقف أخرى وكأنه ﷺ لشدة إيمانه بهذا الجانب حتى وكأنه يستهين بالأسباب (حاشاه) ومثال ذلك هو عندما اقترب المشركون من الغار قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: والله يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى تحت قدميه لرآنا، فقال ﷺ بلهجة المطمئن الواثق: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما».

(٢) إتحاف السادة المتقين ١١/٣٢٩.

واحتجابه عنه كل ذلك دليل على حرص صاحب الرجاء على تحقق رجاء وصدقه فيه.

وهكذا وبناء على ما ذكرناه فإن كل محبةٍ مصحوبة بالخوف والرجاء معا، وعلى قدر تمكن هذا الحب من قلب المحب يشتد خوفه ورجاؤه ولكن هناك فرق بين الخوف من عدم تحقق الرجاء وبين المفهوم العام للخوف كخوف المسيء مثلا وحتى لا يختلط الأمر فإن خوف المحب إنما الرجاء دوام المحبة والرضى ورجاء تحقق الخير المقصود، أما خوف المسيء فإنما مما سيحصل له من العقوبة والوحشة وانتظار حصول شر محتوم، لكل ذلك نستنتج أن من الشروط المهمة التي يجب أن تتوفر في الراجي هو الخوف من عدم تحققه.

إذن فهذا النوع من الخوف يصاحب الرجاء ولا يفارقه بل وكأنه جزء منه ونجد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧].

قوله تعالى: ﴿وَيَرۡجُونَ﴾ عطف على يبتغون أي يبتغون القربة بالعبادة ويتوقعون ﴿رَحۡمَتَهُۥ﴾ تعالى ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ كدأب سائر العباد فأين هم من ملك كشف الضر فضلا عن كونهم آلهة[(١)].

وقال القرطبي: قوله: ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾ أي مخوفاً لا أمان لأحد منه، فينبغي أن يُحذَر منه ويُخاف[(٢)].

٣ ـ الصدق في الرجاء والتيقن منه

يعرف بعض أهل التصوف الرجاء بأنه (الثقةُ بجود الله تعالى والارتياح لمطالعة كرم الله سبحانه والاستبشار بفضله)[(٣)] هذا التعريف وإن لم يكن هو المتفق عليه بين كل العلماء للرجاء. ولكن مع هذا فهو تعريف دقيق للرجاء وفيه إبراز لشرط مهم من شروط الرجاء وهو الصدق في الرجاء والثقة بالله تعالى من حصوله، وبأنه تعالى

---

(١) روح المعاني ١٥/ ١٠٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ١٨٢.

(٣) موسوعة أخلاق القرآن ٢/ ٢٣٦، ٢٣٧.

محقق لكل رجاء. إذن فالتيقن بالتحقيق والثقة بلطف الباري عز وجل ثم التصديق بكل ذلك بالقلب هو من شروط الرجاء، ولا خير في رجاء عن قلب لاهٍ غافل ولا خير في رجاء من يشك بأصله لأنه رجاء باطل، بل على الراجي أن يتقين من حصول الرجاء وكأنه يرى ما يرجو رأي العين وكما يقول الشاعر:

وإنـــي لأرجـــو الله كـــأننـــي أرى بجميل الظن ما الله صانع[1]

وهذا الشرط هو شرط لكل عمل يُقصد به وجه الله تعالى، يقول الإمام سفيان الثوري رضي الله عنه: (ولا يقبل الله تعالى عملاً ولا دعاء إلا من موقن بالإجابة مخلص فإذا شهد التوحيد ونظر إلى الوحدانية فقد أخلص وأيقن) وهكذا جاء في الخبر (إذا دعوتم فكونوا موقنين بالإجابة فأن الله تعالى لا يقبل إلا من موقن)[2].

ويندرج في هذا المعنى قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣] الذي قال فيه الإمام الثوري تعليقاً: (من أذنب ذنباً فعلم أن الله تعالى قدره عليه ورجا غفرانه، غفر الله عز وجل له ذنبه. لأن الله تعالى عيّر قوماً فقال تعالى: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾، وقد قال سبحانه وتعالى في مثله: ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفتح: ١٢] أي هلكى. ففي دليل خطابه عز وجل إن من ظن حسناً كان من أهل النجاة وقد جاء في الأثر أن من أذنب ذنباً فأحزنه ذلك غفر له ذنبه وإن لم يستغفر)[3].

٤ ـ دوام التعهد

ويقصد به دوام الحفاظ على هذه الفضيلة، وكما قال الإمام الغزالي: (إن الرجاء حالة أثمرها العلم بجريان الأسباب، وهذه الحالة تثمر الجهد للقيام ببقية الأسباب على حسب الإمكان، فإن من حسن بذره وطابت أرضه وغزر ماؤه صدق رجاؤه، فلا يزال يحمله صدق الرجاء على تفقد الأرض وتعهدها وتنحية كل حشيش ينبت فيها فلا يفتر عن تعهدها أصلاً إلى وقت الحصاد، وهذا لأن الرجاء يضاده

---

(١) موسوعة أخلاق القرآن ٢/ ٢٣٧.
(٢) قوت القلوب ٢١٧.
(٣) المصدر نفسه.

اليأس، واليأس يمنع من التعهد)[١]. وهكذا فيلزم أن يداوم على رجاء الله وحسن الظن به.

ب ـ الشروط المستحب توفرها

وهي الشروط التي بتوفرها في الرجاء المحمود يرتقي الرجاء إلى مرتبة الكمال والتمام وهي بمثابة السنن المتممة لكمال الفرائض. ولكن بالرغم من أن التقصير فيها لا يؤدي إلى إبطال الرجاء ولكن وجودها تقربه إلى درجة القبول وهذه الشروط هي:

١ ـ **التملق إلى المرجو منه**: وهو إظهار الافتقار الدائم لسعة رحمة الله وعفوه ورضاه ورجاء كل ذلك بتذلل وحاجة وتطلع دائم إلى إحسانه، وكذلك فإن الاستمرار على الدعاء والتعلق به هما من التملق لأن الانكسار وإظهار الحاجة إلى الله تعالى والخضوع له فيها من معاني العبودية ما لا يخفى.

ثم إن الرجاء كما عرفناه انتظار محبوب وترقب لما هو محبوب وتوقع لفضل الله تعالى وهذا الترقب والانتظار يجعلان القلب متعلقا على الدوام بذكر الله تعالى، إذن هذا الاستمرار وهذا التعلق وهذا الانكسار والخضوع تعني بمجموعها التملق في الرجاء إلى الباري عزَّ وجل. وأكثر ما نجد هذا الشرط نجده في ثنايا أدعية الراجين ومن ذلك قول يحيى بن معاذ وهو يرجو في دعائه رجاء المخطىء التائب حيث يقول: (يكاد رجائي مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الأعمال لأني أجدني أعتمد في الأعمال على الإخلاص، وكي أصفي الأعمال وأحررها وأنا بالآفات معروف؟ وأجدني في الذنوب أعتمد على عفوك. وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف؟ إلٰهي، أحلى العطايا في قلبي رجاؤك، وأعذب الكلام على لساني ثناؤك. وأحب الساعات إليّ يكون فيها لقاؤك)[٢].

في هذا الدعاء نجد التملق إلى الباري عز وجل لنيل عفوه ورضاه واضحاً جليّاً ونشعر من خلاله بمدى تأثير التملق على قوة الرجاء.

---

(١) إحياء علوم الدين ٤/ ١٤٤.

(٢) موسوعة أخلاق القرآن ٢/ ٢٣٧.

٢ ـ الإرتقاء والإكثار من الإقبال

من المعلوم أن الإكثار من الإقبال على الشيء بالطلب والحرص والذكر يزيد من قرب الطالب من مطلوبه وكذلك الرجاء فإن الإكثار من الإقبال عليه يقرب الراجي من نيل رجائه وأفضل حالاته هو المداومة على الإقبال التي ترفع صاحب الرجاء من الحال إلى المقام أي من حالة من حالات الرجاء إلى مقام ثابت فيتحول الرجاء إلى صفة دائمة في الراجي ويصور الإمام الغزالي هذه الحالة بقوله: (اعلم أن الرجاء من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين وإنما يسمى الوصف مقاماً إذا ثبت وأقام، وإنما يسمى حالاً إذا كان عارضا سريع الزوال ـ ثم يقول ـ: فكذلك صفات القلب تنقسم إلى هذه الأقسام فالذي هو غير ثابت يسمى حالاً لأنه يحول على القرب وهذا جار في كل وصف من أوصاف القلب)[١].

والرجاء هو إحدى هذه الأوصاف القلبية بلا شك.

وقد استدل بعضهم[٢] على أهمية هذا الشرط بقوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ [الزمر: ٩] لأن فيها من معاني الإقبال الشيء الكثير فالقنوت في ساعات الليل الذي هو طول القيام للتهجد والدعاء عند تجافي الجنوب عن المضاجع كل ذلك من الإقبال.

٣ ـ التلذذ بالرجاء والارتياح التام له

إن من علامات حسن الرجاء التلذذ به والاستشعار الروحي الطيب عند معايشته. إذن فانشراح الصدر للرجاء هو من مستحباته كما يقول صاحب قوت القلوب: (ومن الرجاء انشراح الصدر بأعمال البر وسرعة السبق والمبادرة بها خوف فوتها)[٣].

وما أجمل ما ذهب إليه حاتم الأصم بهذا الخصوص حين جعل أصل الطاعة

---

(١) إحياء علوم الدين ٤/ ١٤٢.

(٢) قوت القلوب ٢١٨.

(٣) قوت القلوب ٢١٨.

ثلاثة أشياء هي الرجاء والخوف والحب فيضيف الحب لهما لأنهما يكتملان بالحب ثم يقول: (وهكذا يربط هذا البيان الروحي بين الرجاء والخوف من جهة والمحبة من جهة أخرى فيعطي الرجاء ولازمه الخوف ارتباطاً بمحبة الله، فتجعلهما نعمة وضياء. فيأنس العبد بربه، ويعكف على حبه)[1].

وما دمنا تعرفنا على درجات ومراتب وشروط الرجاء وجدنا أن أولى الرجاء وأعلاه هو رجاء المؤمن الذي يعمل لطاعة الله على نور من الله وهو يرجو بعمله هذا ثوابه، وأقل منها درجة هو رجاء من أذنب ذنبا ثم تاب منه فهو يرجو عفو الله وغفرانه وإحسانه، وأحط الدرجات رجاء من يتمادى في الخطأ والإهمال ثم يرجو رحمة بلا عمل وهذا رجاء كاذب لأن الرجاء لا يصدق إلا مع العمل.

أنواع الرجاء

ورد في القرآن الكريم أنواع متعددة من أنواع الرجاء هي:

١ ـ رجاء رحمة الله سبحانه وتعالى

وهو الرجاء الذي يقصد صاحبه من ورائه رحمة الله تعالى دون تحديد لماهية هذه الرحمة بالضبط فرحمة الله تعالى واسعة تسع كل شيء وتتضمن كل الأمور سواء منها الدنيوية أو الأخروية إذن فهو نوع شامل من الرجاء بل نستطيع إدراج باقي أنواع الرجاء التي سنذكرها لاحقاً تحت هذا النوع من الرجاء لأن المغفرة واللقاء وتيسير الحساب وغير ذلك كلها من رحمة الله تعالى لذلك نستطيع أن نقول أن هذا النوع من الرجاء هو الأصل الذي يشمل الباقيات.

ولنفس السبب فإن هذا النوع من الرجاء نجده مذكوراً أكثر من غيره من أنواع الرجاء والأدلة عليه كثيرة سواء من الآيات أو من الأحاديث وسنذكر طائفة من هذه الآيات على سبيل المثال لا الحصر، وسنرى بأن الرحمة في كل آية منها تنصرف إلى إحدى المعاني الطيبة التي هي من رحمة الله منها.

أ ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ

---

(١) موسوعة أخلاق القرآن ٢/ ٢٣٢، ٢٣٣.

رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ٢١٨]، فالرحمة في هذه الآية بمعنى الجنة كما ذكرها الشيخ جمال الدين القاسمي في تفسيره حيث قال: (يرجون رحمة الله) أي جنته على إيمانهم وهجرتهم وجهادهم[١].

ب ـ ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا﴾ [الإسراء: ٢٨]، والرحمة المرجوة في هذه الآية بمعنى الرزق فيقول القاسمي في تفسيره لهذه الآية: (أي وإن أعرضت عن ذوي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد لانتظار رزق من الله ترجوه أن يأتيك فتعطيه فلا تؤيسهم وقل لهم قولاً ليناً سهلاً وعدهم وعداً جميلاً)[٢].

ج ـ ومنها قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾ [الإسراء: ٥٧]، والرحمة المرجوة في هذه الآية بمعنى الرضى أي رضى الله تعالى كما يشير إلى ذلك صاحب تفسير (التحرير والتنوير) حيث يقول: وذكر خوف العذاب بعد رجاء الرحمة للإشارة إلى أنهم في موقف الأدب مع ربهم فلا يزيدهم القرب من رضاه إلا إجلالاً له وخوفا من غضبه[٣]. ولقد جاء ذكر رجاء الرحمة في آيات أخرى كثيرة ولكن نكتفي بهذا القدر لأن باقي الآيات تدل على نفس المعنى.

٢ ـ رجاء لقاء الله تعالى

من صفات أهل الإيمان أنهم بعدما قدموه من عمل صالح في الدنيا أنهم يحبون أن يلقوا ربهم سبحانه وتعالى لتوفى كل نفس ما عملت ولينعموا بلقاء ربهم تعالى الذي ليس وراءه إلا النعيم، أما الكفار والمنافقون فليس شيء أكره عندهم من لقاء الله تعالى لأنهم في يأس من رحمته وفي يأس من لقائه فيكرهون هذا اللقاء ولا يتمنونه ولا يرجونه ومن لا يرجوا لقاء الله تعالى فأن الله لا يحب لقاءه. ورذيلة الكافرين التي ما بعدها رذيلة أنهم محرومون من الرجاء في الله وحسن الظن به والأمل في رحمته،

---

(١) محاسن التأويل ٣/ ٢١٠.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٢٢.

(٣) تفسير التحرير والتنوير ١٥/ ١٤٤.

ولذلك حمل القرآن المجيد حملة صارمة على أولئك اليائسين من لقاء الله لقاء رحمة وثواب فيقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [يونس: ٧ ـ ٨] أي لا يتوقعون لقاء الله في الآخرة أبداً لأنهم منكرون للبعث، أو لا يؤملون لقاء الله الخاص بالمتقين في دار الكرامة(١).

وهذا النوع من الرجاء فيه من الشمولية التي يندرج تحتها كل يَسير ونعيم أخروي فقط لأنه رجاء لما بعد الموت، ونرى هذه الشمولية واضحة في تفسير القاسمي لقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠] حيث يقول:

﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ أي يخاف المصير إليه أو يأمل لقاءه ورؤيته أو جزاءه الصالح وثوابه(٢). فترى أنه يفسر كلمة اللقاء بالخوف تارة ثم بأمل اللقاء ثم بالرؤية ثم بالجزاء الصالح أي الثواب، ولا عجب في ذلك لأن لقاء الله تعالى من الممكن أن يحتمل أياً من هذه المعاني.

ثم يصور الله تعالى لنا موقف كل من الفريقين المؤمنين والكافرين من رجاء لقائه تعالى، فأما عن المؤمنين فيقول تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖ﴾ [العنكبوت: ٥].

هذه الآية التي اختلف فيها المفسرون فذهب بعضهم إلى أن (من) في الآية هي للمؤمنين والكافرين. فأما الكافرون فقالوا: بأن الرجاء هنا بمعنى الخوف ولقاء الله بمعنى البعث أي أن الكفار الذين يخافون ويتقون البعث فليعلموا أن البعث حق وأن الموت آت لا محالة.

ونقل العلامة الآلوسي رأياً آخر لبعض العلماء هو أن هذا التفسير هو خروج عن الظاهر من غير ضرورة ملحة ثم قال عنهم: (واختار بعضهم أن الرجاء بمعناه المشهور وأن لقاء الله تعالى هو مشاهدته سبحانه على الوجه اللائق به عز وجل. ثم

---

(١) موسوعة أخلاق القرآن ٢/ ٢٣٥.

(٢) محاسن التأويل ١١/ ١٠٦، ١٠٧.

قال: أي من كان يتوقع مشاهدة الله تعالى يوم القيامة التي لا نعيم يعدلها ويلزمها الفوز بكل خير ونعيم)[1].

وأما عن الكافرين فيقول تعالى: ﴿۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [يونس: ١١] إذن فإن الذين لا يرجون لقاء الله تعالى ولا يتوقعونه ولا يعملون له فإنهم منغمسون في طغيانهم وكفرهم فيذرهم الله تعالى في حالهم إلى أن يتفاجأوا باللقاء.

يقول الآلوسي عن الرجاء في هذه الآية: ﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ أي نتركهم إمهالا واستدراجاً ﴿فِى طُغْيَـٰنِهِمْ﴾ الذي هو عدم رجاء اللقاء وإنكار البعث والجزاء وما يتفرع على ذلك من الأعمال السيئة والمقالات الشنيعة ﴿يَعْمَهُونَ﴾ أي يترددون ويتحيرون[2].

٣ ـ رجاء اليوم الآخر

وهو رجاء النجاة من تقلبات وأهوال اليوم الآخر وفيه معنى من الخوف ولما كان اليوم الآخر من الأيام التي ينتظرها الناس كان حالهم أنهم راجون في ذلك اليوم المغفرة والرحمة ودخول الجنة، وقد ورد في القرآن الكريم ذكر اليوم الآخر مقترنا برجاء العفو من الله فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

أي لمن كان يرجو ثواب الله ورحمته في الآخرة ولا يرغب بنفسه ولكنه تكون به أسوة في أن يكون معه حيث يكون هو وقال الآلوسي: قوله: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ بمعنى يوم القيامة موضع الثواب لأن ثوابه تعالى يقع فيه فهو إلى ما قال الطيبي من إطلاق إسم المحل على الحال، الكلام نحو قولك: أرجو زيدا وكرمه مما يكون ذكر المعطوف عليه فيه توطئة للمعطوف وهو المقصود[3].

وكان نبي الله شعيب عليه السلام قد دعا قومه إلى رجاء الله واليوم الآخر كما

---

(١) روح المعاني ٢٠/١٣٧.
(٢) روح المعاني ١١/٧٩.
(٣) روح المعاني ٢١/١٦٨.

حكى ذلك القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٦].

يقول: وأرجوا بعبادتكم إياه جزاء اليوم الآخر وذلك يوم القيامة[١]، أي توقعوه وما سيقع فيه من فنون الأهوال وافعلوا اليوم من الأعمال ما تأمنون به غائلته، أو الأمر بالرجاء امر بفعل ما يترتب عليه الرجاء إقامة المسبب مقام السبب، فالمعنى افعلوا ما ترجون به ثواب اليوم الآخر[٢].

وقال صاحب مجمع البيان: قوله: ﴿وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ أي وأملوا ثواب اليوم الآخر واخشوا عقابه بفعل الطاعات وتجنب السيئات[٣].

وقد ورد في القرآن الكريم رجاء اليوم الآخر على غير اسم اليوم الآخر مثل:

أ ـ رجاء يوم النشور. قال تعالى: ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٠].

ب ـ رجاء الحساب. قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [النبأ: ٢٧].

٤ ـ رجاء المغفرة

ويقصد به رجاء كل مذنب تائب طامع في قبول توبته والغفران لذنوبه، وهذا نوع مهم من أنواع الرجاء من النوع الذي يصفه بعض أطباء القلوب من أهل التصوف بأنه يكاد يكون من أقوى الرجاء، وأنه سبق وقد ذكرنا بأن رجاء المخطىء التائب إلى ربه أقوى وأكمل حتى من رجاء المحسن الذي ينظر إلى عمله.

ونعود إلى قول يحيى بن معاذ وهو يقول: (يكاد رجائي مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الأعمال، لأني أجدني أعتمد في الأعمال على الإخلاص وكيف أصفي الأعمال وأحررها وأنا بالآفات معروف وأجدني في الذنوب أعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف)[٤].

---

(١) جامع البيان ٢٠/١٤٩.

(٢) روح المعاني ٢٠/١٥٧، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي ٥٢٩.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ علي أبو الفضل بن الحسن الطبرسي ٤/٢٨٣.

(٤) موسوعة أخلاق القرآن ٢/٢٣٧.

وقد ورد هذا النوع من الرجاء في قوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٦] التي نزلت في الثلاثة الذين تخلفوا عن الخروج مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فبعد رجوع الصحابة من الغزوة أحسوا بالتقصير وأنهم خالفوا أمر الله ورسوله فتابوا إلى الله تعالى فقوله تعالى: ﴿ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ رجاء منهم بأن يتوب الله عليهم بعد أن تابوا، فنزلت الآية توثيقا لهذا الموقف الذي ينم عن الإخلاص.

وكذلك ورد هذا النوع من الرجاء بكثرة في أحاديث النبي ﷺ منها الحديث القدسي الذي يقول فيه ﷺ يقول الله تعالى: «يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي»[١].

٥ ـ رجاء النصر

وهو نوع مهم جدا من أنواع الرجاء لا تخفى أهميته، فإنه إذا كان الرجاء عموما يبعث على الأمل وينفي اليأس والقنوط عن صاحبه ويبعث على القوة والعزيمة ويجبر صاحبه على الصبر والتحمل إذن فما أحوج الإنسان إلى هذه المعاني خصوصا وهو في ساعات لقاء العدو وطلب النصر.

ولقد أبدى القرآن الكريم أهمية واضحة بهذا النوع من الرجاء وجعل له مفهوماً خاصاً ومتميزاً، حيث أن الله تعالى عندما حث المسلمين على الجهاد في سبيله فأنه تعالى جعل للمجاهد أجراً عظيماً بغض النظر عن نتائج المعارك وحجم الغنائم أو الخسائر فقد وعد المجاهد بإحدى الحسنين الأولى النصر الذي فيه عزة الدين ودولة الدين والثانية الشهادة التي فيها ما فيها من الأجر العظيم والمقام الكريم الخالد قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ [التوبة: ٥٢].

والآية في وضوح معانيها في غنى عن الشرح والتوضيح.

---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، كتاب الدعوات برقم ٣٥٤٠، ومسند الإمام أحمد، كتاب مسند الأنصار برقم ٢٠٩٦١، ٢٠٩٩٤.

إذن فما أعظم هذا المفهوم عندما يعيشه المجاهد ويؤمن به ويعمل بمقتضاه.

ويبرز معنى هذا النوع من الرجاء في القرآن الكريم في قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤].

نزلت هذه الآية في المسلمين الذين قاتلوا في أحد بعد أن أمرهم الرسول ﷺ بعد المعركة بالخروج في طلب الكفار مرة أخرى فشكوا إليه ما بهم من جراحات وألم فنزلت هذه الآية[1] التي فيها بشارة عظيمة للمسلمين وأن الله تعالى يقول لهم إن ما ترجون وتنتظرون من الخير من ربكم ما لا يرجونه ولا ينتظرونه لأنكم تعلمون من الله بإيمانكم وباتباعكم لمحمد ﷺ ما لا يعلمونه هم، فإنكم تخصون الله تعالى بالعبادة والاستعانة وحسن التوكل أما هم فمشركون ولا حظ لهم في شيء من ذلك ولهذا وعد الله المؤمنين بإحدى الحسنيين أما النصر وأما الشهادة التي هي طريق الجنة.

٦ ـ الرجاء الخفي للخير

وهو الرجاء المحسوس به من خلال نصوص الآيات القرآنية التي لا تتعرض للرجاء بصورة مباشرة، فإن في كل آية من آيات القرآن الكريم نوع من أنواع الرجاء الخفي والتي يشعر بها الإنسان ويرتاح لها ويرجو من ورائها الخير مما يدخل في نفسه من قرب الله تعالى ولطفه وإنعامه ما يدخل، كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١]. فولاية الله تعالى للمؤمنين شيء يرتاح له المسلم ويرجو من خلال هذه الولاية والقرب كل خير.

بل لقد ذهب البعض إلى أبعد من ذلك حيث استشعروا الرجاء من الله تعالى حتى من خلال آيات الأحكام فاعتبروا آيات الأحكام دليلاً على حرص الله تعالى على تحقيق مصالح العباد في أنفسهم وأعراضهم وأموالهم فيطمئنون لها ويرجون الخير فيها لأن في تطبيق هذه الأحكام تحقيق لهذه المصالح، فإذا كان الله تعالى بهذا الحرص على نجاتهم وخلاصهم في حياتهم إذن فهذا مدعاةٌ على رجاء الخير والتعلق

---

(١) جامع البيان ٥/٢٦٣.

بالله تعالى في أن يكون في الآخرة بنفس الحرص على نجاتهم وتحقيق الخير لهم، ومثال ذلك آية الدّين في (سورة البقرة) التي هي أطول آية في القرآن الكريم حيث يقول فيها صاحب قوت القلوب:

إن الدنيا كلها قليل ورزق الإنسان فيها قليل من قليل وهذا الدين من رزقه قليل، ثم أن الله تبارك وتعالى احتاط في ذلك ورفق النظر بأن وكّد الدين بالشهود والكتاب وأنزل فيه أطول آية في كتابه ولو فاتني ذلك لم أبال به فكيف يكون فعله بي في الآخرة التي لا عوض لي من نفسي فيها(١).

٧ ـ رجاء تجارة لن تبور

ذكر سبحانه وتعالى حكاية عن قسم من عباده أنهم عبدوا الله تعالى وقرؤوا كتابه وأنفقوا مما أتاهم الله فهم يرجون بهذه الأعمال ربحاً عليها.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ۞ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٩ ـ ٣٠].

قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ ﴾ أي يداومون على قراءته حتى صارت سمة لهم وعنواناً كما يشعر به صيغة المضارع، والمراد بكتاب الله: القرآن، فقد قال مطرف بن عبد الله بن الشخير: هذه آية القرّاء(٢).

﴿ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ يقول: وأدوا الصلاة المفروضة لمواقيتها بحدودها وقال: وأقاموا الصلاة بمعنى: ويقيموا الصلاة وقوله: ﴿ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ يقول: وتصدقوا بما أعطيناهم من الأموال سرا في خفاء، وعلانية: جهاراً، وإنما معنى ذلك أنهم يؤدون الزكاة المفروضة ويتطوعون أيضا بالصدقة منه بعد أداء الفرض الواجب عليهم فيه.

﴿ يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ يقول تعالى ذكره: يرجون بفعلهم ذلك تجارة

---

(١) قوت القلوب ٢٢٠.

(٢) روح المعاني ٢٢/ ١٩٢.

لن تبور: لن تكسد ولن تهلك، من قولهم: بارت السوق: إذا كسدت وبار الطعام. ﴿فَيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ يقول: ويوفيهم الله على فعلهم ذلك ثواب أعمالهم التي عملوها في الدنيا ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ يقول: وكي يزيدهم على الوفاء من فضله ما هو له أهل.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ يقول: يقول: إن الله غفور لذنوب هؤلاء القوم الذين هذه صفتهم، شكور لحسناتهم[1].

وهناك أمور يستلزمها الرجاء وهي الدرجة الأساس لصحة الرجاء إذ بدونها ليس هناك معنى للرجاء منها:

١ ـ طاعة الرسول ﷺ فيما أمر ونهى عن ربه تبارك وتعالى ومعلوم أن طاعة الرسول من طاعة الله كما قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]. ومن الآيات التي يستلزم الرجاء فيها طاعة الرسول ﷺ قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

قال إبن كثير: (هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين)[2]. وقوله: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾ أي رضوان الله ورحمته وثواب اليوم الآخر ونجاته[3].

٢ ـ العمل الصالح

قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

أي ثوابه وجزاءه الصالح[4].

---

(١) جامع البيان ٢٢/ ١٣٢، ١٣٣.
(٢) تفسير ابن كثير ٥/ ٤٣٧.
(٣) محاسن التأويل ١٣/ ٢٣٦.
(٤) تفسير إبن كثير ٤/ ٤٣٢، وينظر جامع البيان ١٦/ ٣٩، الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٤٧، محاسن التأويل ١١/ ١٠٦، ١٠٧.

الأمور الجالبة للرجاء

وهناك أمور لا ينبغي نسيانها هي مهمة جدا لتحقيق الرجاء المحمود منها:

١ ـ تذكر سعة رحمة الله فالذي يقرأ القرآن يجد فيه أن الله تعالى ذكر الرحمة في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الحجر: ٤٩] وأن رحمته سبقت غضبه وجاء في الحديث الذي ذكرناه أنه أنزل رحمة واحدة وأمسك تسعاً وتسعين.

٢ ـ أن الله أمر بالرجاء في كثير من آياته منها قوله تعالى: ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [الأعراف: ٥٦].

٣ ـ ذكر عباداً له مدحهم أنهم كانوا راجين لرحمته قال تعالى: ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ ﴾ [الإسراء: ٥٧].

٤ ـ الإحسان: قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف:٥٦].

المبحث الثاني
الرجاء المذموم

لقد علمنا مما سبق أن الرجاء درجات وقلنا: أن أولاها وأعلاها هو رجاء المؤمن الذي يعمل لطاعة الله تعالى على نور من الله وهو يرجو ثوابه ويخاف الإبعاد، ثم أقل من ذلك رجاء من أذنب ذنوبا ثم تاب منها توبة صادقة نصوحة مخلصة فهو يرجو عفو الله وغفرانه وإحسانه وأحط درجات الرجاء هو ما أسميناه بالرجاء المذموم، رجاء من يتمادى في الأخطاء والإهمال ثم يرجو رحمة ربه بلا عمل وكسب، فهذا رجاء كاذب لأن الرجاء لا يصدق الا مع العمل.

إذن نستطيع القول إن تعريف الرجاء المذموم بأنه الرجاء الذي يفقد أحد الشروط الواجب توفرها في الرجاء المحمود.

وقد صوَّر لنا القرآن الكريم صورة الرجاء المذموم في صيغ مختلفة منها الطمأنينة والأمل والغرور كالإعجاب بالأعمال والاغترار بالأموال والأولاد والتمني وسنبين ذلك في الباب الثالث إن شاء الله تعالى.

الفصل الثالث

آثار الرجاء الدنيوية والأخروية

للرجاء فضيلة كبيرة ومنزلة رفيعة فهي مقام من مقامات الطالبين وطريق من طرق السالكين ولولا الرجاء لتقطعت القلوب بالخوف وقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على فضيلة هذه المنزلة وعظيمها عند الله سبحانه وتعالى.

ويرى الإمام إبن القيم: (إن منزلة الرجاء منزلة جليلة وشريفة وعليه وعلى الحب والخوف مدار السير إلى الله)[1].

وقال الإمام الغزالي في بيان فضيلة الرجاء: اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف، لأن أقرب العباد إلى الله تعالى أحبهم له، والحب يغلب الرجاء، واعتبر ذلك بملكين يخدم أحدهما خوفا من عقابه والآخر رجاء لثوابه، ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن رغائب لاسيما في وقت الموت[2].

فمن الخير أن تكون حسن الظن بالله عز وجل مهما كانت أخطاؤك ما دمت قد تبت إلى الله سبحانه وتعالى وندمت على ما فعلت، وحسبك ترغيبا لك في هذا قول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

فقد روي أن السبب في نزول هذه الآية: أن قوماً قالوا: يا رسول الله... يغفر لنا ربنا إن أسلمنا على ما كان منا من الكفر والقتل وغيره؟ فنزلت هذه الآية[3].

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٤١.

(٢) إحياء علوم الدين ٤/ ١٤٢.

(٣) جامع البيان ٢٤/ ١٤ ـ ١٦، الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ١٧٤، ١٧٥.

قوله: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ﴾ أي أفرطوا في المعاصي جانين عليها،[1] وعني تعالى ذكره بذلك جميع من أسرف على نفسه من أهل الإيمان والشرك لأن الله عم بقوله: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ جميع المسرفين فلم يخصص به مسرفا دون مسرف فإن قال قائل: فيغفر الله الشرك قيل نعم إذا تاب منه المشرك[2]، ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ في الكفر أو المعاصي واستكثروا منها[3].

وقوله: ﴿يَٰعِبَادِيَ﴾ ذهبوا إلى أن المراد بالعباد المؤمنون وقد غلب استعماله فيهم مضافا إليه عز وجل في القرآن العظيم فكأنه قيل: أيها المؤمنون المذنبون ﴿لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ أي لا تيأسوا من رحمة الله ومغفرته سبحانه وتفضله عز وجل على أن المغفرة مدرجة في الرحمة أو أن الرحمة مستلزمة لها لأنه لا يتصور الرحمة لمن لم يغفر له[4].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ يقول: إن الله يستر على الذنوب كلها بعفوه عن أهلها وتركه عقوبتهم عليها إذا تابوا منها[5]، والألف واللام قد صيرت الجمع، التي دخلت عليه للجنس، الذي يستلزم استغراق أفراده فهو في قوة إن الله يغفر كل ذنب كائناً ما كان، إلا ما أخرجه النص القرآني، وهو الشرك، ثم لم يكتفِ بما أخبر عباده به من مغفرة كل ذنب، بل أكد ذلك بقوله: ﴿جَمِيعًا﴾ فيا لها من بشارة ترتاح لها قلوب المؤمنين، المحسنين ظنهم بربهم، الصادقين في رجائه الخالعين لثياب القنوط الرافضين لسوء الظن بمن لا يتعاظمه ذنب، ولا يبخل بمغفرته ورحمته على عباده، المتوجهين إليه في طلب العفو، الملتجئين به في مغفرة ذنوبهم، وما أحسن ما علل به سبحانه هذا الكلام قائلاً: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي الكثير المغفرة والرحمة عظيمهما بليغهما واسعهما، فأبرز الجملة مؤكدة بإن والفعل، وبإعادة الصفتين اللتين تضمنتهما الآية السابقة، فمن أبى هذا التفضل العظيم، والعطاء الجسيم، وظن أن

---

(١) روح المعاني ٢٤/ ١٣، فتح البيان ٨/ ٢٣٨.
(٢) جامع البيان ٢٤/ ١٤ ـ ١٦.
(٣) فتح البيان ٨/ ٢٣٨.
(٤) روح المعاني ٢٤/ ١٣، جامع البيان ٢٤/ ١٧، فتح البيان ٨/ ٢٣٨.
(٥) جامع البيان ٢٤/ ١٧.

تقنيط عباد الله وتأييسهم من رحمته أولى بهم مما بشرَّهم الله به فقد ركب أعظم الشطط وغلط أقبح الغلط، فإن التبشير وعدم التقنيط هو الذي جاءت به مواعيد الله في كتابه العزيز والمسلك الذي سلكه رسول الله ﷺ كما صح عنه من قوله: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا»[(١)].

وفي هذه الآية من أنواع المعاني والبيان أشياء حسنة منها[(٢)]:

١ ـ إقباله تعالى عليهم، ونداؤهم.

٢ ـ إضافتهم إليه إضافة تشريف.

٣ ـ الالتفات من التكلم إلى الغيبة في قوله: من رحمة الله.

٤ ـ إضافة الرحمة لأجل أسمائه الحسنى.

٥ ـ إعادة الظاهر بلفظه في قوله: إن الله، قاله السمين.

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه وغيره: هذه الآية أرجى آية في كتاب الله سبحانه لاشتمالها على أعظم بشارة فإنه أولا أضاف العباد إلى نفسه لقصد تشريفهم ومزيد تبشيرهم، ثم وصفهم بالإسراف في المعاصي والاستكثار من الذنوب ثم عقب ذلك بالنهي عن القنوط من الرحمة لهؤلاء المستكثرين من الذنوب، فالنهي عن القنوط للمذنبين غير المسرفين من باب الأولى، وبفحوى الخطاب قيل: وهذه عامة في كل كافر يتوب، ومؤمن عاص يتوب، فتمحو توبته ذنبه، والمراد منها التنبيه على أنه لا ينبغي للعاصي أن يظن أنه لا مخلص له من العذاب، فإن من اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة الله تعالى إذ لا أحد من العصاة إلا وأنه متى تاب زال عقابه، وصار من أهل المغفرة والرحمة والحق أن الآية غير مقيدة بالتوبة بل هي على إطلاقها[(٣)].

ومن أروع ما في سبب نزول هذه الآية ما رواه ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: أتى وحشي إلى النبي ﷺ، فقال: يا محمد أتيتك مستجيراً فأجرني حتى

---

(١) حديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم برقم ٦٩ وكتاب الأدب برقم ٦١٢٥ وأخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير برقم ١٧٣٢، ١٧٣٤.

(٢) فتح البيان ٨/ ٢٣٨.

(٣) فتح البيان ٨/ ٢٣٨،٢٣٩.

أسمع كلام الله، فقال رسول الله ﷺ: «قد كنت أحب أن أراك على غير جوار فأما إذا أتيتني مستجيراً فأنت في جواري حتى تسمع كلام الله»، قال: فإني أشركت بالله وقتلت النفس التي حرم الله وزنيت، هل يقبل الله مني توبة؟ فصمت رسول الله ﷺ حتى نزلت: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ❁ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ❁ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠]. فتلاها عليه، فقال أرى شرطا فلعلي لا أعمل صالحا، أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله. فنزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ﴾ [النساء: ١١٦]. فدعا به فتلا عليه، قال: فلعلي ممن لا يشاء أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله. فنزلت: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ﴾ فقال: نعم الآن لا أرى شرطاً. فأسلم(١).

وأخرج أحمد عن أسماء بنت زيد: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾ ولا يبالي ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(٢). وعن إبن مسعود أنه مر على قاص يذكر الناس فقال: يا مذكر الناس لا تقنط الناس، ثم قرأ: ﴿يَا عِبَادِيَ﴾ الآية. وعن ابن سيرين قال: قال علي: أي آية أوسع؟ فجعلوا يذكرون آيات من القرآن: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠] ونحوها، فقال علي: ما في القرآن أوسع من ﴿يَا عِبَادِيَ﴾ الآية(٣).

وأخرج إبن جرير وإبن المنذر عن إبن عباس في الآية قال: قد دعا الله إلى مغفرته من زعم إن المسيح ابن الله، ومن زعم أن عزير ابن الله ومن زعم إن الله فقير، ومن زعم أن يد الله مغلولة ومن زعم أن الله ثالث ثلاثة يقول لهؤلاء أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ؟ ثم دعا إلى توبته من هو أعظم قولاً من هؤلاء من قال أنا ربكم الأعلى. وقال: ما علمت لكم من إله غيري قال ابن عباس: ومن

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ١٧٥.
(٢) مسند الإمام احمد ٥/ ٢٧٥.
(٣) فتح البيان ٨/ ٢٤١.

آيس العباد من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله، ولكن لا يقدر العبد أن يتوب حتى يتوب الله عليه[١].

وحسبنا أن نعلم أن فضل هذه الآية كبير فعن ثوبان رضي الله عنه: قال لما نزلت قال ﷺ: «ما أحب لي الدنيا وما فيها بهذه الآية»[٢].

ومعناها إن الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب، ويقول سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في شأنها: هي أرجى آية في القرآن[٣].

وقيل: أرجى آية في القرآن: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وقيل: أرجى آية: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

وقال زين العابدين رضي الله عنه: أرجى آية: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥] فإن محمداً ﷺ لا يرضى وأحد من أمته في النار[٤].

ويمكن تقسيم فضيلة الرجاء إلى نوعين:

أ ـ آثار الرجاء في الدنيا.

ب ـ ثمار الرجاء في الآخرة.

أ ـ آثار الرجاء في الدنيا

للرجاء أثر كبير في صناعة الإيمان وتقويته إذ هو الحبل الموصل إلى انتظار ما هو محبوب ألا وهو رضاء الله عز وجل عن العبد ومغفرته ودخول الجنة، والآيات والأحاديث التي وردت في آثار هذه الفضيلة خارجة عن الحصر فما ورد في فضل الرجاء أكثر من أن يحصى ولنأخذ قسما منها:

---

(١) فتح البيان ٨/ ٢٤١.

(٢) مسند الأمام أحمد ٥/ ٢٧٥.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

١ ـ إن الرجاء في الدنيا سبب للمغفرة من الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٦].

قال إبن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وغير واحد: هم الثلاثة الذين خلفوا، أي عن التوبة، وهم مرارة بن الربيع، وكعب بن مالك، وهلال بن أمية، قعدوا عن غزوة تبوك في جملة من قعد كسلا وميلا إلى الدعة والحفظ وطيب الثمار والظلال لا شكا ونفاقا، فكانت منهم طائفة ربطوا أنفسهم بالسواري كما فعل أبو لبابة وأصحابه، وطائفة لم يفعلوا ذلك وهم هؤلاء الثلاثة المذكورون، فنزلت توبة أولئك قبل هؤلاء وأرجى هؤلاء عن التوبة حتى نزلت الآية، وهي قوله: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة: ١١٧ ـ ١١٨][1].

وقوله: ﴿ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ﴾ أي: هم تحت عفو الله، إن شاء فعل بهم هذا وإن شاء فعل بهم ذاك، ولكن رحمته تغلب غضبه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي عليم بمن يستحق العقوبة ممن يستحق العفو، حكيم في أفعاله وأقواله لا إله إلا هو ولا رب سواه[2].

وكلامنا عن قوله تعالى: ﴿ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ﴾ وليس عن ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾ لأنها بمعنى مؤخرون كما قال المفسرون.

فائدة: قال في (العناية): وإنما اشتد الغضب عليهم مع إخلاصهم، والجهاد فرض كفاية لما قيل إنه كان على الأنصار خاصة فرض عين، لأنهم بايعوا النبي ﷺ، ألا ترى قول راجزهم في الخندق:

نحن الذين بايعوا محمداً ... على الجهاد ما بقينا أبداً

وهؤلاء من أجلّهم فكان تخلفهم كبيرة.

---

(١) تفسير إبن كثير ٤/ ٤٥٠، ٤٥١.

(٢) المصدر نفسه.

و (إما) في الآية، إما للشك بالنسبة إلى المخاطب، أو للإبهام بالنسبة إليه أيضاً، بمعنى أنه تعالى أبهم على المخاطبين أمرهم. والمعنى: ليكن أمرهم عندكم بين الرجاء والخوف، والمراد تفويض ذلك إلى إرادته ومشيئته، أو للتنويع، أي أمرهم دائر بين هذين الأمرين[1].

٢ ـ الرجاء في الدنيا يحقق الحصول على المرجو

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

أخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة رضي الله عنه في قوله: ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ﴾ قال: من رحمة الله.

وأخرج إبن جرير عن الضحاك رضي الله عنه مثله.

وأخرج إبن جرير وأبو الشيخ عن ابن زيد رضي الله عنه في قوله: ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ﴾ قال: من فرج الله يفرج عنكم الغمّ الذي أنتم فيه[2].

وقال القرطبي: قوله تعالى على لسان نبيه يعقوب: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ هذا يدل على أنه تيقن حياته، إما بالرؤيا، وإما بإنطاق الله تعالى الذئب ـ كما في أول القصة ـ وإما بإخبار ملك الموت إياه بأنه لم يقبض روحه، وهو أظهر.

والتحسس: طلب الشيء بالحواس، فهو تفعل من الحسّ، أي اذهبوا إلى هذا الذي طلب منكم أخاكم، واحتال عليكم في أخذه فاسألوا عنه وعن مذهبه.

﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ﴾ أي: لا تقنطوا من فرج الله، قاله ابن زيد، يريد: أن المؤمن يرجو فرج الله، والكافر يقنط في الشدة، وقال قتادة والضحاك: من رحمة الله[3].

---

(١) محاسن التأويل ٨/ ٣٢٠، ٣٢١.
(٢) الدر المنثور ٤/ ٥٧٤، ٥٧٥.
(٣) الجامع لأحكام القرآن ٩/ ١٦٥.

وقرىء، بضم الراء، أي من رحمته التي يحيي بها العباد، وهذا إرشاد لهم إلى بعض ما أبهم في قوله: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦][١].

وقال القرطبي: (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) دليل على أن القنوط: من الكبائر، وهو اليأس[٢].

وأما ما ورد في السنة النبوية الشريفة فأحاديث كثيرة تبين فضيلة الرجاء منها: عن واثلة بن الأسقع أن النبي ﷺ قال: «يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء»[٣] وقال: «إن حسن الظن من حسن عبادة الله»[٤].

وقد أخرنا الأحاديث الباقية لأنها متعلقة بالآخرة وهي الأساس لأن المؤمن يرجو رحمة الله ومغفرته في الآخرة.

وقد ذكر الإمام الغزالي: أن للرجاء آثاراً يتركها على المؤمن فقال:

ومن آثاره التلذذ بدوام الإقبال على الله تعالى والتنعم بمناجاته والتلطف في التملق له، فإن هذه الأحوال لا بد وأن تظهر على كل من يرجو ملكا من الملوك أو شخصاً من الأشخاص فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى؟ فإن كان لا يظهر فليستدل به على الحرمان عن مقام الرجاء والنزول في حضيض الغرور والتمني فهذا هو البيان لحال ولما أثمره من العلم ولما استثمر منه من العمل، ويدل على إثماره لهذه الأعمال حديث زيد الخيل، إذ قال رسول الله ﷺ: «جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد؟» فقال: «كيف أصبحت؟»، قال: أصبحت أحب الخير وأهله وإذا قدرت على شيء منه سارعت إليه وأيقنت بثوابه، وإذا فاتني منه شيء حزنت عليه وحننت إليه. فقال: «هذه علامة الله فيمن يريد ولو أرادك للأخرى

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي ٤/ ٣٠٢، ٣٠٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٩/ ١٦٥.

(٣) صحيح البخاري كتاب التوحيد برقم ٧٤٠٥، ٧٥٠٥، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء برقم ٢٦٧٥ والتوبة برقم٢٦٧٥.

(٤) رواه أبو داود، كتاب الأدب برقم ٤٩٩٣.

هيأك لها ثم لا يبالي في أي أوديتها هلكت»[1]، فقد ذكر ﷺ علامة من أريد به الخير، فمن ارتجى أن يكون مراداً بالخير من غير هذه العلامات فهو مغرور[2].

وقد ذكر الإمام إبن القيم: إن الرجاء من أجل المنازل وأعلاها وأشرفها. وعليه وعلى الحب والخوف مدار السير إلى الله[3]، وقد مدح الله تعالى أهله وأثنى عليهم فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]. وفي الحديث القدسي عن النبي ﷺ ـ فيما يروي عن ربه عزَّ وجل ـ: «يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي»[4]. وروى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه، إذا ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم. وإن اقترب إلي شبراً اقتربت إليه ذراعاً وإن اقترب إليَّ ذراعاً اقتربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»[5].

وإذا كان الرجاء فضيلة أخلاقية إسلامية مطلوبة محبوبة، فلا بد أن يكون لها حكمة وفائدة وثمرة، وإبن القيم يتوسع في الحديث عن فوائد الرجاء، ومنها هذه الفوائد[6]:

١ ـ إظهار العبودية والافتقار إلى الله، والحاجة إلى ما يرجوه من ربه، ويتطلع إليه من إحسانه، وأنه لا يستغني عن فضله وإحسانه طرفة عين.

٢ ـ إن الله سبحانه وتعالى يحب من عباده أن يرجوه ويسألوه من فضله لأنه

---

(١) قال العراقي: رواه الطبراني في الكبير ١٠/ ٢٠٢ برقم ١٤١٠٤٧، وفيه أنه قال له: أنت زيد الخير. وكذا قال ابن أبي حاتم سماه النبي ﷺ الخير سمعت أبي يقول ذلك إهـ. (تخريج إحياء أحاديث علوم الدين، العراقي ٥/ ٢١٨١).

(٢) إحياء علوم الدين ٤/ ١٤٤.

(٣) مدارج السالكين ٢/ ٤١.

(٤) رواه الترمذي، كتاب الدعوات برقم ٣٥٤٠.

(٥) صحيح البخاري، كتاب التوحيد برقم ٧٤٠٥، ٧٥٠٥، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء برقم ٢٦٧٥ والتوبة ٢٦٧٥.

(٦) موسوعة أخلاق القرآن ٢/ ٢٣٧، ٢٣٨، وينظر مدارج السالكين ٢/ ٥٠، ٥١.

الملك الحق الجواد، أجود من سُئل، وأوسع من أعطى، وأحب شيء إلى الجواد أن يسأله السائلون ويرجوه الراجون.

٣ ـ الرجاء حاد يحدو الراجي في مسيرته إلى ربه، ويحثه عليها، فلولا الرجاء ما سار أحد، فإن الخوف وحده لا يحرك العبد، وإنما يحركه الحب، ويزعجه الخوف، ويحدوه الرجاء.

٤ ـ إن الرجاء يضع صاحبه على عتبة الحب، ويدخله ساحته، فكلما اشتد رجاء العبد، وحصل له ما يرجوه، ازداد حبا لله تعالى، ورضى عنه، وشكر له.

٥ ـ إن الرجاء هو الذي يبلغ بصاحبه المقام الأعلى: مقام الشكر، الذي هو خلاصة العبودية، فإذا حصل له مرجوه كان أدعى لشكره.

٦ ـ الرجاء يوجب لصاحبه المزيد من معرفة صفات الله وأسمائه الحسنى. فيتعلق بها، كما قال الحق جل جلاله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] وهذه الأسماء هي أعظم ما يدعو بها الداعي.

٧ ـ إن الله تبارك وتعالى يريد من عبده تكميل مراتب عبوديته من الذل والانكسار، والتوكل والاستعانة، والخوف والرجاء، والصبر والشكر، والرضى والإنابة، وغيرها، فالرجاء عنصر من عناصر التكملة لهذه العبودية.

٨ ـ في الرجاء انتظار وترقب وتوقع لفضل الله، وهذا يجعل القلب متعلقا على الدوام بذكر الله، موصول الالتفات إليه، ومن كان مع الله كان الله معه، ومن كان معه سعد وفاز.

وما أجمل قول من قال:

إذا اشتملت على اليأس القلوب ... وضاق لما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت ... وأرست في مكامنه الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجهاً ... ولا أغنى بحيلته اللبيب
أتاك على قنوط منك غوث ... يمن به اللطيف المستجيب
فكل الحادثات إذا تناهت ... فموصول بها الفرج القريب

وللرجاء فوائد أخرى تفيد العبد في آخرته منها:

١ ـ إن الرجاء يدفع للعبادة

قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ [الزمر: ٩].

ذكر القاسمي في تفسيره إن في الآية (استحباب قيام الليل) وفي قوله تعالى: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ ردّ على من ذم العبادة خوفاً من النار أو رجاء الجنة(١).

٢ ـ إن الرجاء يدفع للهجرة والجهاد.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٨].

قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ ﴾ تركوا مكة وعشائرهم: إذ أخرجوا من المسجد الحرام ﴿ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ ولو في الشهر الحرام للدفع عن أنفسهم ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ وإن باشروا القتال في الشهر الحرام ﴿ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ أي جنته على إيمانهم وهجرتهم وجهادهم وإنما ثبت لهم الرجاء دون الفوز بالمرجوّ للإيذان بأنهم عالمون بأن العمل غير موجب للأجر، وإنما هو على طريق التفضل منه سبحانه، لا لأن في فوزهم اشتباهاً ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ لهتكهم حرمة الشهر ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ بما تجاوز عن قتالهم مع قيام دليل الحرمة فلم يعاقبهم(٢).

٣ ـ إن الرجاء يدفع إلى العمل. قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۞ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٩ ـ ٣٠].

---

(١) محاسن التأويل ١٤/١٩٨، ١٩٩، وينظر تفسير ابن كثير ٦/ ٨١، ٨٢، الجامع لأحكام القرآن ١٥/١٥٦، جامع البيان ٢٣/ ٢٠٠، ٢٠٣.

(٢) محاسن التأويل ٣/٢٠٩، ٢١٠، وينظر تفسير ابن كثير ١/٤٤٧، ٤٥٢، وجامع البيان ٢/ ٣٥٥، ٣٥٦.

قوله: ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ أي أجراً وفضلاً لا يفنى، والتجارة استعارة لتحصيل الثواب بالطاعة. والبوار بمعنى الكساد والهلاك ترشيح للاستعارة(١).

وقال إبن كثير: (يرجون ثواباً عند الله لا بد من حصوله)(٢).

٤ ـ إن الراجين لا يطلبون تقديس الناس لهم.

قال تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧].

قال القرطبي: قوله: ﴿يَبْتَغُونَ﴾ يطلبون من الله الزلفة والقربة، ويتضرعون إلى الله تعالى في طلب الجنة، وهي الوسيلة. أعلمهم الله تعالى أن المعبودين يبتغون القربة إلى ربهم. والهاء والميم في ﴿رَبِّهِمُ﴾ تعود على العابدين أو على المعبودين أو عليهم جميعا. وأما ﴿يَدْعُونَ﴾ فعلى العابدين. و ﴿يَبْتَغُونَ﴾ على المعبودين(٣).

وكما أن للرجاء فوائد وآثار في الدنيا فأن عدم الرجاء له آثار مذمومة تؤدي بصاحبها إلى ما لا تحمد عقباه منه:

١ ـ إن عدم الرجاء يسبب الغفلة عن الله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧ ـ ٨].

قال القرطبي: (الرجاء يكون بمعنى الخوف والطمع، أي لا يخافون عقابا ولا يرجون ثوابا، وجعل لقاء العذاب والثواب لقاء الله تفخيما لهما: وقيل: يجري اللقاء على ظاهره، وهو الرؤية، أي لا يطمعون في رؤيتنا) و ﴿غَٰفِلُونَ﴾ لا يعتبرون ولا يتفكرون(٤).

وقال القاسمي: أي (فلا يتوقعون الجزاء) و ﴿غَٰفِلُونَ﴾ (أي لا يفكرون فيها)(٥).

---

(١) محاسن التأويل ١٤/ ٥٢.
(٢) تفسير إبن كثير ٥/ ٥٨١.
(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ١٨١، ١٨٢.
(٤) الجامع لأحكام القرآن ٨/ ١٩٩.
(٥) محاسن التأويل ٩/ ١٠.

٢ ـ إن عدم الرجاء يسبب الطغيان.

قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [يونس: ١١].

قال القاسمي: قوله: ﴿ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ أي في ضلالهم وشركهم يترددون[١]. والطغيان: العلو والارتفاع[٢].

٣ ـ إن عدم الرجاء يؤدي إلى الجهل بقيمة القرآن.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [يونس: ١٥].

قال القاسمي: (يخبر تعالى عن تعنت الكفار من مشركي قريش، بأنهم إذا قرأ عليهم النبي ﷺ كتاب الله وحججه الواضحة، قالوا له: أئت بقرآن غير هذا، أي جئنا بغيره من نمط آخر أو بدله إلى وضع آخر)[٣] وما ذلك إلا لأنهم ليس عندهم خوف من الله تعالى ورجاء به.

٤ ـ إن عدم الرجاء يدفع إلى التكبر والجهل بتمام الكراهية.

قال تعالى: ﴿ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢١].

قال ابن كثير: (يقول تعالى مخبراً عن تعنت الكفار في كفرهم، وعنادهم في قولهم: ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ أي بالرسالة كما تنزل على الأنبياء)[٤] وهذا من تكبرهم وكراهيتهم وعدم رجائهم لثواب الجزاء عند الله على إيمانهم بالرسالة التي جاء بها النبي ﷺ.

---

(١) محاسن التأويل ٩/ ١٢.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٨/ ٢٠٢.
(٣) محاسن التأويل ٩/ ١٤.
(٤) تفسير ابن كثير ٥/ ١٤٢.

ب ـ ثمار الرجاء في الآخرة

من أهم ما يشغل المؤمن ويهمه في حياته هو إعداده ليوم القيامة لأن ما أعده الله تعالى للناس في ذلك اليوم يجعل القلب خائفا وجلا، إلى جانب هذا ذكر سبحانه وتعالى أن رحمته أوسع وأن عاقبة الأمر للمتقين كما قال: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]. وكان مما دعا إليه النبي ﷺ هو حسن الظن بالله عز وجل فقال: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل»[١]، وفضيلة هذه العبادة تظهر ما ورد فيها في محكم التنزيل من آيات ترغب في الرغبة والطمع في رحمته سبحانه وتعالى فذكر قسما من عباده الطائعين المؤمنين لما أمر بأن لهم منه فضلا وأجراً كبيراً.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلِلَّهِ﴾ ملك ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من شيء وهو يضل من يشاء وهو أعلم بهم ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ يقول: ليجزي الذين عصوه من خلقه، فأساءوا بمعصيتهم إياه، فيثيبهم بها النار[٢].

﴿وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ يقول: وليجزي الذين أطاعوه فأحسنوا بطاعتهم إياه في الدنيا بالحسنى وهي الجنة فيثيبهم بها، وقيل عني بذلك أهل الشرك والإيمان[٣].

وقال القرطبي: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي وعاقبة أمر الخلق أن يكون فيهم حسن ومحسن، فللمسيء السوءى وهي جهنم، وللمحسن الحسنى وهي الجنة[٤].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب صفة الجنة ونعيمها برقم ٢٨٧٧، سنن أبي داود، كتاب الجنائز، برقم ٣١١٣.

(٢) جامع البيان ٢٧/ ٦٤.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٦٩.

وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٥]. قوله: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ أي في الجنة من رؤيته، والفوز بكرامته ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ وهو الموت ﴿لَأٓتٍۚ﴾ أي فليبادر ما يصدق رجاءه ويحقق أمله من الثبات والتواصي بالحق والصبر والرغبة فيما عنده تعالى. أو المعنى: من كان يرجو لقاء الله، من كل من صدق في إيمانه، وأخلص في يقينه، فاعلم أن أجل الله لآت. وهو الوقت الذي جعله أجلا وغاية لظهور النصر والفتح وعلو الحق وزهوق الباطل. أي فلا يستبطئنه. فإنه آت بوعد الله الحق وقوله الصدق(١).

وقال الطبري: من كان يرجو الله يوم لقائه، ويطمع في ثوابه، فإن أجل الله الذي أجله لبعث خلقه للجزاء والعقاب لآت قريب(٢).

وقال ابن كثير: يقول تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ أي في الدار الآخرة، وعمل الصالحات ورجا ما عند الله من الثواب الجزيل، فأن الله سيحقق له رجاءه ويوفيه عمله كاملاً موفراً، فأن ذلك كائن لا محالة لأنه سميع الدعاء بصير بكل الكائنات، ولهذا قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍۚ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

قوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍۚ﴾ يقول: ورحمتي عمت خلقي كلهم، والمراد به ورحمتي وسعت المؤمنين بي من أمة محمد ﷺ، واستشهد بالذي بعد من الكلام، وهو قوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ...﴾ الآية(٤). قال أبو بكر الهذلي: فلما نزلت: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍۚ﴾ قال إبليس: أنا من الشيء، فنزعها الله من إبليس، قال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. فقال اليهود: نحن نتقي ونؤتي الزكاة، ونؤمن بآيات ربنا، فنزعها الله

---

(١) محاسن التأويل ١٣/ ١٣٧، ١٣٨.
(٢) جامع البيان ٢٠/ ١٣٠.
(٣) تفسير ابن كثير ٥/ ٣٠٨.
(٤) جامع البيان ١٩/ ٧٩.

من اليهود، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾... الآيات كلها، قال: فنزعها الله من إبليس ومن اليهود، وجعلها لهذه الأمة(١).

ورجاء العبد في الآخرة هو الطمع بمغفرة الله ورضوانه ودخول الجنة والقرب من مراتب الأنبياء والصالحين فما على المرء المسلم المؤدي للفرائض إلا حسن الظن بالله عز وجل لأن الله تعالى قال: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

فعليك يا أخي المذنب أن تتوب إلى الله تعالى توبة ناصحة مطيعة لله سبحانه وتعالى لأن الله إذا علم من المستغفر صدقا غفرِ له ذنبه.

وحسبك أنه سبحانه وتعالى يفتح لك باب توبته على مصراعيه، ويرحب بعودتك إليه مهما كنت عاصيا ما دمت لا تشرك به سبحانه وتعالى شيئا. واعلم أن الله سبحانه وتعالى إن عدت إليه واصطلحت معه سيغفر لك جميع ذنوبك وأخطائك بل سيجعل لك مكانها حسنات كما أشار إلى هذا سبحانه وتعالى في قوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠](٢).

وقد وردت في السنة المطهرة أحاديث كثيرة تبين فضيلة الرجاء في الآخرة منها:

أن النبي ﷺ قال: «إذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقى الله وليس عليه شاهد بذنب»(٣).

روى الإمام أحمد من حديث عبادة بن الصامت وفضالة بن عبيد رضي الله عنهما معاً أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة وفرغ الله تعالى من قضاء الخلق فيبقى رجلان فيؤمر بهما إلى النار فيلتفت أحدهما فيقول الجبار تعالى ردوه فيردونه فيقول له لم ألتفت فيقول كنت أرجو أن تدخلني الجنة فيؤمر به إلى الجنة فيقول له لقد أعطاني الله عز وجل حتى لو أطعمت أهل الجنة ما نقص ما

---

(١) جامع البيان ١٩/٧٩.

(٢) من وصايا الرسول ﷺ ١/٥٦٨.

(٣) من وصايا الرسول ﷺ ١/٥٦٨. (لم أجده في كتب السنن المعتمدة).

عندي شيئا»[1].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الحمى من فيح جهنم وهي حظ المؤمن من النار»[2].

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يقول: اللهم إني أسألك تمام النعمة، فقال: «وهل تدري ما تمام النعمة؟» قال: لا قال: «دخول الجنة»[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول ﷺ قال: «أن عبداً أذنب ذنباً فقال: أي رب أذنبت ذنباً فاغفر لي فيقول الله عز وجل للملائكة: إنظروا إلى عبدي أذنب ذنبا فعلم أن له رباً يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب أشهدكم أني قد غفرت له»[4].

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إني اختبأت شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً»[5]. من حديث: «لكل نبي دعوة يدعو بها فأريد أن أختبىء دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة».

وهناك آثار تترتب على العبد لعدم رجائه وهي:

١ ـ إن عدم الرجاء يسبب عدم الاعتبار:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ [الفرقان: ٤٠].

قال الإمام الطبري: قوله: ﴿ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ يعني أنهم لا يوقنون بالعقاب والثواب[6].

---

(١) مسند الإمام أحمد، كتاب باقي مسند الأنصار برقم ٢٢٢٨٧ ، ٢٣٤٤٤.
(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق برقم ٣٢٦١، ٣٢٦٣، ٣٢٦٤.
(٣) سنن الترمذي كتاب الدعوات برقم ٣٥٢٧.
(٤) صحيح مسلم كتاب التوبة برقم ٢٧٥٨.
(٥) صحيح مسلم، كتاب الإيمان برقم ١٩٩.
(٦) جامع البيان ١٩/ ١٦، وينظر الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٢٥، محاسن التأويل ١٢/ ٢٦٢.

٢ ـ إن عدم الرجاء يسبب القنوط من رحمة الله.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وسوف نبحث هذا في الباب الثالث من فصل الإفراط في الخوف.

٣ ـ إن عدم الرجاء سبب من أسباب دخول النار.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [النبأ: ٢٧].

يقول القاسمي: (قال القاشانّي: أي ذلك العذاب، لأنهم كانوا موصوفين بهذه الرذائل من عدم توقع المكافآت والتكذيب بالآيات. أي لفساد العمل والعلم. فلم يعملوا صالحاً رجاء الجزاء، ولم يعلموا علما فيصدقوا بالآيات)[١].

(١) محاسن التأويل ١٧/ ٣٢، وينظر جامع البيان ٣٠/ ١٥، الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١١٨، تفسير ابن كثير ٧/ ٢٠٠.

الباب الثالث

الجمع بين الخوف والرجاء

وفيه فصلان

الفصل الأول : الإفراط والتفريط في الخوف أو في الرجاء

الفصل الثاني: التوازن بين الخوف والرجاء

الفصل الأول
الإفراط والتفريط في الخوف أو في الرجاء

ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول: الإفراط والتفريط في الخوف

المبحث الثاني: الإفراط والتفريط في الرجاء

المبحث الأول
الإفراط في الخوف

عرفنا الخوف فيما سبق بأنه استشعار بالعقوبة يحول دونه ارتكاب السيئات أو الخوض في المحرمات مع جعل إرضاء الله سبحانه وتعالى الغاية التي يسعى إليها، من هذا التعريف يمكن القول إن أي خلل في الخوف يؤدي إلى مجاوزة الحد وإذا جاوز المسلم حدود الخوف فإنه يسبب في ذلك إفراط أو تفريط بالخوف، ولذا فإن العلماء قالوا أن الخوف:

(صفة تحتاج إلى (الوسطية) أي التوسط والاعتدال، إذ لا يليق أن يقل الخوف عند الإنسان حتى يقرب من درجة الغلظة أو الاستخفاف، ولا يجوز أن يسرف فيه صاحبه حتى يقرب من اليأس أو القنوط)[1].

وهذا الخوف الذي سماه الشرباصي بـ(الوسطية) هو الخوف القائم على المراقبة كما ذكرنا مراقبة أحوال العبد وخوفه من الله تعالى من عذابه وحسابه وعقابه

---

(١) موسوعة أخلاق القرآن ١/ ١٦١.

ومن يوم القيامة وما إلى ذلك من المخاوف التي ذكرها الله لنا في القرآن الكريم.

وهذا الخوف إذا بالغ المسلم فيه فإنه ينقلب من خوف محمود إلى خوف مذموم ذمه الله تعالى في كتابه وحذر عباده منه مثل:

١ ـ القنوط

القنوط من الألفاظ الدالة على اليأس، يقال: قَنَطَ يَقْنِطُ ويَقْنُطُ قُنوطاً، وقَنِطَ قَنَطا وهو قانط: أي يَئِسَ[١].

ورد القنوط في ست آيات من القرآن الكريم بصيغ مختلفة[٢].

وقد ورد في القرآن النهي عن القنوط في آيتين فقال تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

قوله: ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾.

يعني لا تيأسوا من رحمة الله[٣]، ومغفرته بفعل سبب يمحو أثر الإسراف[٤].

وقد ذكر إبن كثير في تفسيره[٥] أحاديث استدل بها على نفي القنوط منها:

قال الإمام أحمد: حدثنا شريح بن النعمان، ثنا أبو عبيدة عبد المؤمن بن عبيد الله السدي، حدثني حسن السدوسي قال: دخلت على أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والذي نفسي بيده لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض ثم استغفرتم الله تعالى لغفر لكم، والذي نفس محمد بيده لو لم تخطئوا لجاء الله عز وجل بقوم يخطئون ثم يستغفرون الله فيغفر لهم»[٦].

---

(١) مقاييس اللغة ٥/ ٣٢، والصحاح ٣/ ١١٥٥، واللسان ٧/ ٣٧٦ (قنط).

(٢) الألفاظ النفسية في القرآن الكريم ٢٠٨، ٢٠٩.

(٣) جامع البيان ٢٤/ ١٤، وينظر الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ١٧٤، تفسير إبن كثير ٦/ ١٠٠-١٠٢.

(٤) محاسن التأويل ١٤/ ٢١٣، ٢١٤.

(٥) تفسير إبن كثير ٦/ ١٠٢- ١٠٤.

(٦) مسند الإمام أحمد كتاب باقي مسند المكثرين برقم ١٣٠٨١.

عن إبن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «كفارة الذنب الندامة»[1].

وروى إبن أبي حاتم عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: إن إبليس لعنه الله تعالى قال: يا رب إنك أخرجتني من الجنة من اجل آدم وإني لا أستطيع إلا بسلطانك قال فأنت مسلط، قال: يا رب زدني، قال: لا يولد له ولد إلا ولد لك مثله، قال: يا رب زدني، قال: إجعل صدورهم مساكن لهم وتجرون منهم مجرى الدم، قال: يا رب زدني، قال: أجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأحوال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً، فقال آدم عليه الصلاة والسلام: يا رب قد سلطته عليّ وإني لا امتنع إلا بك، قال تبارك وتعالى: لا يولد لك ولد إلا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء، قال: يارب زدني، قال: الحسنة عشر أو أزيد والسيئة واحدة أو أمحوها، قال: يا رب زدني، قال: باب التوبة مفتوح ما كان الروح في الجسد، قال: يا رب زدني قال: ﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ بَشَّرْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ ۞ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٥ ـ ٥٦].

فورود هذه الآيات التي تنهى عن القنوط يدل على تحريمه.

(والقنوط من رحمة الله خطيئة فادحة لأنه يعني تصور إله عاجز عن المغفرة أو بخيل بالرحمة ـ حاشا ربنا سبحانه ـ كما أنه أعني (القنوط) أكبر عائق لانطلاق النفس من إسارها، وإذا كانت قيمة التوبة أنها تحررك من أصفادك العائقة وأغلالك الموبقة. فالقنوط لا ريب من أخطر هذه الأصفاد وتلك الأغلال. ومن ثمّ كان خطيئة تحتاج إلى التوبة منها)[3].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ

(١) مسند الإمام أحمد كتاب مسند بني هاشم برقم ٢٦١٨.
(٢) رواه إبن أبي حاتم (تفسير ابن كثير ٦/ ١٠٣).
(٣) كما تحدث الرسول ٢/ ٥٩، ٦٠.

﴿يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦]. قال إبن كثير: هذا إنكار على الإنسان من حيث هو إلا من عصمه الله ووفقه، فإن الإنسان إذا أصابته نعمة بطر[١].

وقال القرطبي: أي ييأسون من الرحمة والفرج، قاله الجمهور[٢].

وأوضح الحارث المحاسبي أن القنوط معصية تضاف إلى معاصيه فقال:

وعلى العبد المذنب أن يتوب من المعاصي، وإن عظمت ذنوبه وكثرت، ولا يخاف خوفا يقنط معه حتى يقول: لا يغفر لي، ولا يقبل توبتي، فيقيم على المعصية خوفا ألا يقبل له توبة، فيزيده قنوطه مُقاما على المعاصي، فيزداد بقنوطه معصية إلى معاصيه، لأن القنوط معصية لله عز وجل، يمنع من التوبة عن المعاصي ويزداد به العاصي عصيانا، كما قال إبن مسعود: (الكبائر أربع، أحدها القنوط من رحمة الله عز وجل)[٣].

٢ ـ اليأس

اليأس: نقيض الرجاء، يقال: يَئِسَ ييأس، والمصدر: اليأْسُ واليآسةُ واليأس، وقد استيأس وأيأسته وإنه ليائسُ ويَئِسُ ويؤوسُ ويَؤس، والجمع يُؤُس[٤].

ورد اليأس في القرآن الكريم في (١٣) آية مذموما منه ما ورد على لسان نبي الله يعقوب عليه السلام في نصحه لبنيه، وهو قوله: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]. ومعنى: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ أي لا تقنطوا من رحمته سبحانه أو من فرجه وتنفيسه[٥].

وذكر الرازي[٦]: (أن اليأس من رحمة الله لا يحصل إلا إذا اعتقد الإنسان إن الإله غير قادر على الكمال، أو غير عالم بجميع المعلومات، أو ليس بكريم بل هو

---

(١) تفسير إبن كثير ٥/ ٣٦٢، وينظر محاسن التأويل ٣/ ١٧٩، ١٨٠.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٢٤، وينظر جامع البيان ٢١/ ٤٤.
(٣) الرعاية لحقوق الله، الحارث المحاسبي ٤٣٤.
(٤) مقايس اللغة ٦/ ١٥٣، والصحاح ٣/ ٩٩٢، واللسان ٦/ ٢٥٩، ٢٦٠ (يأس).
(٥) مجمع البيان ٥/ ٢٥٨، روح المعاني ٣/ ٤٩.
(٦) تفسير الفخر الرازي ١٨/ ١٩٩.

بخيل. وكل واحد من هذه الثلاثة يوجب الكفر).

وقال تعالى: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ﴾ يقول: لا يقنط من فرجه ورحمته، ويقطع رجاءه منه ﴿إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ يعني: القوم الذين يجحدون قدرته على ما شاء تكوينه[١]. أي الكافرون بالله ورحمته، وقدرته على إضافة الرّوْح، بعد مضيّ المدة في الشدة، وسنته في إضافة اليسر مع العسر، لا سيما في حق من أحسن الظن به[٢].

وأسند اليأس من رحمة الله في عدد من الآيات إلى الكافرين، الذين تغلغل اليأس في نفوسهم بسبب كفرهم بالقرآن والبعث[٣].

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي﴾ [العنكبوت: ٢٣]. قال الآلوسي[٤]: (أي ييأسون منها يوم القيامة على أنه وعيد، وإلا فالكافر لا يوصف باليأس في الدنيا، لأنه لا رجاء له، وصيغة الماضي للدلالة على التحقق)، كما ذكر أنه (جوّز أن يكون المراد إظهار مباينة حالهم وحال المؤمنين، لأن حال المؤمن الرجاء والخشية، وحال الكافر الاغترار واليأس فهو لا يخطر بباله رجاء ولا خوف... فكأنه تنصيص على كفرهم وتعريف لحالهم.

الفرق بين القنوط واليأس

القنوط واليأس من رحمة الله (رذيلة مردية من رذائل المنحرفين عن الصراط)[٥].

ولا يوجد بينهما فرق كبير لأنهما يدلا في معناها على شيء واحد ألا وهو اليأس من رحمة الله.

---

(١) جامع البيان ١٣/٤٨،٤٩.
(٢) محاسن التأويل ٩/٢٦٩.
(٣) الألفاظ النفسية في القرآن الكريم ٢٠٥.
(٤) روح المعاني ٢٠/١٤٩.
(٥) موسوعة أخلاق القرآن ٢/ ٢٣٥.

وقد ورد اقتران القنوط في آية باليأس، فقال تعالى واصفاً طبيعة الإنسان: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ [فصلت: ٤٩].

يقول الإمام الطبري: قوله: ﴿فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ يقول: (فإنه ذو يأس من روح الله وفرجه، قنوط من رحمته، ومن أن يكشف ذلك الشر النازل به عنه)[1].

والإثنان مذمومان لأنهما يكشفان عن يأس مما عند الله ولقد ذمهما الله تعالى (وحمل القرآن على الإنسان الجاحد الضال بسبب يأسه وقنوطه، فقال في سورة هود: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ﴾ [هود: ٩]. أي أنه في هذه الحالة شديد اليأس من الرحمة، قطوع الرجاء من عودة تلك النعمة، كثير الكفران لغيرها من النعم التي لا يزال يتمتع بها. فضلاً عما سلف منها، فهو يجمع بين اليأس مما نزع منه، والكفر بما بقي به له، لحرمانه من فضيلتي الصبر والشكر)[2].

والمؤمن الذي هداه الله تعالى ورباه القرآن، فإنه يعتصم بحبل الله القوي المتين، ويستضيء بهدي ربه المبين، فيضل متمسكاً بعروة الأمل والرجاء، إن نالته نعمة شكر، وإن ابتلاه الله احتمل وصبر، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب[3].

وأما التفريط في الخوف فهو يشمل الغرور في الحياة الدنيا والطمن والأمن والأمل وسوف نبحث هذا في المبحث الثاني من هذا الفصل.

---

(١) جامع البيان ٢٥/٢، وينظر الجامع لأحكام القرآن ١٥/٢٤٢، ٢٤٣، محاسن التأويل ١٤/٢٨٣، تفسير ابن كثير ٦/ ١٨٢، ١٨٣.
(٢) موسوعة أخلاق القرآن ٢/ ٢٣٦.
(٣) المصدر نفسه.

المبحث الثاني
الإفراط والتفريط في الرجاء

الرجاء نعمة فضيلة من نعم الله سبحانه وتعالى على المؤمنين يأملون فيها مغفرة الله ورحمته ورضوانه، وهذه النعمة تحتاج إلى أسباب وهذه الأسباب هي الموجبة للرجاء، فالذي يخاف الله تعالى ويؤدي ما أمر ويجتنب ما نهى يرجو رضاء الله تعالى وحسن العاقبة كمن يبذر البذر في الأرض الخصبة ويسقيها بالماء ويرجو الحصاد، فلذا كان هذا هو الرجاء الذي أمر الله به واشترط العلماء أن لا يخرج عن حد الفضيلة فقالوا:

(ولا يليق بالعاقل أن يتوسع بالرجاء فيخرج به عن حد الفضيلة إلى أن يكون لهواً صارفاً عن الإيمان بالله والاستجابة له، فإن الحق جل جلاله يقول في شأن الكافرين: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٣]. أي اترك هؤلاء الكافرين، لا يهمهم إلا أن يأكلوا ويتمتعوا بشهواتهم، ويشغلهم الأمل الواسع عن الاتجاه إلى الإيمان بالله وطاعته. فسوف يعلمون العاقبة الوخيمة لذلك، يوم يلقون الله فيعاقبهم على كفرهم، وحينئذ يعلمون علم اليقين أنهم كانوا في باطل وضلال)[١].

وكما أن للرجاء شروطا ينبغي مراعاتها والأخذ بها فإن له حدوداً وجب الوقوف عندها ومن هذا يمكن تعريف الرجاء المذموم كما قلنا: إنه الرجاء الذي يفقد أحد الشروط الواجب توفرها لكي يكون محموداً، فإذا أخل بواحد من هذه الشروط فإن الرجاء ينقلب إلى رجاء مذموم.

ومن هذه الأمور التي تخرج الرجاء المحمود عن فضيلته:

١ ـ الطمأنينة

الطمأنينة: السّكون، يقال: اطمأنّ الرجلُ اطمئنانا وطمأنينة، أي سكن وهو مُطمَئِنٌ إلى كذا، وذاك مطمأن إليه[٢]. ويقال من المجاز: في فلان وقارٌ وطمأنينة

(١) موسوعة أخلاق القرآن ٢٣٤، ٢٣٥.

(٢) الصحاح ٦/ ٢١٥٨، واللسان ١٣/ ٢٦٨ (طمن).

وَتَطَامَن، واطمَأنّ عمّا كان يفعله: تركه، وأرض مطمئنة ومتطامنة: منخفضة، واطمأن بالموقع: أقام به واتخذه وطنا(١).

وردت الطمأنينة في القرآن الكريم في (١٣) موضعاً وبعدة صيغ.

وأسندت (الطمأنينة) في سبع آيات إلى قلوب المؤمنين معبرة عن سكونها، ومن ثم عن ثبات أصحابها، كالذي ورد في أهل بدر. الذين أنزل الله عليهم مدداً من الملائكة يكونون سنداً لهم واطمئناناً ضد أعدائهم، فقال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٢٦](٢).

وكما أسندت الطمأنينة في القرآن إلى المؤمنين على سبيل المدح لهم والثناء عليهم، أسندت كذلك إلى الكافرين على سبيل الازدراء بهم وإظهار النقص في تفكيرهم وسلوكهم، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٧].

وحقيقة اطمئنان الكافرين بالدنيا، هي أن تسكن نفوسهم إليها، ويصرفوا هممهم في تحصيل منافعها، ولا يسعوا لتحصيل ما ينفع في الحياة الآخرة، لأن السكون عند الشيء يقتضي عدم التحرك لغيره(٣).

ويلحظ أن التعبير عن طمأنينة الكافرين ورد بصيغة الفعل الماضي (اطمأنوا) ولعل السبب في اختيار هذه الصيغة هو للدلالة على التحقق والتقرير(٤).

وتحدث القرآن عن نوع آخر مذموم من الطمأنينة، يقوم على الاغترار والانخداع، فقال تعالى واصفاً حال قوم مضطربي الإيمان، لا ثبات لهم في عقيدتهم:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾[الحج: ١١].

فالطمأنينة في هذه الآية ليست ثابتة مستقرة، وإنما هي صورة طمأنينة وقتية

---

(١) أساس البلاغة ٣٩٦، والمصباح المنير ٢/ ٥١٧ (طمن).
(٢) الألفاظ النفسية في القرآن الكريم ١١٧، ١١٨.
(٣) تفسير التحرير والتنوير ١١/ ١٠٠.
(٤) إرشاد العقل السليم ٢/ ١٢٢، وروح المعاني ١١/ ٧٣.

مضطربة قلقة[1]، ولذلك ذمّها الله تعالى وأسندها إلى المنافقين المذبذبين[2].

كما اقترن (الاطمئنان) في آية أيضاً بالأمن على سبيل الإسناد المجازي، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ [النحل: ١١٢]. فجعل الاطمئنان للقرية، وهو في الحقيقة لأهلها، على وفق أسلوب القرآن في المجاز المرسل، كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢].

لذلك فسر الطبرسي [3] قوله: ﴿قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ بمعنى (يأمن فيها أهلها لا يُغار عليهم).

والتفت المفسرون إلى وجود فرق دلالي بين الأمن والطمأنينة حيث فسروا اللفظتين بعدة تأويلات، فذهب الزمخشري[4]، وأبو السعود[5]، والشوكاني [6] إلى إن في قوله تعالى: ﴿ءَامِنَةً﴾ دلالة على عدم الخوف، وفي قوله: ﴿مُّطْمَئِنَّةً﴾ دلالة على عدم الانزعاج، واقتران الطمأنينة بالأمن يقابل اقتران الانزعاج والقلق بالخوف وقال الطبرسي:[7] (آمنة: أي ذات أمن يأمن فيها أهلها لا يغار عليهم ومطمئنة: قارة ساكنة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال عنها بخوف أو ضيق).

وذهب الرازي[8] إلى أن في قوله: ﴿ءَامِنَةً﴾ إشارة إلى الأمن، وفي قوله: ﴿مُّطْمَئِنَّةً﴾ إشارة إلى الصحة، وذلك أن هواء ذلك البلد لما كان ملائماً لأمزجتهم اطمأنوا إليه واستقروا فيه. وأما أبو حيان[9] فذهب إلى أن مجيء الاطمئنان في الآية

---

(١) موسوعة أخلاق القرآن ١/ ٨٥.
(٢) الألفاظ النفسية في القرآن الكريم ١٢٠.
(٣) مجمع البيان ٦/ ٣٨٩.
(٤) الكشاف ٢/ ٦٣٨.
(٥) إرشاد العقل السليم ٥/ ١٤٥.
(٦) فتح القدير، الشوكاني ٣/ ١٩٩.
(٧) مجمع البيان ٦/ ٣٨٩.
(٨) تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٢٨.
(٩) البحر المحيط ٥/ ٥٤٢.

يدل على زيادة في الأمن. ويبدو أن الرأي الأول أقوى الآراء وأقربها[1].

٢ ـ الأمن

الأمن: ضد الخوف، يقال أمِنَ فلان يأمن أمْناً وأمَناً، والمأمن: موضع الأمن، والأمَنَة: من الأمن، اسم موضوع من أمِنْتُ، ويقال: رجل أُمَنَةٌ وأَمَنَةٌ للذي يثق بكل أحد، والأُمَنَةُ أيضا: الذي يأمَنُهُ الناس ولا يخافون غائِلَته، والأمان: إعطاء الأمَنة، والأمانة: نقيض الخيانة، وقد أمِنه وأمّنَه وأتمنه واستأمنه، ويقال: رجل أمّان إذا كان أميناً[2].

ذُكر الأمن في القرآن في نحو (٦٣) موضعاً بصيغ مختلفة[3].

وقابل القرآن ـ أربع آيات ـ الأمن مع الخوف، وذلك في قوله تعالى في الكافرين: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ [النساء: ٨٣].

وورد ﴿الْأَمْنِ﴾ في القرآن مسندا إلى المؤمنين الذين وعدهم الله بالأمن في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥]. وفي الآخرة كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [فصلت: ٤٠].

كما ورد الوعد بالأمن للمؤمنين عاما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وورد ﴿الْأَمْنُ﴾ كذلك مسنداً إلى الكافرين في سياق الاستفهام الإنكاري، كما في قوله تعالى منكراً على الكافرين أمنهم من عقابه:

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٩٧ ـ ٩٩].

---

(١) الألفاظ النفسية في القرآن الكريم ١٢١.
(٢) العين ٨/٣٨٨، ٣٨٩، مقاييس اللغة ١/١٣٣، ١٣٤، المفردات ٢٥، ٢٦، أساس البلاغة ٢١، ٢٢، الصحاح ٥/ ٢٠٧١، ٢٠٧٢، اللسان ١٣/ ٢١، ٢٢ (أمن).
(٣) الألفاظ النفسية في القرآن الكريم ١٠٩.

وقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦].

وقد ذكر القزويني[١]: أن الإنكار يكون إما للتوبيخ بمعنى: ما كان ينبغي أن يكون أو لا ينبغي أن يكون، أو للتكذيب بمعنى: لم يكن[٢].

وذكر الرازي[٣]: أن المقصود من الاستفهام في الآية الأولى الإنكار، وهو (أنه تعالى خوفهم بنزول ذلك العذاب عليهم في الوقت الذي يكونون فيه في غاية الغفلة، وهو حال النوم بالليل، وحال الضحى بالنهار، لأنه الوقت الذي يغلب على المرء التشاغل باللذات فيه).

ويلحظ أن تكرار الاستفهام بـ (أَمِنَ) في هذه الآية فيه من التخويف والترهيب ما لا يخفى، لذلك جاء ملائماً لجو الآية وواقعاً منه في غاية حُسْن الموقع[٤].

٣ ـ الأمل

الأمل مذموم كما دلت عليه هذه الآية في قوله تعالى:

﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [الحجر: ٣].

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: «ذر يا محمد هؤلاء المشركين يأكلوا في هذه الدنيا ما هم آكلوه ويتمتعوا من لذاتها وشهواتها فيها إلى أجلهم الذي أجلت لهم ويلههم الأمل عن الأخذ بحظهم من طاعة الله فيها وتزودهم لمعادهم منها بما يقربهم من ربهم فسوف يعلمون غداً إذا وردوا عليه وقد هلكوا على كفرهم بالله وشركهم حين يعاينون عذاب الله إنهم كانوا من تمتعهم بما كانوا يتمتعون فيها من اللذات والشهوات كانوا في خسار وتباب»[٥].

وقال الآلوسي: قوله: (ذرهم) أي اتركهم (يأكلوا ويتمتعوا) بدنياهم، وفي تقديم الأكل إيذان بأن تمتعهم إنما هو من قبيل تمتع البهائم بالمآكل والمشارب

(١) الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني ١/ ٢٣٦.
(٢) الألفاظ النفسية في القرآن الكريم ١١٢.
(٣) تفسير الفخر الرازي ١٤/ ١٨٥.
(٤) خصائص التراكيب، الدكتور محمد أبو موسى ٢٣١.
(٥) جامع البيان ١٤/ ٥.

(ويلههم الأمل) ويشغلهم التوقع لطول الأعمار وبلوغ الأوطار واستقامة الأحوال وأن لا يلقوا إلا خيراً في العاقبة والمآل عن الإيمان والطاعة أو التفكر فيما يصيرون إليه (فسوف يعلمون) سوء صنيعهم إذا عاينوا جزاءه ووخامة عاقبته أو حقيقة الحال التي ألجأتهم إلى التمني)[1].

٤ ـ الغرور

ومن صور الرجاء المذموم الغرور وهو على أشكال منها.

أ ـ الإعجاب بالأعمال

أخبر سبحانه وتعالى أن قسما من الناس عملوا أعمالاً في نظرهم عبادة للّه وحسبوا أنهم بصنيعهم هذا يحسنون صنعا وأخبر تعالى أن هذه الأعمال لا تغني شيئا لأنها مبنية على غير هدى.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا * ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٦].

يقول إبن كثير: (الآية لا تشمل اليهود والنصارى وغيرهم كما ذكر غير واحد من المفسرين، بل هي أعم من هذا، فإن هذه الآية مكية قبل خطاب اليهود والنصارى وقبل وجود الخوارج بالكلية، وإنما هي عامة في كل من عَبَد الله على غير طريقة مرضية يحسب أنه مصيب فيها، وأن عمله مقبول وهو مخطىء وعمله مردود، كما قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ * تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية: ٢-٤]. وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾. [الفرقان: ٢٣] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩]. وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم﴾ أي نخبركم ﴿بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ ثم فسرهم، فقال: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي عملوا أعمالاً باطلة غير شريعة مشروعة مرضية مقبولة ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ أي يعتقدون أنهم على شيء

---

(١) روح المعاني ٩/١٤.

وأنهم مقبولون محبوبون)[1].

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ﴾ أي جحدوا آيات الله في الدنيا وبراهينه التي أقام على وحدانيته وصدق رسله، وكذبوا بالدار الآخرة ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ أي لا نثقل موازينهم لأنها خالية عن الخير[2].

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة». وقال: «إن شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا»[3].

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ﴾ أي إنما جازيناهم بهذا الجزاء بسبب كفرهم واتخاذهم آيات الله ورسله هزوا، استهزؤوا بهم وكذبوهم أشد التكذيب[4].

ب ـ الإغترار بالدنيا وما فيها من إكرام وإكثار الأولاد والأموال

وهذا النوع من الغرور هو (ما اغتر به الكافرون عن الله لما رأوا من فعل الله بهم من إكرامهم لهم بالدنيا، ورفعتها وسعتها، فظنوا بذلك أن ذلك لم يكن من الله إلا لمنزلتهم عنده، وأنهم أحق بالخير من غيرهم)[5].

وقد قال المحاسبي: أنهم على وجهين:

(فرقة منهم شكّاك في الآخرة، يقولون في أنفسهم وبألسنتهم: إن يكن لله معاد فنحن أحق به من غيرنا، ولنا فيه النصيب الأوفر، اغتراراً بما ظهر لهم من خير الدنيا وكرامته. ألا تسمع ما حكى الله عز وجل عن الرجلين الذين تحاورا؟ فقال الكافر منهما للمؤمن المحاور له: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦]. أي: لا أوقن بأن لله عز وجل بعثاً وثواباً وعقاباً، فإن كان لي عنده خيراً مما أعطاني في الدنيا، غرة بالله، وظناً أن الله لم يكرمه في الدنيا إلا

(١) تفسير إبن كثير ٤/٤٢٩، ٤٣٠، وينظر جامع البيان ١٦/٣٢ ـ ٣٥.
(٢) تفسير ابن كثير ٤/٤٢٩، ٤٣٠.
(٣) صحيح البخاري. كتاب تفسير القرآن برقم ٤٧٢٩.
(٤) تفسير ابن كثير ٤/٤٣١.
(٥) الرعاية لحقوق الله ٤٢٨.

وهو كريم عليه. فإن كان لله بعث ودار فيها ثواب وعقاب، فسيجيره من العقاب، ويكرمه في الآخرة كما أجاره من الفقر والضيق في الدنيا، فحاور المؤمنَ الكفارُ بذلك)[١].

ومن صور الغرور ما وصف الله عز وجل لنا قول العاص بن وائل[٢]، إذ يقول كما حكاه القرآن الكريم: ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ قال الله عز وجل: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾[مريم: ٧٧ ـ ٧٨][٣].

روي عن خباب بن الأرت أنه قال: كنت رجلاً قيناً[٤] وكان لي على العاص بن وائل دَيْن، فجئت أتقاضاه فلم يقضين، فقلت: إني آخذه منك في الآخرة[٥]، فقال لي: إذا صرت إلى الآخرة فإن لي هناك مالاً وولداً، فأقضيك منه فأنزل الله عز وجل: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧]. فاغتر الكافر بالله عز وجل، وظن أن الله عز وجل لا يعذبه في الآخرة[٦].

واغتروا أيضاً بكثرة الأموال والأولاد فقالوا كما حكاه لنا القرآن الكريم: ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٥].

قال إبن كثير: (أي افتخروا بكثرة الأموال والأولاد، واعتقدوا أن ذلك دليل على محبة الله تعالى لهم واعتنائه بهم، وأنه ما كان ليعطيهم هذا في الدنيا ثم يعذبهم في الآخرة وهيهات لهم ذلك)[٧].

وقالوا: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١].

---

(١) الرعاية لحقوق الله ٤٢٨.
(٢) هو والد عمرو بن العاص رضي الله عنه.
(٣) الرعاية لحقوق الله ٤٢٩.
(٤) القين هو الحداد.
(٥) في رواية أن العاص قال لخباب: ما لك لقد كنت خفيف الطلب؟ فقال خباب: كنت على دينك، والآن أنا على دين الإسلام فما أنا بمفارقك حتى آخذ حقي.
(٦) الرعاية لحقوق الله ٤٢٩، وينظر جامع البيان ١٦/ ١٢٠ ـ ١٢٢.
(٧) تفسير ابن كثير ٥/ ٥٥٥ ـ ٥٥٧، وينظر جامع البيان ٢٢/ ٩٩، الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ١٩٥، محاسن التأويل ١٤/ ٢٨.

قال إبن كثير: (وما ذاك إلا لأنهم عند أنفسهم يعتقدون أن لهم عند الله وجاهة وله بهم عناية وقد غلطوا في ذلك غلطاً فاحشاً وأخطأوا خطأ بيِّناً)[1].

(ويغتر الكافرون بنعم الله عز وجل في الدنيا، فلا يرون أن الله عز وجل أخذهم بعقوبة في الدنيا، وأنه إنما أعطاهم ما أعطاهم من الدنيا لما علم منهم الخير، وأنهم عنده بالمنزلة العظمى)[2].

ومثال ذلك ما أخبر به سبحانه وتعالى في كتابه عن مقال قارون وموسى عليه السلام، يخوِّفه بأس الله عز وجل فقال: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨]. قال قتادة على خير عندي، قال الله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ [القصص: ٧٨]، أي لم يمنع الله عز وجل ما أعطاهم من نعيم الدنيا إذ لم يطيعوه، أن يعذبهم[3].

وقد يعتري ذلك كثيراً من المسلمين، حيث يخيّل إليه إذا سمع وَسْع الله عليه في الرزق، فإنه لعمل صالح عمله، فكوفىء به، وأن الله تعالى يحبه، فلذلك وسع عليه، كما وصف به ابن آدم، فقال: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ [الفجر: ١٥]. فقد شارك المسلمُ المغترّ بذلك الذي يظنّ أن ذلك كرامة له من الله عز وجل، وأنه بمنزلة عند الله، (شارك) الكافرين في اغترارهم، وإن لم يشك في البعث والحساب[4].

والغرة من عوام المسلمين وعصاتهم هي خدعة من النفس والعدو، يذكرون الرجاء والجود والكرم، يطيبون بذلك أنفسهم، فيزدادون بذلك جرأة على الذنوب، فيقيمون على معاصي الله، يظنون أن ذلك رجاء منهم، كما قال وهب بن منبه لإبنه: يا بني إياك والغرة بالله عز وجل، فإن الغرة بالله عز وجل المقام على معصيته وتمني مغفرته.

---

(١) تفسير إبن كثير ٦/٢٧٨، ٢٧٩.

(٢) الرعاية لحقوق الله ٤٣٠.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الرعاية لحقوق الله ٤٣١.

وهم باغترارهم بهذه الأماني يقيمون على المعاصي ويتمنون المغفرة والرحمة ويظنون أن الذي طيب أنفسهم الرجاء، وإنما طيب أنفسهم الغرة، فتمنوا وظنوا أن ذلك منهم رجاء لربهم عز وجل، وإنما أمكن أحدهم ذكره للرجاء، حتى ظن أنه رجاء للتوحيد، أو لذكر آباء صالحين مع التوحيد أو عمل ضعيف[1].

(فيغتر بذكر الرجاء ويظن أنه رجاء فيقيم على المعاصي طيب النفس، غير نادم ولا مقلع، لا يشك أن ذلك رجاء منه لربه عزَّ وجل فيطيب نفسه بذلك، فيقل حذره وخوفه من الله عز وجل، ولو كان ذلك رجاء لقد وضع الرجاء في غير موضعه، وذلك الرجاء الكاذب)[2].

(فالمغتر بذكر الرجاء يظن أن الغرة منه رجاء، فيقيم على معاصي الله عز وجل، ويظن ذلك حسن الظن منه، وليس ذلك بحسن ظن كما قال وهب: (حسن الظن بالله ما جانب الغرّة).

وقيل للحسن: إن قوماً يقولون نرجو الله عز وجل ويضيّعون العمل، فقال: (هيهات هيهات، تلك أمانيهم يترجحون فيها، من رجا شيئاً طلبه، ومن خاف شيئاً هرب منه)[3].

وقد وصف الله تعالى المغترين بقوله: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧].

قال الإمام الطبري: يقول: (وظهر لهم من يومئذ من أمر الله وعذابه، الذي كان أعدّه لهم، ما لم يكون من قبل ذلك يحتسبون أنه أعده لهم)[4].

وبعد هذا نرى أن الغرور آفة من الآفات الكبيرة التي ابتلي بها كثير من الناس وما ذلك إلا لبعدهم عن منهج الله تعالى.

---

(١) الرعاية لحقوق الله ٤٣٢، ٤٣٣.
(٢) الرعاية لحقوق الله ٤٣٣.
(٣) الرعاية لحقوق الله ٤٣٥.
(٤) جامع البيان ٢٤/ ١١.

وأما التفريط في الرجاء فهو نفس ما قلنا في المبحث الأول عند كلامنا عن الإفراط في الخوف، إذ أن العبد إذا أدى به التفريط في الرجاء فإنه يصل إلى درجة القنوط واليأس من رحمة الله وكلاهما مذموم.

إذن تبين لنا في هذا الفصل أن الخوف والرجاء لهما إفراط وتفريط وهو مذموم وهذا واضح من خلال مقابلة كل قسم، فأن الإفراط في الخوف ينقلب إلى آثار التفريط في الرجاء وهما القنوط واليأس، وكذلك إذا كان هناك تفريط في الخوف انقلب إلى آثار الإفراط في الرجاء فيصيبه الغرور والطمن والأمن والأمل.

والواجب على العبد أن يكون معتدلا في خوفه ورجاءه ليحسن سيره إلى الله تعالى.

الفصل الثاني
التوازن بين الخوف والرجاء

الجمع بين الخوف والرجاء

الخوف والرجاء هما الجناحان اللذان يوصلان إلى بر الأمان، فلا بد من وجودهما في كل زمان ليصلح سير المؤمن في عبادته لله تعالى، ولذا كان لهما أكبر الأثر في استقامة العبد وسلوكه الطريق القويم وإنهما الموجبان لرحمة الله ورضوانه.

دخل النبي ﷺ على شاب وهو بالموت فقال: «كيف تجدك؟» قال: والله يا رسول الله إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي. فقال رسول الله ﷺ: «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو، وآمنهُ مما يخاف»[1].

يقول الإمام الغزالي: (الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقربون إلى كل مقام محمود، ومطيتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كؤد، فلا يقود إلى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الأرجاء ثقيل الأعباء محفوفا بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والأعضاء إلا أزمة الرجاء. ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب الأليم مع كونه محفوفا بلطائف الشهوات وعجائب اللذات إلا سياط التخويف وسطوات التعنيف)[2].

فهما لازمان على النفوس لا ينفك أحدهما عن الآخر بل لابد من الجمع بينهما للمؤمن.

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الجنائز برقم ٩٨٣.

(٢) إحياء علوم الدين ٤/ ١٤٢.

(الرجاء في الله، والخوف من الله... الرجاء في رحمته ورضوانه.. والخوف من غضبه وخذلانه..)[1].

وهما المختار للعبد في حال صحته أن يكون خائفاً راجياً، ويكون خوفه ورجاؤه سواء كما يقول الإمام النووي[2].

بل قد يتداخلا حقيقة بحيث لا يتحقق أحدهما إلا بوجود الآخر لأن التشوق إلى المحبوب يصاحبه توقع الخوف لحدوث ما يضر بذلك ويمنعه، إذن فكل راج خائف وكل خائف راج، وأجمل تصوير لهذا المعنى هو قول الإمام الغزالي الذي ذكرناه.

وقد يعطي كل من الخوف والرجاء أحدهما معنى الآخر لشدة تلازمهما، ومن هذا القبيل جاء قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣].

أي ما لكم لا تخافون لله عظيمة وهو قول نوح عليه السلام لمن لم يؤمن من قومه، قيل: الرجاء هنا بمعنى الخوف، أي ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على أحدكم بالعقوبة. أي عذر لكم في ترك الخوف من الله، وقال سعيد بن جبير وأبو العالية وعطاء بن أبي رباح: ما لكم لا ترجون لله ثواباً ولا تخافون له عقاباً. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: ما لكم لا تخشون لله عقاباً وترجون منه ثواباً وقال قتادة: ما لكم لا ترجون لله عاقبة، كأن المعنى ما لكم لا ترجون لله عاقبة الإيمان. وقال إبن كيسان: ما لكم لا ترجون في عبادة الله وطاعته أن يثيبكم على توقيركم خيراً[3].

والأقوال في ذلك كثيرة اقتصرنا على أهمها.

وكتثبيت لهذا المعنى ولما ذهب إليه العلماء ننقل قول صاحب قوت القلوب:

(ومن علامة صحة الرجاء في العبد كون الخوف باطنا في رجائه لأنه لما تحقق برجاء شيء خاف فوته لعظم المرجو في قلبه وشدة اغتباطه به فهو لا ينفك في حال

---

(١) كما تحدث الرسول ٦٠.

(٢) رياض الصالحين ٢١٦.

(٣) جامع البيان ٢٩/ ٩٤، ٩٥، روح المعاني ٣٠/ ١٣٨، ١٣٩، فتح البيان ١٠/ ٧٧، ٧٨.

رجائه من خوف فوت الرجاء. والرجاء هو ترويحات الخائفين ولذلك سمت العرب الرجاء خوفاً لأنهما وصفان لا ينفك أحدهما عن الآخر ومن مذهبهم أن الشيء إذا كان لازماً لشيء أو وصفاً له أو سببا منه أن يعبروا عنه به فقالوا: ما لك لا ترجو كذا، وهم يريدون: ما لك لا تخاف وعلى هذه اللغة جاء قول الله تعالى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أجمعوا على تفسيره: ما لكم لا تخافون لله عظمة وهو أيضاً أحد وجهي تفسير قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ١١٠]. أي يخاف من لقائه(١).

وإذا استقرأنا القرآن الكريم بخصوص الخوف والرجاء نجد أن الله سبحانه وتعالى غالباً ما يجمع بينهما مما يدل دلالة واضحة على تناسقهما وتناسبهما وإن الخوف رفيق الرجاء في الطريق، ولم يكتفِ بذلك بل أنه ذكر آيات كثيرة مثل قوله: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]. وقوله: ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥].

وقوله: ﴿ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠]. وكلما ذكر أهل النار ذكر أهل الجنة بعدهم فيدل على تناسق وتناسب بين الخوف والرجاء.

ويقول الدكتور زكي مبارك في سبب إقتران خشية الله بالرجاء: (لأن المذنب الذي لا يرجو ربه في قبول المتاب ينقلب إلى قوة يائسة خطرة لا يرجى لها صلاح ولا ينتظر منها نفع، وانقطاع الصلة بين المرء وربه هو أقصى غايات الفساد وتخويف المرء من ربه له حدود ولا ينبغي أن يصل الخوف إلى اليأس، فإن التربية التي تقوم على الخوف المطلق تربية فاسدة لأنها تطمس أصول النور في القلب وتمنع عناصر الخير من النهوض...)(٢).

ولنأخذ قسما من الآيات الداعية إلى ذلك الطريق طريق الخوف من العقاب والرجاء في الثواب:

قال تعالى آمرا عباده أن يكون دعاؤهم بين خوف ورجاء: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا

---

(١) قوت القلوب ٢١٦.
(٢) التصوف الإسلامي ٢/١٥٣.

﴿وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۞ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥ ـ ٥٦].

ففي قوله: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أمر بأن يكون الإنسان في حالة ترقب وتخوف وتأميل لله عز وجل، حتى يكون الرجاء والخوف للإنسان كالجناحين للطائر يحملانه في طريق استقامته، وإن انفرد أحدهما هلك الإنسان(١).

وقال إبن كثير: قوله: ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ خوفاً من عنده من وبيل العقاب وطمعاً فيما عنده من جزيل الثواب ثم قال: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي إن رحمته مرصدة للمحسنين الذين يتبعون أوامره ويتركون زواجره(٢)، وقيل: خوفاً منه وطمعاً لما عنده(٣).

وقيل: معناه كونوا جامعين في أنفسكم بين الخوف والرجاء في أعمالكم كلها، ولا تطمعوا أنكم وفيتم حق الله في العبادة و الدّعاء، وان اجتهدتم فيهما(٤).

وهكذا ينبغي للإنسان أن يذّكر نفسه وغيره فيخّوف ويرجّي.

وكانت بعثة الرسل إلى الناس هي لترغيب الناس بالجنة وترهيبهم من النار يعني خوف ورجاء وقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على هذا منها قوله تعالى:

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨ ـ ٤٩].

قوله: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ يقول الإمام الطبري: (يقول تعالى ذكره: وما نرسل رسلنا إلا ببشارة أهل الطاعة لنا بالجنة والفوز المبين يوم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٢٢٧.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ١٨٠، وينظر جامع البيان ٨/ ٢٠٧، ٢٠٨، محاسن التأويل ٧/ ١٥١، تفسير البيضاوي ٢٠٨، تفسير شبر ١٧٥، روح المعاني ٨/ ١٤٠، في ظلال القرآن ٣/ ١٢٩٨، مواهب الرحمن ٣/ ٣٧٣، روح البيان ٣/ ١٧٨، الأساس في التفسير ٤/ ١٩١٢، ١٩١٣، التسهيل في علوم التنزيل، أبي الحافظ الكلبي ٢/ ٣٥.

(٣) الدر المنثور ٣/ ٤٧٧، تفسير التحرير والتنوير ٨/ ١٧٥.

(٤) محاسن التأويل ٧/ ١٥٢، تفسير ابن كثير ٣/ ١٨١، تفسير الفخر الرازي ١٤/ ١٤١.

القيامة جزاء منا لهم على طاعتنا وبإنذار من عصانا وخالف أمرنا عقوبتنا إياه على معصيتنا يوم القيامة جزاء منا على معصيتنا لنعذر إليه فيهلك إن هلك عن بينة ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ﴾ يقول: فمن صدق من أرسلنا إليه من رسلنا إنذارهم إياه وقبل منهم ما جاؤوه به من عند الله وعمل صالحاً في الدنيا فلا خوف عليهم عند قدومهم على ربهم من عقابه وعذابه الذي أعدَّه الله لأعدائه وأهل معاصيه ولا هم يحزنون عند ذلك على ما خلفوا وراءهم في الدنيا)(١).

وقال القرطبي: (أي بالترغيب والترهيب). قال الحسن: مبشرين بسعة الرزق في الدنيا والثواب في الآخرة. ومعنى ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ مخوفين عقاب الله، فالمعنى: إنما أرسلنا المرسلين لهذا لا لما يقترح عليهم من الآيات، وإنما يأتون من الآيات بما تظهر معه براهينهم وصدقهم)(٢).

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ أي: الذي أنذروا به عاجلاً أو آجلاً ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ أي: عن أمر الله في ترك الإيمان، ومباشرة الأعمال الصالحة واكتساب الأخلاق الرديئة(٣).

وقد مدح الله سبحانه وتعالى الخائفين والراجين أي الذين يجمعون بين الخوف والرجاء فقال: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦]، (أي خوفاً من عذاب الله، وطمعا في رحمة الله ومما رزقناهم ينفقون في طاعة الله، وفي سبيله)(٤).

وقال القرطبي: (أي خوفاً من العذاب وطمعا في الثواب)(٥).

وقال تعالى: ﴿... إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠].

---

(١) جامع البيان ٧/ ١٩٨، وينظر تفسير ابن كثير ٣/ ٢٤، محاسن التأويل ٦/ ٥٣٣.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٢٧٦.
(٣) محاسن التأويل ٦/ ٥٣٤.
(٤) جامع البيان ٢١/ ١٠٣.
(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٦٩.

يقول تعالى ذكره: وكانوا يعبدوننا رغبا ورهبا، وعنى بالدعاء في هذا الموضع: العبادة، كما قال: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤٨]. ويعني بقوله: ﴿رَغَبًا﴾ أنهم كانوا يعبدونه رغبة منهم فيما يرجون منه من رحمته وفضله ﴿وَرَهَبًا﴾ يعني رهبة منهم من عذابه وعقابه بتركهم عبادته وركوبهم معصيته(١).

وبنحو ذلك قال إبن جريج: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ وقال: رغباً في رحمة الله ورهباً من عذاب الله. وقال ابن زيد في قوله: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ قال: خوفاً وطمعاً، قال: وليس ينبغي لأحدهما أن يفارق الآخر(٢).

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩]. والمعنى: أنهم ضموا إلى فعل الطاعات والمسارعة فيها أمرين:

أحدهما: الفزع إلى الله تعالى لمكان الرغبة في ثوابه والرهبة من عقابه.

والثاني: الخشوع وهو المخافة الثابتة في القلب، يكون الخاشع هو الحذر الذي لا ينسط في الأمر خوفاً من الإثم(٣).

وما ورد في السنة المطهرة عن هذه الآية عن خباب بن الأرت عن أبيه قال: (صلّى رسول الله ﷺ صلاة فأطالها فقالوا: يا رسول الله صليت صلاة لم تكن تصليها، قال: «أجل إنها صلاة رغبة ورهبة، إني سألت الله فيها ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة: سألته أن لا يهلك أمتي بِسَنَةٍ فأعطانيها، وسألته أن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها، وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها»). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح(٤).

المقصود من هذا الحديث قوله: (إنها صلاة رغبة) أي: رجاء (ورهبة) أي:

---

(١) جامع البيان ١٧/ ٨٣.
(٢) المصدر نفسه ١٧/ ٨٤.
(٣) تفسير الفخر الرازي ٢٢/٢١٨.
(٤) سنن الترمذي، كتاب الفتن برقم ٢١٧٥، سنن النسائي، كتاب الفتن ٣٩٥١.

خوف أي صلاة فيها رجاء للثواب، ورغبة إلى الله وخوف منه تعالى.

قال القاري: الأظهر أن يقال: المراد به أن هذه صلاة جامعة، بين قصد رجاء الثواب، وخوف العقاب، بخلاف سائر الصلوات، إذ قد يغلب فيها أحد الباعثين على أدائها. قالوا وفي قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦]. بمعنى أو لمانعة الخلوّ[١]. ثم لما كان سبب صلاته الدعاء لأمته وهو كان بين رجاء الإجابة وخوف الردّ طوّلها[٢].

وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧].

---

(١) مانعة الخلو: هي أحد أقسام القضية الشرطية المنفصلة: وهي التي يمتنع في الواقع الخلو عن واحد من النسب المرددة فيها ولكن لا يمتنع اجتماعها معا، أو هي التي يدعي المتكلم ذلك فيها. توضيح ذلك بالمثال: (مثل الجليس الصالح كحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة).

فهذه شرطية منفصلة موجبة مانعة خلو فقط، وذلك لأن حامل المسك الذي تجالسه قد يحذيك (أي يعطيك من المسك). وتشتري منه، وتجد منه رائحة طيبة.

كل هذه الأمور الثلاثة قد تجتمع، فهي ليست مانعة جمع ولكن الأمر لا يخلو عن واحد من هذه الثلاثة، إذ أقل ما في ذلك أن تفوح منه رائحة المسك الذي يحمله فيتمتع بها جليسه. فهي إذن مانعة خلو فقط.

ومثال السالبة مانعة الخلو فقط: أن نقول: ليس البتة إما أن يكون القمر والأرض متساويين أو القمر أكبر من الأرض.

فهذه منفصلة سالبة تنفي منع الخلو فقط، ولا تنفي الجمع وذلك لأنه لا يجتمع في الواقع الأمران المرددان فيها. فلا يكونان متساويين مع كون القمر أكبر من الأرض. ولكن ادعاء منع الخلو هو الذي توجه السلب في القضية عليه، إذ تعد يكون القمر أصغر من الأرض كما هو الواقع فعلا، . وأيضا يمثلون لها بزيد إما أن يكون في البحر وإما أن لا يغرق فلا نقول زيد ليس في البحر وهو يغرق.

إذن فالسلب في قضيتنا هذه مسلط على منع الخلو فقط. فهي إذن شرطية منفصلة سالبة مانعة خلو فقط.

أنظر: صفحة ٩٨ ـ ٩٩، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حسن جنكة الميداني، مطبعة دار القلم، دمشق-بيروت، الطبعة الأولى: ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م.

(٢) تحفة الأحوذي ٤/٥٨.

قال القرطبي: أعلمهم الله تعالى أن المعبودين يبتغون القربة إلى ربهم. والهاء والميم في ﴿رَبِّهِمُ﴾ تعود على العابدين أو على المعبودين أو عليهم جميعا. وأما ﴿يَدْعُونَ﴾ فعلى العابدين. و ﴿يَبْتَغُونَ﴾ على المعبودين. ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ ابتداء وخبر. ويجوز أن يكون ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ بدلا من الضمير في ﴿يَبْتَغُونَ﴾، والمعنى: يبتغي أيهم أقرب الوسيلة إلى الله ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ أي مخوفاً لا أمان لأحد منه، فينبغي أن يحذر منه ويخاف[1].

وقال الآلوسي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ حقيقاً بأن يحذره ويحترز عنه كل أحد من الملائكة والرسل عليهم السلام وغيرهم، والجملة تعليل لقوله سبحانه: ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ وفي تخصيصه بالتعليل زيادة تحذير للكفرة من العذاب، وتقديم الرجاء على الخوف لما أن متعلقه أسبق من متعلقه، ففي الحديث القدسي: «سبقت رحمتي غضبي»[2]، وفي اتحاد أسلوبي الجملتين إيماء إلى تساوي رجاء أولئك الطالبين للوسيلة إليه تعالى بالطاعة والعبادة وخوفهم، وقد ذكر العلماء أنه ينبغي للمؤمن ذلك ما لم يحضره الموت، فإذا حضره الموت ينبغي أن يغلب رجاؤه على خوفه، وفي الآية دليل على أن رجاء الرحمة وخوف العذاب مما لا يخل بكمال العابد[3].

ومن الآيات التي أخبر فيها سبحانه وتعالى عن رحمته بعباده وعذابه مما يدل على رحمته للطائعين وعذابه للعاصين والتي جاءت على سياق الخوف والرجاء.

قوله تعالى: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩ ـ ٥٠].

يجيء هذا الأمر للرسول ﷺ بعد ذكر جزاء الغاوين وجزاء المتقين في سياق السورة[4] والمناسبة بينهما ظاهرة في السياق. ويقدم الله نبأ الغفران والرحمة على نبأ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ١٨١، ١٨٢.
(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد برقم ٧٥٥٣، صحيح مسلم، كتاب التوبة برقم ٢٧٥١.
(٣) روح المعاني ١٥/ ١٠٠.
(٤) راجع الآيات من ٤٣ ـ ٤٨ من نفس السورة (الحجر).

العذاب، جريا على الأصل الذي ارتضته مشيئته. فقد كتب على نفسه الرحمة. وإنما يذكر العذاب وحده أحياناً أو يقدم في النص لحكمة خاصة في السياق تقتضي إفراده بالذكر أو تقديمه[1].

وأخرج ابن جرير وابن مردويه من طريق عطاء بن أبي رباح عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: طلع علينا رسول الله ﷺ من الباب الذي يدخل منه بنو شيبة فقال: «ألا تراكم تضحكون»، ثم أدبر حتى إذا كان عند الحجر رجع إلينا القهقرى فقال: «إني لما خرجت من الباب جاء جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله يقول لك لم تقنط عبادي ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾[2].

وأخرج عبد بن حميد عن قتادة أنه قال في قوله: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ﴾ الآية: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم العبد قدْر عفْو الله لما تورّعَ من حرام، ولو يعلم العبد قدر عذاب الله لبخَعَ نفسه»[3].

وأخرج الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله سبحانه خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعة وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر كلّ الذي عنده من رحمة لم ييأس من الرحمة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله تعالى من العذاب لم يأمن من النار»[4].

ويقول الرازي: واعلم أنه ثبت في أصول الفقه: أن ترتيب الحكم على الوصف المناسب مشعر بكون ذلك الوصف علّة لذلك الحكم، فههنا وصفهم بكونهم عباداً له، ثم أثبت عقيب ذكر هذا الوصف الحكم بكونه غفوراً رحيماً، فهذا يدل على أن كل من اعترف بالعبودية ظهر في حقه كون الله غفوراً رحيماً، ومن أنكر ذلك كان مستوجباً للعقاب الأليم. وفي الآية لطائف:

---

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٢١٠.
(٢) إبن جرير وابن مردويه (لم أجده في كتب السنن المعتمدة).
(٣) رواه إبن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله برقم ٦٥.
(٤) صحيح البخاري، كتاب الرقاق ٦٤٦٩، صحيح مسلم، كتاب التوبة برقم (٢٧٥٢، ٢٧٥٣).

إحداها: أنه أضاف العبادة إلى نفسه بقوله: (عبادي) وهذا تشريف عظيم: ألا ترى أنه لما أراد أن يشرف محمداً ﷺ ليلة المعراج لم يزد على قوله: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١].

ثانيها: أنه لما ذكر الرحمة والمغفرة بالغ في التأكيد بألفاظ ثلاثة:

قوله: (إنّي).

وثانيها: قوله: (أنا).

وثالثها: إدخال حرف الألف واللام على قوله (الغفور الرحيم) ولما ذكر العذاب لم يقل: إني أنا المعذب، وما وصف نفسه بذلك بل قال: (وأن عذابي هو العذاب الأليم).

وثالثها: أنه أمر رسوله أن يبلغ إليهم هذا المعنى فكأنه أشهد رسوله على نفسه في التزام المغفرة والرحمة.

ورابعها: أنه لما قال (نبىء عبادي) كان معناه نبىء كل من كان معترفاً بعبوديتي، وهذا كما يدخل فيه المؤمن المطيع، فكذلك يدخل فيه المؤمن العاصي، وكل ذلك يدل على تغليب جانب الرحمة من الله تعالى[(١)].

وقوله: ﴿وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ أي واخبرهم أيضاً بأن عذابي لمن أصر على معاصيّ وأقام عليها ولم يتب منها هو العذاب المؤلم الموجع الذي لا يشبهه عذاب آخر[(٢)].

وفي هذا تهديد شديد وتحذير لخلقه أن يقدموا على معاصيه، ومن الأمر لهم بالإنابة والتوبة[(٣)].

والخلاصة: إن الله جمع لعباده بين التبشير والتحذير، ليكونوا على قدمي الرجاء والخوف، وحال الأنس والهيبة[(٤)].

---

(١) تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٩٩.
(٢) تفسير المراغي، احمد مصطفى المراغي ١٤/ ٣٠.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) تفسير المراغي ١٤/ ٣٢.

وأورد الحارث المحاسبي رحمه الله كلاماً لطيفاً في بيان الجمع بين الخوف والرجاء فقال:

(إن الله عز وجل خوف العاصين بغضبه وعقابه، ليخوِّفوا أنفسهم بما خوفهم، فيتوبوا إلى ربهم، ورجى الله عز وجل التائبين من عباده على تركهم الذنوب لئلا يقنطوا فيقيموا على ذنوبهم، رجى العاملين ليبعثهم الرجاء على الأعمال التي تقرّب إليه.

فعلى المؤمن بالله عزَّ وجل العاقل عنه أمره أن يضع الخوف حيث وضعه الله عز وجل.

فإذا هو همّ بمعصية خوّف نفسه ما خوّفه الله عز وجل به من عذابه، فإن غلبه هواه فأتاها، فأبت نفسه إلا المقام عليها، خوّف نفسه بما خوَّفه الله عز وجل من غضبه وعقابه، ليدع المعصية ويتوب منها بعد ركوبها.

فإذا همَّت نفسه بمعصية أو عصت فأبت إلا المقام على العصيان، عاتب نفسه وقال لها: إن الله شديد العقاب، وإن غضبه لا دواء له، وإن عذابه لا صبر عليه، فخوّف نفسه بما خوفه الله، حيث أمره أن يخوّف نفسه ليقطع ويتوب.

وإذا أراد التوبة فعارضه القنوط الصادّ له عن التوبة، ذكّر نفسه الجود والكرم، فرجاها عفو الله عز وجل وكرمه، وفضله ولطفه ورأفته ورحمته، وما وعد التائبين أنه غفار لمن تاب وآمن، وأنه غفور رحيم لمن أناب إليه).

ثم يقول: (فإذا ذكر نفسه العقاب عند الذنوب، تخويفا لها ليتوب من الذنوب، وذكرها الرجاء عند التوبة، ليردع نفسه عن القنوط، وتسخو بالتوبة لرجاء المغفرة عند اعتراض القنوط القاطع عن العمل أنه لا يقبل منه، فرجا القبول وغفران الذنوب، فسخا بالتوبة نفساً، وبالعمل لرجاء الرحمة والعفو والصفح والتجاوز، فقد وضع الخوف والرجاء بالموضع الذي وضعهما الله عز وجل فيه، وأدّب نفسه بأدب الله عز وجل في كتابه، ولم يغتر ولم يقنط من رحمة ربه عز وجل.

ومن قلب هذين المعنيين من الخوف والرجاء، وذكر الرجاء عند الذنوب،

ونسي الخوف والحذر، فيطيب نفسه بذكر الرجاء، فقل خوفه وزال حذره، فأقام عن المعاصي متمنيا، فذلك المغتر بالله عز وجل، المتأدب بغير أدبه، والواضع الرجاء في غير موضعه، والتارك لاستعمال الخوف في موضعه عند الحاجة إليه، فهذه صفة المغترين من العاصين الموحدين)(١).

قال إبن كثير في قوله تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧]. (لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء، فبالخوف ينكف عن المناهي، وبالرجاء يكثر من الطاعات)(٢).

وإذا استقرأنا غير هذه الآيات التي جاءت تجمع بين الخوف والرجاء وجدناها متناسقة ومتناسبة ومقرونة بالخوف والرجاء ومثال ذلك. أن الله سبحانه وتعالى لا يذكر أمراً من الأمور التي استأثر الله بها وأكد عليها إلاَّ ذكر بعده ما يرادف هذا الأمر ولتوضيح هذه الصورة نرى أن الله تعالى لا يذكر الحياة الدنيا إلا وذكر بعدها الحياة الآخرة ولا يذكر أصحاب الجنة إلا وذكر أصحاب النار.

(فأنت لا تجد في القرآن الكريم آية تسلم الإنسان إلى رهبة مجردة أو تمنيه ببشارة صافية عن شائبة الخوف، بل إن من القواعد الكلية في كتاب الله تعالى إنه لا يذكر الإنسان بشيء من صفات السطوة والانتقام لله تعالى، إلا ويذكره إلى جانبها بصفات الرحمة والغفران، ولا يحدثه عن شيء من صفات الجنة وما فيها من نعيم، إلا ويحدثه إلى جانبها عن جهنم وما فيها من مظاهر التعذيب، ومهما بحثت في كتاب الله تعالى فلن تقف على أي شذوذ لهذه القاعدة، ولن تقف على نص يتضمن وصف إحدى هاتين الصورتين إلا وإلى جانبها وصف مقابل للصورة الأخرى)(٣).

انظر إلى قوله تعالى: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۞ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩ ـ ٥٠].

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ

---

(١) الرعاية لحقوق الله ٤٣٧.

(٢) تفسير إبن كثير ٤/٣٢١، وينظر محاسن التأويل ١٠/٢٤١، ٢٤٢.

(٣) الغرائز في القرآن الكريم ١٢٥، ١٢٦.

ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٣ ـ ٥٤].

ويذكر سبحانه وتعالى الحياة الدنيا ويعقبها بالدار الآخرة فيقول تعالى:

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾.

[النساء: ٧٧].

وقال تعالى عن حال أصحاب النار وأصحاب الجنة: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦ ـ ١٠٧].

ويصفهم سبحانه وتعالى بأن منهم شقي وسعيد فيقول تعالى: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ * فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ * خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ * ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾.

[هود: ١٠٥ ـ ١٠٨].

وإذا ذكر سبحانه وتعالى الذين كفروا ذكر بعد وصفهم الذين آمنوا ووصفهم من ذلك ما جاء في الكتاب العزيز: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ * يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ * وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ * وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ * وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ * إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ * فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ﴾ [القمر: ٤٧ ـ ٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ * فَأَمَّا مَن طَغَىٰ * وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا * فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ * وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾.

[النازعات: ٣٦ ـ ٤١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ * وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ﴾ [الانفطار: ١٣ ـ ١٤].

وعندما يذكر سبحانه وتعالى المغفرة يذكر العذاب فيقول تعالى: ﴿حمٓ * تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ * غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر: ١ ـ ٣].

إن الله سبحانه وتعالى عندما (يقرن هذين الوصفين كثيراً في مواضع متعددة من القرآن ليبقى العبد بين الرجاء والخوف)[(١)].

(فهذا الأسلوب الرائع منهج مميز للقرآن في تربيته التي تحقق التوازن عند الفرد فهو لا يركز على الخوف والعذاب فحسب لئلا ييأس الإنسان ويقنط من رحمة الله ولا يركز على النعيم والأمن فحسب، حتى لا يركن إلى رحمة الله وينسى مكره وأخذه الشديد)[(٢)].

وعلى هذا يمكن القول: إن أغلب آيات القرآن هي خوف ورجاء، نجد ذلك أن آيات الأحكام والتشريع والقصص والدعاء كلها بشارة وإنذار تدعو إلى سلوك طريق الخوف والرجاء ولنأخذ لذلك أمثلة:

١ ـ التشريع الإسلامي في القرآن الكريم جاء كاملاً مكملاً لكل جوانب الحياة فنجد أن هناك آيات محكمة فرض الله بها فرائض على عباده هي خوف ورجاء ولتوضيح هذه الصورة.

أ ـ الآيات المحكمة أن الله تعالى يقول: ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [الأنعام: ٧٢]. أمر من الله تعالى بإقامة الصلاة الفريضة التي فرضها على كل مسلم، فإقامته للصلاة هو أولاً أداؤه لأمر الله تعالى وخوفه من الله تعالى ثانياً ورجاؤه الثواب عليها ثالثاً.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

فأمره سبحانه وتعالى إلى اجتناب هذه المحرمات هو دعوة إلى الخوف منه باجتناب هذه المحرمات ورجاء الثواب على تركها.

---

(١) تفسير إبن كثير ٦/ ١٢٢.
(٢) الغرائز في القرآن الكريم ١٢٥.

ب ـ وأما الآيات المتشابهة فقد قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

فهنا ذكر سبحانه وتعالى أنه أنزل على رسوله ﷺ الكتاب فيه آيات محكمات وأخر متشابهات فالخائفون يؤمنون به ويقولون كل من عند ربنا ويرجون رحمته وأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة لعدم إيمان قلوبهم وعدم خوفهم ورجائهم.

٢ ـ القصص وعبر التاريخ

قصَّ الله تعالى على نبيه ﷺ قصص الأمم الماضين وكيف فعل الله بأوليائه وماذا حلَّ بأعدائه والله تعالى يقول عن هذه القصص:

﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

قوله: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وهو بيان أمره، ورشاد من جَهِلَ سبيل الحق، فعمي عنه إذا تبعه فاهتدى به من ضلالته ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه، ينقذه من سخط الله وأليم عذابه، ويورثه في الآخرة جنانه، والخلود في النعيم المقيم ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يقول: لقوم يصدقون بالقرآن، وبما فيه من وعد الله ووعيده وأمره ونهيه، فيعملون بما فيه من أمره، وينتهون عما فيه من نهيه[١].

فنجد أن الله تعالى عندما يذكر لنا قصة قوم نوح أو هود أو صالح أو لوط أو شعيب أو موسى عليهم السلام أو قصصا أخرى مثل هابيل وقابيل أو أصحاب القرية أو أصحاب الأخدود أو أصحاب الفيل وغيرها إنما هو دعوة إلى الخوف والرجاء فنعتبر ونخاف بما حل بالأمم الماضية فنحذر ونرجو رحمة الله ورضوانه إذا نحن سلكنا طريق النجاة باتباعنا لأوامر الله تعالى.

---

(١) جامع البيان ١٣/٩١.

٣ ـ دعاء الأنبياء والصالحين

جاء في القرآن الكريم: أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام دعوا الله سبحانه وتعالى في خوف ورجاء وهو سؤال الله الجنة والاستعاذة من النار (والقرآن والسنة مملوءان من الثناء على عباده وأوليائه بسؤال الجنة ورجاؤها والاستعاذة من النار والخوف منها)[1].

(ومطلوب الأنبياء والمرسلين والصديقين، والشهداء والصالحين: هو الجنة. ومهربهم: من النار)[2].

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] أي خوفاً من العذاب ورجاء للثواب.

وجاء في القرآن الكريم عن خليل الله إبراهيم عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ * رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ * وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ * وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ * وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ * وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٢ ـ ٨٩]. فسأل الله الجنة واستعاذ من النار وهو الخزي يوم البعث.

وأما عن عباد الله الصالحين فقد جاء في الجزء الأخير من سورة (الفرقان) إستعاذتهم من النار وطلبهم الجنة.

(وأخبر تعالى عن سادات العارفين أولي الألباب: أنهم كانوا يسألونه جنته. ويتعوذون به من ناره. فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩٥][3].

والآيات في ذلك كثيرة.

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٧٨.

وأما ما ورد في السنة النبوية الشريفة ففي الصحيح عن النبي ﷺ قوله: «إن الله تعالى يسأل الملائكة عن عباده وهو أعلم تبارك وتعالى، فيقولون: أتيناك من عند عباد لك يهللونك، ويكبرونك، ويحمدونك، ويمجدونك. فيقول عز وجل: وهل رأوني؟ فيقولون: لا، يا رب. ما رأوك، فيقول عز وجل: كيف لو رأوني؟ فيقولون: لو رأوك لكانوا لك أشد تمجيداً. قالوا: يا رب، ويسألونك جنتك، فيقول: هل رأوها؟ فيقولون: لا، وعزتك ما رأوها. فيقول: فكيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها لكانوا لها أشد طلباً، قالوا: ويستعيذون بك من النار، فيقول عز وجل: وهل رأوها؟ فيقولون: لا وعزتك ما رأوها، فيقول: فكيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها لكانوا أشد منها هرباً. فيقول: إني أشهدكم إني قد غفرت لهم، وأعطيتهم ما سألوا، وأعذتهم مما استعاذوا»[1].

جاء في (مدارج السالكين) قوله: (قالوا: والعمل على طلب الجنة والنجاة من النار مقصود الشارع من أمته ليكونا دائماً على ذكر منهم فلا ينسونهما. ولأن الإيمان بهما شرط في النجاة. والعمل على حصول الجنة والنجاة من النار: هو محض الإيمان)[2].

إذن نصل إلي نتيجة إلى أن الخوف والرجاء ضروريان للمؤمن لتسهيل سيره وسلوكه إلى الله سبحانه وتعالى وأنه لا سبيل للوصول إلى ما يرضي الله تعالى إلا بالخوف والرجاء، جاء في التذكرة:

(المؤمن بين خوف ورجاء: خوف من الله وعذابه يحول بينه وبين المعاصي، ورجاء لما عنده من الخير يفتح في نفسه معاني الأمل ويحفزها إلى العمل الصالح)[3].

واجتماع الخوف والرجاء جالبان للمعنى الذي أمر الله تعالى به بقوله: ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ﴾ [الأعراف: ٥٦].

---

(١) صحيح البخاري.

(٢) مدارج السالكين ٢/٧٨.

(٣) أيها المؤمنون، تذكرة للدعاة، محمد بن لطفي الصباغ ٥١.

(من أجل هذا يعلمنا الرسول ﷺ إننا إذ نتوب إلى ربنا ونخلص له الدين فإن علينا أن نحلق إليه بجناحين مباركين:

الرجاء والخوف... الرجاء في الله، والخوف من الله... الرجاء في رحمته ورضوانه... والخوف من غضبه وخذلانه...)[1].

وقد أورد العلماء السابقون كلاماً بيَّنوا فيه أن الخوف والرجاء مهمان للمؤمن ينبغي أن يستويا ليحسن السير والسلوك إلى الله تعالى.

يقول سهل بن عبد الله: (الرجاء والخوف زمانان على الإنسان، فإذا استويا استقامت أحواله، وإن رجح أحدهما بطل الآخر)[2].

وقال الواسطي: (الخوف، والرجاء، زمانان على النفوس، لئلا تخرج إلى رعوناتها)[3].

وقال صاحب قوت القلوب: (ومن لم يعرف الخوف لم يعرف الرجاء ومن لم يقم في مقام الخوف لم يرفع إلى مقامات أهل الرجاء على صحة وصفاء ورجاء كل عبد من حيث خوفه ومكاشفته عن أخلاق مرجوة من معنى ما كان كوشف به من صفات مخوفة فإن كان اقيم مقام المخوفات من المخلوقات مثل الذنوب والعيوب والأسباب رفع من حيث تلك المقامات إلى مقامات الرجاء بتحقيق الوعد وغفران الذنب وتشويق الجنان وما فيها من الأوصاف الحسان وهذه مواجهات أصحاب اليمين وإن كان أقيم مقام مخاوف الصفات عن مشاهدة معاني الذات مثل سابق العلم وسوء الخاتمة وخفي المكر وباطن الاستدراج وبطش القدرة وحكم الكبر والجبروت رفع من هذه المقامات إلى مقام المحبة والرضا فرجا من معاني الأخلاق وأسماء الكرم والإحسان والفضل والعطف واللطف والامتنان وليس يصح أن نخبر بكل ما نعلم من شهادة أهل الرجاء من مقامات الرجاء من قبل أنه لا يصح لعموم المؤمنين وهو يفسد من لم يرزقه أشد الفساد فليس يصلح إلا بخصوصة ولا يجديه ولا يستجيب له ولا

---

(١) كما تحدث الرسول ﷺ ٦٠.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ١٨٢.
(٣) الرسالة القشيرية ٣١١.

يستخرج إلا من المحبة ولا محبة إلا بعد نصح القلب من الخوف وأكثر النفوس لا يصلح إلا على الخوف كعبيد السوء لا يستقيمون إلا بالسوط والعصا ثم يواجهون بالسيوف صلتاً)(١).

(والوضع الأمثل أن يقوم توازن دقيق بينهما في حياة كل مسلم ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ [الزمر: ٩](٢).

وإذا أخذنا بعض الأحاديث النبوية الشريفة وجدنا أن الرسول ﷺ يقرن بين الخوف والرجاء مما يدل على تناسبهما وأنهما مهمان للمؤمن.

١ ـ عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته»(٣).

ففي هذا الحديث دليل على أن المسلم ينبغي أن يسير إلى الله بجناحي الخوف والرجاء بحيث لا يزيد أحدهما على الآخر، وما أحسن التشبيه القائل:

(ينبغي أن يسير العبد إلى الله تعالى بالمحبة والخوف والرجاء وشبهه بالطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فإذا سقط الرأس هلك الطائر، وإذا فقد أحد جناحيه كان عرضة للصيد)(٤).

وهذا الحديث من أقوى الأدلة على ذلك، وهكذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يخافون من الله عز وجل خوفاً شديداً مع أن بعضاً منهم بشر بالجنة وتجد أحواله عجيبة جدا ،وفي نفس الوقت كانوا يرجون رحمته ويطمعون في جنته.

٢ ـ عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك»(٥).

---

(١) قوت القلوب ٢١٥، ٢١٦.
(٢) تذكرة للدعاة ٥١.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الرقاق برقم ٦٤٦٩، صحيح مسلم، كتاب التوبة برقم ٢٧٥٥.
(٤) مدارج السالكين١/ ٥١٧.
(٥) صحيح البخاري، كتاب الرقاق برقم ٦٤٨٨.

الشراك: هو السير الذي يدخل فيه إصبع الرجل، ويطلق أيضا على كل سير وقى به القدم[١].

قال ابن بطال: (فيه أن الطاعة موصلة إلى الجنة وأن المعصية مقربة إلى النار، وأن الطاعة والمعصية قد تكون في أيسر الأشياء. فينبغي للمرء أن لا يزهد في قليل من الخير أن يأتيه، ولا في قليل من الشر أن يجتنبه، فأنه لا يعلم الحسنة التي يرحمه الله بها ولا السيئة التي يسخط عليه بها)[٢].

وقال ابن الجوزي: (معنى الحديث أن تحصيل الجنة سهل بتصحيح القصد وفعل الطاعة، والنار كذلك بموافقة الهوى وفعل المعصية)[٣].

٣ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه جل وعلا أنه قال: «وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين: إذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة، وإذا أمنني في الدنيا أخفته في الآخرة»[٤].

وهذا يوجب الجمع بينهما وعدم الاقتصار على أحدهما.

٤ ـ عن أنس أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو بالموت فقال: «كيف تجدك؟»، قال: والله يا رسول الله إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي. فقال رسول الله ﷺ: «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو، وأمنه مما يخاف»[٥].

قال صاحب تحفة الأحوذي: (قوله: «كيف تجدك» أي كيف تجد قلبك أو نفسك في الانتقال من الدنيا إلى الآخرة راجياً رحمة الله، أو خائفا من غضب الله. وقوله: «أرجو الله» أي أجدني أرجو رحمته «وإني» أي مع هذا «أخاف ذنوبي» قال

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني ١١/ ٣٢١.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) رواه ابن حبان في صحيحه. بترتيب ابن بلبان ٢/ ٤٠٦.
(٥) تقدم تخريجه في بداية هذا الفصل.

الطيبي: علق الرجاء بالله والخوف بالذنب، وأشار بالفعلية إلى أن الرجاء حدث عند السياق، وبالاسمية والتأكيد بإن، إلا أن خوفه كان مستمرا محققا. «لا يجتمعان» أي الرجاء والخوف «في مثل هذا الموطن» أي في مثل هذا الوقت وهو زمان سكرات الموت. وقوله: «إلا أعطاه الله ما يرجو» أي من الرحمة «وأمنه مما يخاف» أي من العقوبة بالعفو والمغفرة)[1].

٥ ـ ذكر البخاري في صحيحه[2] (باب الرجاء مع الخوف) وقال سفيان: ما في القرآن آية أشد علي من ﴿لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٨]. ثم ساق رحمه الله بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فامسك عنده تسعا وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المسلم بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار»[3].

فقوله: «باب الرجاء مع الخوف» أي استحباب ذلك، فلا يقع النظر في الرجاء عن الخوف ولا في الخوف عن الرجاء لئلا يفضي في الأول إلى المكر وفي الثاني إلى القنوط وكل منهما مذموم، والمقصود من الرجاء أن من وقع منه تقصير فليحسن ظنه بالله ويرجو أن يمحو عنه ذنبه، وكذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها، وأما من انهمك على المعصية راجياً عدم المؤاخذة بغير ندم ولا إقلاع فهذا في غرور، وما أحسن قول أبي عثمان الجيزي: من علامة السعادة أن تطيع، وتخاف أن لا تقبل. ومن علامة الشقاء أن تعصي، وترجو أن تنجو[4].

وقول سفيان: ما في القرآن آية أشد علي من قوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ...﴾ مناسبته للترجمة من جهة أن الآية تدل إن من لم يعمل بما تظمنه الكتاب الذي أنزل عليه لم تحصل له النجاة، لكن يحتمل أن يكون ذلك من الإصر الذي كان كتب على من قبل

(١) تحفة الأحوذي ٤/٥٧، ٥٨.
(٢) صحيح البخاري بشرح فتح الباري ١١/ ٣٠٠، ٣٠١.
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) صحيح البخاري بشرح فتح الباري ١١/ ٣٠٠، ٣٠١.

هذه الأمة، فيحصل الرجاء بهذا الطريق مع الخوف[1].

وقوله: «فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة» قيل: المراد أن الكافر لو علم سعة الرحمة لغطى على ما يعلمه من عظم العذاب فيحصل له الرجاء، أو المراد أن متعلق علمه بسعة الرحمة مع عدم التفاته إلى مقابلها يطمعه في الرحمة، ومطابقة الحديث للترجمة أنه اشتمل على الوعد والوعيد المقتضين للرجاء والخوف، فمن علم أن من صفات الله تعالى الرحمة لمن أراد أن يرحمه، والانتقام ممن أراد أن ينتقم منه لا يأمن انتقامه، وذلك بالحث على مجانبة السيئة ولو كانت صغيرة وملازمة الطاعة ولو كانت قليلة[2].

وقال إبن الحاجب: والمقصود من الحديث أن المكلف ينبغي له أن يكون بين الخوف والرجاء حتى لا يكون مفرطا في الرجاء بحيث يصير من المرجئة القائلين لا يضر مع الإيمان شيء، ولا في الخوف بحيث لا يكون من الخوارج والمعتزلة القائلين بتخليد صاحب الكبيرة إذا مات عن غير توبة في النار، بل يكون وسطاً بينهما كما قال الله تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]. ومن تتبع دين الإسلام وجد قواعده أصولاً وفروعاً كلها في جانب الوسط، والله أعلم[3].

أيهما أفضل الخوف أم الرجاء؟

الخوف والرجاء ينبغي أن يكون فيهما توسط واعتدال حتى يحسن المسلم سيره فلا يغلب جانب الخوف لئلا يخرج إلى درجة تبعده عن الخوف الذي أمره الله به ولا يغلب جانب الرجاء حتى لا يكون أكثر من الخوف فينسى العمل بل لابد من اعتدالهما، يخاف الله ويرجو رحمته، يخاف المعصية ويرجو الثواب على تركها، يعمل بالفرائض ويرجو القرب من الله تعالى والرضى عنه وكلما ازداد الخوف ازداد الإيمان فيزداد الرجاء بالله بحسن العاقبة في الآخرة.

يقول صاحب مختصر منهاج القاصدين: (إن فضيلة أي شيء بقدر ما يجلب من

---

(١) صحيح البخاري بشرح فتح الباري ١١/ ٣٠٠، ٣٠١.
(٢) فتح الباري ١١/ ٣٠٠، ٣٠٢ باختصار.
(٣) المصدر نفسه.

سعادة ويقرب من الباري عز وجل فكل أمر يجلب هذا فهو فضيلة)[1].

(فالخوف هو الفضيلة الجالبة للطاعات إذ بالخوف يراقب المسلم حركاته وأحواله وأفعاله وتأتي الفضيلة المكملة للخوف وهي الرجاء فيأمل في الرجاء حسن العاقبة على ما خاف).

ولذا وردت الآيات والأحاديث التي تبين فضيلة الخوف والرجاء وأنه لا يستغني أحدهما عن الآخر قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: ٤٦]. وقال تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٨].

(من أجل هذا كان الخوف والرجاء تجاه الله عز وجل، وجهين لفضيلة واحدة، تزكو بها علاقة العبد بربه وتستقيم بها على طريق الدين خطاه)[2]، فهما ضروريان للعبد ليس له أن يستغني عن أحدهما بل لا بد من اجتماعهما في كل حال. وكما قال ابن قدامة عندما قال: (إن قول القائل: أيما أفضل الخوف، أو الرجاء؟ كقوله: أيما أفضل الخبز أو الماء؟.

وجوابه: أن يقال: الخبز للجائع أفضل، والماء للعطشان أفضل، فإن اجتمعا، نظر إلى الأغلب، فإن استويا، فهما متساويان)[3].

ولئن تعذر هذا التوازن ولم يكن بد من أن يكون أحدهما أرجح من الآخر إن من الخير للمسلم أن يغلب عليه الخوف، ذلك لأن الخوف من الله رأس كل فضيلة وذروة الحكمة[4].

والخوف والرجاء هما المحققان لما هو مرغوب فيه إذ بالخوف والرجاء ينعم المسلم بحياة طيبة أساسها أنه على طريق قويم سهل الخطى غير شائك موصل إلى بر الأمان.

والخوف والرجاء دواءان يداوى بهما القلوب، ففضلهما بحسب الداء

(١) مختصر منهاج القاصدين ٣٠٥ بتصرف.
(٢) كما تحدث الرسول ﷺ ٦٤.
(٣) مختصر منهاج القاصدين ٣٠٥.
(٤) تذكرة للدعاة ٥١.

الموجود، فإن كان الغالب على القلب الأمن من مكر الله، فالخوف أفضل، وكذلك إن كان الغالب على العبد المعصية، وإن كان الغالب عليه اليأس والقنوط، فالرجاء أفضل. ويجوز أن يقال مطلقا: الخوف أفضل، كما يقال: الخبز أفضل من السكنجبيل لأن الخبز يعالج به مرض الجوع، والسكنجبيل يعالج به مرض الصفراء، ومرض الجوع أغلب وأكثر، فالحاجة إلى الخبز أكثر، فهو أفضل بهذا الاعتبار، لأن المعاصي والاغترار من الخلق أغلب[١].

إذن فهما فضيلتان من نعم الله سبحانه وتعالى إذ لابد أن يتذكر المسلم أنهما من أكبر نعم الله عليه لأن مدار السير إلى الله عليهما.

قال أبو سليمان الداراني: ينبغي أن لا يكون الغالب عليه إلا الخوف، فإنه إذا غلب الرجاء على القلب فسد القلب[٢].

وهذا الذي نميل إليه لأن كثرة المغريات في هذا الزمان فينبغي على المؤمن أن يغلب جانب الخوف ولكن بترتيب. كما يقول صاحب تذكرة للدعاة:

(إن الخوف من الله يرتبط ـ يا أيها المؤمنون ـ بالإيمان، فكلما زاد إيمان المؤمن زاد خوفه من الله رب العالمين... ولو خاف الناس من الله لامحت في حياتهم كثير من مظاهر الانحراف)[٣].

وقال: (وإن الموقف السليم يقتضيك يا أخي الخوف من الله، ذلك أنك إذا استقر في أعماقك أن الله مطلع على كل شيء، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأنه تبارك وتعالى عظيم القدرة، شديد الحساب، أليم العذاب... فكيف بعد هذا لا تخشاه ولا تخافه ﴿أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ﴾ [التوبة: ١٣][٤].

(هذا وأن كثيراً من الناس يغلبون جانب الرجاء: تراهم يسرفون على أنفسهم ويطمعون في جنته ورحمته، ولذا فهم لا يبالون بموعظة، ولا يستجيبون لقول

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ٣٠٥، ٣٠٦.
(٢) الرسالة القشيرية ٣١١.
(٣) تذكرة للدعاة ٥١.
(٤) المصدر نفسه.

حسن... ويتمنون على الله الأماني... إنهم لعاجزون)[1].

وعلى هذا فإني أميل إلى الترتيب الذي ذكره صاحب الفتح وهو أن يكون الخوف في الصحة أكثر وفي المرض العكس، وأما عند الإشراف على الموت فاستحب قوم الاقتصار على الرجاء لما يتضمن من الافتقار إلى الله تعالى، ولأن المحذور من ترك الخوف قد تعذر فيتعين حسن الظن بالله برجاء عفوه ومغفرته، ويؤيده حديث: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل»[2][3].

فلنكن من هؤلاء الذين ذكرتهم الجامعين بين الخوف والرجاء الراجين لثوابه سبحانه والخائفين من سطوته وعذابه فهو سبحانه وتعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ [غافر: ٣]. وإيانا أن نكون من الذين عناهم رسول الله ﷺ بقوله: «ليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل وإن قوماً ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحن نحسن الظن بالله تعالى، وكذبوا، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل»[4].

ولنذكر دائماً قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ۞ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ۞ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: ٧٤ ـ ٧٦].

وقول الشاعر:

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى ... تقلب عرياناً ولو كان كاسياً
وخير لباس المرء طاعة ربه ... ولا خير فيمن كان لله عاصيا[5]

---

(١) تذكرة الحفاظ ٥٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها برقم ٢٨٧٧، سنن أبي داود، كتاب الجنائز برقم ٣١١٣.

(٣) فتح الباري ١١/٣٠١، وينظر مختصر منهاج القاصدين ٣٠٦.

(٤) من وصايا الرسول ﷺ ١/٦٨، (لم أجده في كتب السنن المعتمدة).

(٥) المصدر نفسه.

و:

إن كنــت أذنبــت فقــم واعتــذر إلــى كــريــم يقبــل الاعتــذار
وانهض إلى مولى عظيم الرجا يغفـر بـالليـل ذنـوب النهـار[1]

وليكن نصب عين كل مؤمن دائماً وأبداً قول الرسول ﷺ الذي قال في خطبته يوما: «ألا إن الدنيا عرض حاضر، يأكل منه البر والفاجر، ألا وأن الآخرة أجل صادق، ويقضي فيها ملك قادر. ألا وأن الخير كله بحذافيره في الجنة، ألا وأن الشر كله بحذافيره في النار. ألا فاعملوا وأنتم من الله على حذر، واعلموا أنكم معرضون على أعمالكم: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾» [الزلزلة: ٧ ـ ٨][2].

مع ملاحظة هذين الحديثين الشريفين:

عن عمران بن حصين قال: قال رجل: يا رسول الله .. أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: «نعم»، قال: فلم يعمل العاملون؟ قال: «كل يعمل لما خلق له ـ أو لما يسِّر له ـ»[3].

وعن علي رضي الله عنه قال: كنا جلوساً مع النبي ﷺ ومعه عود ينكت به في الأرض وقال: «ما منكم من أحد إلا كتب مقعده من النار أو من الجنة»، فقال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله ؟ قال: «لا اعملوا فكل ميسر»، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ ـ ٧][4].

وتستطيع بعد وقوفك على كل هذا واقتناعك به، وحرصك على تحقيقه وفهمه أن تقول مع القائل:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة فلقـد علمـت بـأن عفـوك أعظـم

(١) من وصايا الرسول ﷺ ٧/ ٥٧٠.
(٢) مسند الشافعي ٦٧.
(٣) صحيح البخاري، كتاب القدر برقم ٦٥٦٩.
(٤) صحيح البخاري كتاب القدر برقم ٦٦٠٥، وكتاب تفسير القرآن برقم ٤٩٤٦، ٤٩٤٩، وكتاب التوحيد ٧٥٥٢.

إن كـان لا يـرجـوك إلا محسـن فمن الذي يدعو ويرجو المجرم
أدعـوك رب كمـا أمـرت تضـرعـاً فلئـن رددت يـدي فمـن ذا يـرحـم
مـا لـي إليـك وسيلـة إلا الـرجـا وجميـل عفـوك ثـم أنـي مسلـم[1]

حتى تموت وأنت تحسن الظن بالله تعالى[2].

والحمد لله رب العالمين.

(١) من وصايا الرسول ﷺ ٧/ ٥٧٠. والأبيات لأبي نواس في أيامه الأخيرة بعد توبته.
(٢) من وصايا الرسول ﷺ ٧/ ٥٧٠.

الخاتمة

من خلال دراستنا لآيات الخوف والرجاء في القرآن الكريم تبين لنا ما يلي:

أ ـ بالنسبة للخوف

١ ـ **الخوف** مقام من مقامات الدين، يتقرب العبد به إلى الله سبحانه وتعالى بالأعمال الصالحة التي تنجيه من عذاب الله تعالى.

٢ ـ **الخوف** هو استشعار بالعقوبة يحول دونه ارتكاب السيئات أو الخوض في المحرمات مع جعل إرضاء الله سبحانه وتعالى الغاية التي يسعى إليها.

٣ ـ **للخوف** صلة وثيقة بالألفاظ التي جاءت بمعنى الخوف وبالألفاظ المقاربة له لأنها تدل دلالة واضحة على نفس دلالة الخوف.

٤ ـ **للخوف** أهمية بالغة ومنزلة رفيعة لذلك ينبغي أن يعلم المسلم أنه مأمور بأن يخاف من الله أشد الخوف.

٥ ـ **الخوف** فرض على كل مسلم لما ورد من آيات كريمة وأحاديث شريفة تأمر به وتحث عليه.

٦ ـ من خلال استقرائنا لآيات القرآن الكريم التي تحدثت عن الخوف نجد أن أنواع الخوف التي تحدث عنها القرآن الكريم هي:

أ ـ **الخوف** من الله سبحانه وتعالى.

ب ـ **الخوف** من الموت.

ت ـ **الخوف** من العدو.

ث ـ **الخوف** من الفقر.

ج ـ **الخوف** من المفاجئات والمجهول.

ح ـ **الخوف** على المبدأ وضياع العقيدة.

وقد عالج القرآن الكريم كل هذه الأنواع.

٧ ـ **الخوف** ضروري للمسلم في كل حال خصوصا في هذا الزمان لأنه عبادة فرضها الله علينا.

٨ ـ **الخوف** خلق من أخلاق القرآن الكريم نبه إليه ودعا إليه وأمر به وهو خوف محمود.

٩ ـ أساليب القرآن في الدعوة إلى **الخوف** من الله تعالى مكررة ومتنوعة أهمها وأشدها خوف الله سبحانه وتعالى وحده دون خوف أحد سواه ثم خوف يوم القيامة.

١٠ ـ أشد الناس **خوفاً** من الله تعالى هم الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام إذ هم المعلمون الناس الخوف من الله.

١١ ـ كان منهج الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام في **الخوف** إن خافوا على أنفسهم من الله تعالى أولاً ثم دعوا أقوامهم إلى الخوف من الله كما ورد في كثير من آيات القرآن الكريم.

١٢ ـ **الخوف** له أثر عظيم في استقامة العبد وأهمية كبيرة في فعل الطاعات واجتناب المحارم.

١٣ ـ **الخوف** يورث المراقبة والعمل والورع والزهد والتقوى.

ب ـ بالنسبة للرجاء

١ ـ **الرجاء** نعمة فضيلة من نعم الله سبحانه وتعالى بعد الخوف من الله إذ به ينتظر العبد ما يحبه ويتمناه ويطمع به.

٢ ـ **الرجاء** هو توقع الخير والطمع بمغفرة الله سبحانه وتعالى وجزاؤه للمؤمن أحسن الجزاء على ما قدم من خير في هذه الحياة الدنيا.

٣ ـ **للرجاء** صلة وثيقة بالوجوه والنظائر التي جاءت بمعنى الرجاء وبالألفاظ المقاربة له لأنها دالة في معناها على الرجاء.

٤ ـ **للرجاء** أهمية بالغة ومنزلة رفيعة بعد خوف العبد من الله تعالى.

٥ ـ **الرجاء** يكون محمودا إذا استوفى شروطه وهي مطلوبة لانتظار ما هو محبوب كالذي يرجو ان يكون ثوابه الجنة عند ربه سبحانه وتعالى فيبدأ بقلبه فيغرس فيه الإيمان ثم يصدقه بالطاعات وفعل الخيرات الصادرة سواء من اللسان أو الجوارح ثم داوم على ذلك وسأل الله تعالى التثبيت والتوكل عليه حق توكله ثم رجاء الجنة من الله تعالى كان رجاؤه محموداً مقبولاً عند ربه مأجوراً عليه، وإذا كان غير ذلك كان مذموماً.

٦ ـ **للرجاء المحمود** شروط ينبغي توفرها وللأخذ بها هي:

أ ـ الأخذ بالأسباب.

ب ـ الخوف من عدم تحققه.

ت ـ الصدق في الرجاء والتيقن منه.

ث ـ دوام التعهد.

٧ ـ **المتتبع** لآيات الرجاء في القرآن الكريم يجد أن الرجاء جاء على أنواع:

أ ـ **رجاء** رحمة الله سبحانه وتعالى.

ب ـ **رجاء** لقاء الله تعالى.

ت ـ **رجاء** اليوم الآخر.

ث ـ **رجاء** المغفرة.

ج ـ **رجاء** النصر.

ح ـ **الرجاء** الخفي للخير.

خ ـ **رجاء** تجارة لن تبور.

٨ ـ **الرجاء** المذموم هو الفاقد لأحد شروط الرجاء المحمود.

٩ ـ **الرجاء** مقام من مقامات الطالبين وطريق من طرق السالكين ولولا الرجاء لتقطعت القلوب بالخوف.

١٠ ـ **الرجاء** له أثر بالغ في حسن الظن بالله وتوقع العفو ودخول الجنة والقرب من الله تعالى.

١١ ـ **الرجاء** مكمل للخوف فالعبد عندما يكون خائفاً لا بد أن يكون راجياً في نفس الوقت.

ج ـ بالنسبة للجمع بين الخوف والرجاء:

١ ـ **الخوف والرجاء** هما الجناحان اللذان يوصلان إلى بر الأمان، فلا بد من وجودهما في كل زمان ليصلح سير المؤمن في عبادته لله تعالى.

٢ ـ إذا استقرأنا القرآن الكريم بخصوص الخوف والرجاء نجد أن الله سبحانه وتعالى غالباً ما يجمع بينهما مما يدل دلالة واضحة على تناسقهما وتناسبهما وأن الخوف رفيق الرجاء في الطريق.

٣ ـ **الخوف والرجاء** ضروريان للمؤمن لتسهيل سيره وسلوكه إلى الله سبحانه وتعالى وأنه لا سبيل للوصول إلى ما يرضي الله تعالى إلا بالخوف والرجاء.

٤ ـ ما دام أنهما ضروريان، لا يستطيع المؤمن أن يستغني عن أحدهما لأن أحدهما مكمل للآخر بل لابد من اجتماعهما في كل حال.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا خائفين منه وراجين له إنه سميع مجيب.

المصادر والمراجع

ـ أ ـ

١ ـ إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، العلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي: الشهير بمرتضى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م.

٢ ـ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، ترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي المتوفى سنة ٧٣٩ هـ، حققه شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩٣ م.

٢ ـ إحياء علوم الدين: الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي ت ٥٠٥ هـ) وبذيله كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار للعلامة زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت ٨٠٦ هـ)، الناشر دار المعرفة، بيروت.

٤ ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: (أبي السعود محمد بن محمد العمادي) إشراف محمد عبد اللطيف، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر بمصر.

٥ ـ أساس البلاغة: الزمخشري (جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، ت ٥٣٨ هـ) دار صادر، بيروت ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.

٦ ـ الأساس في التفسير، سعيد حوى، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٢ هـ/ ١٩٩١ م.

٧ ـ الاستعارة في القرآن الكريم، أحمد فتحي رمضان، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل ١٩٨٨ م.

٨ ـ أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، عبد الحليم حفني.
٩ ـ الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر (شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن علي العسقلاني، ٧٧٣/ ٨٥٢ هـ) تحقيق الدكتور طه محمد الزيني، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الأولى.
١٠ ـ إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: الدامغاني (الحسن بن محمد، ت ٤٧٨ هـ)، تحقيق عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٠ م.
١١ ـ الأضداد في اللغة، الدكتور محمد حسين آل ياسين، مطبعة المعارف ١٣٦٤هـ/ ١٩٧٤ م.
١٢ ـ الإعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن الأزرق، الدكتورة عائشة عبد الرحمن، الكتاب الثالث والستون مِن سلسلة مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف مصر ١٩٧١ م.
١٣ ـ الألفاظ الكتابية تأليف عبد الرحمٰن بن عيسى الهمداني، الدار العربية للكتاب ١٩٨٠ م.
١٤ ـ الألفاظ النفسية في القرآن الكريم، دراسة دلالية، أيمن توفيق عبد الله الوتاري، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل، كانون الثاني ١٩٩٤ م.
١٥ ـ ألفاظ العبادات في القرآن الكريم، دراسة دلالية، أكرم احمد داود البرزنجي رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب جامعة الموصل، تشرين أول ١٩٩١ م.
١٦ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي ٦٨٥ هـ)، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت.
١٧ ـ أوزان الفعل ومعانيها، هاشم طه شلاش، ساعدت جامعة بغداد على نشره، مطبعة الآداب، النجف ١٩٧١ م.
١٨ ـ الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني (جلال الدين محمد بن عبد الرحمٰن ت ٧٣٩ هـ) شرح وتعليق وتنقيح: الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت ١٩٨٩ م.

- ب -

١٩ ـ البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي (٦٥٤/ ٧٥٤ هـ) وبهامشه: ١ ـ تفسير النهر الماد من البحر لأبي حيان نفسه. ٢ ـ كتاب الدر اللقيط من البحر المحيط للإمام تاج الدين الحنفي النحوي تلميذ أبي حيان (٦٨٢/ ٧٤٩ هـ) دار الفكر الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م.

٢٠ ـ البرهان في علوم القرآن، الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله ت ٧٩٤ هـ)، خرَّج أحاديثه وقدم له وعلق عليه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.

٢١ ـ البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، ابن الزملكاني (كمال الدين بن عبد الواحد بن عبد الكريم ت ٦٥١ هـ)، تحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م.

٢٢ ـ البستان، معجم لغوي، تأليف الشيخ عبد الله البستاني اللبناني، المطبعة الأمريكانية، بيروت ١٩٢٧ م.

- ت -

٢٣ ـ تاج العروس، الإمام اللغوي السيد محمد مرتضى الزبيدي، الناشر دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي.

٢٤ ـ التبيان في البيان: الطيبي (شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله، ت٧٤٣هـ) ذات السلاسل للطباعة والنشر، الكويت الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.

٢٥ ـ التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن: إبن الزملكاني (كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم، ت ٦٥١ هـ).

٢٦ ـ التحرير والتنوير: تأليف الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان.

٢٧ ـ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، الإمام أبي العلى محمد بن عبد الرحمٰن المباركفوري (١٢٨٣/ ١٣٥٣ هـ) أشرف على مراجعة أصوله وتصحيحه عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.

٢٨ ـ تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، العراقي، وابن السبكي والزبيدي، استخراج أبي عبد الله محمود بن محمد الحداد(١٣٧٤ هـ) دار العاصمة للنشر بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٧ م.

٢٩ ـ تذكرة للدعاة، تأليف محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢ م.

٣٠ ـ الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، تأليف الإمام الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت ٦٥٦ هـ)، ضبط أحاديثه وعلق عليه مصطفى محمد عمارة، دار الحديث القاهرة ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م.

٣١ ـ التصاريف في تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتفرقت معانيه، يحيى بن سلام (ت ٢٠٠ هـ) قدمت له وحققته: هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.

٣٢ ـ التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، الدكتور زكي مبارك، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، الطبعة الثانية ١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٤ م.

٣٣ ـ التعريفات: الجرجاني (أبو الحسين علي بن محمد بن علي ت ٨١٦ هـ) الدار الوطنية للنشر، ١٩٤٨ م.

٣٤ ـ تفسير الفخر الرازي. (أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي الطبرستاني ٥٤٤/ ٦٠٦هـ) مطبعة دار الإحسان.

٣٥ ـ تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ت ٧٧٤ هـ) دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

٣٦ ـ تفسير القرآن الكريم، عبد الله شبر، راجعه الدكتور حامد حفني، دار إحياء التراث العربي، ، بيروت ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٩ م.

٣٧ ـ تفسير المراغي احمد مصطفى المراغي، شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية ١٣٨٢ هـ/ ١٩٦٢ م.

٣٨ ـ تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، سميح عاطف الزين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٤.

٣٩ ـ تلخيص البيان في مجازات القرآن: الشريف الرضي(أبو الحسن محمد بن أبي أحمد ت ٤٠٦ هـ) حققه وقدم له ووضع فهارسه محمد عبد الغني حسن، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٥ م.

٤٠ ـ تهذيب سيرة ابن هشام، عبد السلام هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي بيروت.

٤١ ـ تهذيب مدارج السالكين، عبد المنعم صالح العلي.

- ج -

٤٢ ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول تأليف الإمام مجد الدين أبى السعادات المبارك بن محمد: ابن الأثير الجزري (٥٤٤/٦٠٦ هـ) حقق نصوصه، وخرج أحاديثه وعلق عليه عبد القادر الأرناؤوط، نشر وتوزيع مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣ م.

٤٣ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري(أبو جعفر محمد بن جرير، ت ٣١٠ هـ)، دار الفكر، بيروت ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.

٤٤ ـ الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري) دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.

٤٥ ـ جمهرة أسفار العرب: القرشي (أبو زيد محمد بن أبي الخطاب، ت ١٧٠ هـ) دار المسيرة بيروت ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م.

- ح -

٤٦ ـ حسن الظن بالله: ابن أبي الدنيا (عبد الله بن محمد) دار طيبة، الرياض بترقيم مخلص محمد.

- خ -

٤٧ ـ خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، الدكتور محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، مصر ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.

٤٨ ـ الخطابة: أرسطو طاليس، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٦ م.

ـ د ـ

٤٩ ـ الدر المنثور في التفسير المأثور: للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م.

٥٠ ـ دعوة الرسل إلى الله تعالى، تأليف محمد أحمد العدوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٥٤ هـ/ ١٩٣٥ م.

٥١ ـ ديوان سلامة بن جندل: (ت نحو ٢٣ ق. هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة، نشر وتوزيع المكتبة العربية، حلب، الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٨ م.

٥٢ ـ ديوان معن بن أوس المزني (ت ٦٤ هـ)، صنعه الدكتور نوري حمودي القيسي وحاتم صالح الضامن، مطبعة دار الجاحظ، بغداد ١٩٧٧ م.

٥٣ ـ ديوان الهذليين، الدار القومية للطباعة والنشر (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب)، القاهرة ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥ م.

ـ ر ـ

٥٤ ـ الرسالة القشيرية، تأليف الإمام أبى القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري النيسابوري الشافعي (٣٧٦/ ٤٦٥ هـ)، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، مطبعة دار التأليف، مصر الطبعة الأولى ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٦ م.

٥٥ ـ الرعاية لحقوق الله: المحاسبي (أبو عبد الله الحارث بن أسد، ت ٢٤٣ هـ) تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة.

٥٦ ـ الروح، ابن قيم الجوزية، خرّج أحاديثه وآثاره وحققه: عبد الفتاح محمود عمر، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الثانية ١٩٨٦ م.

٥٧ ـ روح البيان، الإمام الشيخ إسماعيل حقي البروسوي (ت ١١٣٧ هـ) دار الفكر، بيروت.

٥٨ ـ روح الدين الإسلامي، عفيف عبد الفتاح طبارة، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية عشرة.

٥٩ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الآلوسي (أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، ت ١٢٧٠ هـ)، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية.

٦٠ ـ رياض الصالحين، تأليف الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (٦٧٦/٦٣١ هـ)، حققه وخرج أحاديثه عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق، راجعه الشيخ شعيب الأرناؤوط، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الثانية.

- ز -

٦١ ـ زاد المسير في علم التفسير، الإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م.

٦٢ ـ الزاهر في معان كلمات الناس: إبن الأنباري (أبو بكر محمد بن القاسم، ت ٣٢٨ هـ) تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.

- س -

٦٣ ـ سيكلوجية النمو والدافعية، محمود محمد الزيني.

٦٤ ـ سنن أبى داود (الحافظ أبى داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، ٢٠٢/ ٢٧٥ هـ) دار الجيل، بيروت ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.

٦٥ ـ سنن الترمذي الجامع الصحيح لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩/ ٢٩٧ هـ) تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م. بترقيم أحمد محمد شاكر.

٦٦ ـ سنن الدارمي الإمام أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي (ت ٢٥٥ هـ) طبع بعناية محمد أحمد دهمان نشرته دار إحياء السنة النبوية. بترقيم فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي.

٦٧ ـ سنن النسائي (الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر بن سنان بن دينار) بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الأولى ١٣٤٨ هـ/ ١٩٣٠ م. بترقيم عبد الفتاح أبو غدة.

ـ ش ـ

٦٨ ـ شرح ديوان كعب بن زهير: السكري (أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الله، ت ٢٧٥ هـ)، الدار القومية للطباعة والنشر (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب) القاهرة ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥م.

ـ ص ـ

٦٩ ـ الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م.

٧٠ ـ الصحاح في اللغة والعلوم، تقديم العلامة الشيخ عبد الله العلايلي، إعداد وتصنيف نديم مرعشلي، اسامة مرعشلي، دار الحضارة العربية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٤.

٧١ ـ صحيح البخاري، العلامة المدقق أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الناشر دار الفكر بيروت، بغداد، ١٩٨٦م بترقيم فتح الباري.

٧٢ ـ صحيح مسلم (الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري) دار إحياء التراث العربي بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

٧٣ ـ صحيح مسلم (الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري أبو الحسين حافظ) بشرح النووي. (الإمام يحيى بن شرف بن مرى حسن بن حسين بن حازم النووي الشافعي أبو زكريا محي الدين) تحقيق وإشراف عبد الله

أحمد أبو زينة، دار الشعب، القاهرة، الطبعة الأولى. بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

- ض -

٧٤ ـ ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حسن جنكة الميداني، مطبعة دار القلم، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥م.

- ط -

٧٥ ـ الطبيعة في القرآن الكريم، الدكتور كاصد ياسر الزيدي، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٠م.

- ع -

٧٦ ـ علم النفس، سميح عاطف الزين.

٧٧ ـ علم النفس الإجتماعي، الدكتور سعد جلال، الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م.

٧٨ ـ العين: الفراهيدي (أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي، ت ١٧٥ هـ) تحقيق الدكتور مهدي المخزومي، الدكتور ابراهيم السامرائي، دار الرشيد، الجمهورية العراقية ١٩٨٠-١٩٨٥م.

- غ -

٧٩ ـ الغرائز في القرآن الكريم، محمد الجمل، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، ١٩٩٥ م.

٨٠ ـ غريب القرآن، ابن قتيبة، تحقيق: السيد احمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م.

- ف -

٨١ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت.

٨٢ ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير: الشوكاني (محمد بن علي بن محمد، ت١٢٥٠ هـ) دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

٨٣ ـ الفروق في اللغة: العسكري (أبو الهلال الحسن بن عبد الله، ت ٣٩٥ هـ) تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الحديثة، بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٨١ م.

٨٤ ـ في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة الشرعية السابعة ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م.

٨٥ ـ فتح البيان في مقاصد القرآن، العلامة المحقق صديق حسن خان (ت ١٣٠٧ هـ) الناشر عبد المحي علي محفوظ، مطبعة العصمة، القاهرة، الطبعة الأولى.

ـ ق ـ

٨٦ ـ القاموس المحيط، الشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي الشيرازي، دار العلم للجميع، بيروت.

٨٧ ـ القرآن وعلم النفس، الدكتور محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، بيروت ١٩٨٢ م.

٨٨ ـ قوت القلوب في معاملة المحبوب، للشيخ أبى طالب محمد بن علي المكي (ت ٣٨٦ هـ) وبهامشه سراج القلوب وعلاج الذنوب وحياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب، دار الفكر، بيروت.

ـ ك ـ

٨٩ ـ الكامل في اللغة والأدب: المبرد (أبو العباس بن محمد بن يزيد، ٢٨٥ هـ) عارضه بأصوله وعلق عليه: محمد أبو الفضل ابراهيم: مطبعة نهضة مصر، القاهرة.

٩٠ ـ كتاب الأضداد: السجستاني، (ضمن ثلاثة كتب في الأضداد)، نشرها الدكتور أوغست هفنر، دار الكتب العلمية، مصورة عن طبعة المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩١٣ م.

٩١ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري دار الكتاب العربي، بيروت.
٩٢ ـ كشف السرائر في معنى الوجوه والنظائر: ابن العماد (شمس الدين محمد بن محمد بن علي، ت ٨٨٧ هـ)، تحقيق ودراسة فؤاد عبد المنعم أحمد، تقديم ومراجعة الدكتور محمد سليمان داود، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٧٧ م.
٩٣ ـ كما تحدث الرسول، خالد محمد خالد، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، دار الإسلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣ م.

ـ ل ـ

٩٤ ـ لسان العرب: ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري) دار صادر، بيروت ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٦ م.

ـ م ـ

٩٥ ـ متشابه القرآن: القاضي عبد الجبار، تحقيق الدكتور عدنان محمد زرزور، دار التراث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٦٩ م.
٩٦ ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير (ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم، ت ٦٣٧ هـ) قدم له وحقق عليه: الدكتور أحمد الحوفي، الدكتور بدوي طبانة، مطبعة نهضة مصر، القاهرة.
٩٧ ـ مجاز القرآن: أبو عبيدة (معمر بن المثنى، ت ٢١٠ هـ) عارضه بأصوله وعلق عليه: الدكتور محمد فؤاد سكزين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م.
٩٨ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسن، ت ٥٤٨ هـ) تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩٩ ـ محاسن التأويل: القاسمي (جمال الدين القاسمي) وقف على طبعه وتصحيحه ورقمه وخرج أحاديثه، وعلق عليها محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م.
١٠٠ ـ مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، دار القلم، بيروت، مكتبة جدة، الطبعة الخامسة ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.
١٠١ ـ مختصر منهاج القاصدين: المقدسي (الإمام الشيخ احمد بن عبد الرحمن بن قدامة) قدم له الأستاذ أحمد محمد دهمان، علق عليه شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، الناشر مكتبة دار البيان، دمشق، التوزيع علوم القرآن للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٨ م.
١٠٢ ـ المخصص: ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي) دار الفكر، بيروت.
١٠٣ ـ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن قيم الجوزية (العلامة المحقق أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، ٦٩١-٧٥١ هـ)، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٦ م.
١٠٤ ـ المستدرك على الصحيحين (الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري) وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، دار الكتاب العربي، بيروت.
١٠٥ ـ مسند أبي يعلى الموصلي (الحافظ احمد بن علي بن المثنى التميمي، ٢١٠-٣٠٧ هـ) حققه وخرج أحاديثه حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م.
١٠٦ ـ مسند الإمام احمد بن حنبل، المكتب الإسلامي، بترقيم إحياء التراث.
١٠٧ ـ المسند الجامع لأحاديث الكتب الستة، ومؤلفات أصحابها الأخرى وموطأ مالك، ومسانيد الحميدي وأحمد بن حنبل، وعبد بن حميد، وسنن الدارمي وصحيح ابن خزيمة، حققه ورتبه وضبط نصه الدكتور بشار عواد معروف، السيد أبو المعاطي محمد النوري، أحمد عبد الرزاق، أيمن إبراهيم الزاملي، محمود محمد خليل، دار الجيل، بيروت، الشركة المتحدة، الكويت الطبعة

الأولى ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣ م.
١٠٨ ـ مسند الشافعي الإمام محمد بن إدريس الشافعي دار الكتب العلمية، بيروت.
١٠٩ ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: الرافعي (احمد بن محمد بن علي الفيومي المصري، ت ٧٧٠ هـ) صححه على النسخة المطبوعة في المطبعة الأميرية مصطفى السقا، مطبعة البابي الحلبي، مصر.
١١٠ ـ معاني القرآن: الزجاج (أبو اسحاق إبراهيم بن السري، ت ٣١١ هـ) شرح وتحقيق الدكتور عبد الجليل عبدة شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.
١١١ ـ المعجم الكبير الطبراني (الحافظ أبى القاسم سليمان بن أحمد، ٢٦٠/ ٣٦٠ هـ) حققه وخرج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي، مطبعة وزارة الأوقاف، بغداد، الطبعة الأولى.
١١٢ ـ معجم متن اللغة، العلامة اللغوي احمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٨ م.
١١٣ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.
١١٤ ـ معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن احمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.
١١٥ ـ المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد، ت ٥٠٢ هـ) تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
١١٦ ـ مفردات القرآن تفسير وبيان مع أسباب النزول للسيوطي مع فهارس كاملة للمواضيع والألفاظ، إعداد الدكتور محمد حسن الحمصي، دار الرشيد، دمشق، بيروت.
١١٧ ـ الممتع في التصريف: ابن عصفور (أبو الحسن علي بن مؤمن الحضرمي الأشبيلي، ت ٦٦٩ هـ) تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، الدار العربية

للكتاب، طرابلس، الطبعة الخامسة ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م.

١١٨ ـ منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: ابن الجوزي، تحقيق ودراسة محمد السيد الصفطاوي، الدكتور فؤاد عبد المنعم احمد، الكتاب السادس من كتب الدراسات القرآنية، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٧٧ م.

١١٩ ـ من وصايا الرسول ﷺ، شرح وتعليق طه عبد الله العفيفي، دار التراث العربي، القاهرة، جمادي الآخرة ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م.

١٢٠ ـ مواهب الرحمن في تفسير القرآن، تأليف عبد الكريم محمد المدرس، عني بنشره محمد علي القرداغي، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.

١٢١ ـ موسوعة أخلاق القرآن، الدكتور أحمد الشرباصي، دار الرائد العربي، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م.

ـ ن ـ

١٢٢ ـ نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، تأليف الشيخ إبراهيم اليازجي، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية.

ملخص الرسالة باللغة الإنكليزية

Fear and Hope Verses at Holy Qu'ran
- Study and Analysis -

Summary

Any student to Holy Qu'ran will discovered soon that God in his holy book discussed many subjects related to human beings in general and to their welfare in particular. One of these subjects is Fear and Hope which the researcher tried to study at his thesis titled «Fear and Hope Verses at Holy Qu'ran-Study and Analysis-», consisting of three chapters, each consisting from 2-4 seasons.

The first chapter deals with the definition of fear in grammar, convention & tradition. The researcher finally defined fear as «Feeling that punishment of God is coming if human being did some thing to anger Him».

God at his Holy Qu'ran divided fear into six categories, they are:

1) fear from God;
2) fear from death;
3) fear from enemy;
4) fear from poverty;
5) fear from the unknown;
6) fear for the faith and the principles.

A fear can be divided into two categories:

1) Commended fear
2) Vilified fear

The people who teaches fear from God are the prophets and the messengers of God, they have:

1) fear for themselves from God
2) fear for their people from God

The chapter was ended with mentioning the rewards for those who fear God according to the verses of Holy Qu'ran.

In the second chapter, «Hope» was defined in grammar, convention and tradition. The researcher finally defined (Hope) as «Rewards to be expected from God and his pardon and mercy».

Hope has several conditions, they are:

1) Taking means
2) Fear for things never happened
3) Honest in hope and reassuring
4) Keeping the faith

Hope can be divided into seven categories, they are:

1) Hope for the mercy of God
2) Hope for meeting of God
3) Hope for Judgement Day
4) Hope for pardon of God
5) Hope for Victory
6) Hope for benefit
7) Hope for endless Commerce

The chapter was ended with mentioning the rewards for those who Hope from God according to the verses of Holy Qu'ran.

The third chapter discussed the equilibrium between fear and hope. Both features need a balance. To be fearful all the time or hopeful all the times can destroyed the human being and his faith. The balance between them is the best, so the human can reach safety.

In reading the verses of the Holy Qu'ran, on can notice that God put Fear and Hope together - mostly -, that means both are need for the faithful, each will complete the other, and both lead to happiness in this world and afterwards.

Abdullah Asswad Al-Jawali

فهرس الموضوعات